قضايا ونظرات

تجديد الوعي بالعالم الإسلامي والتغيير الحضاري

تقرير ربع سنوي | العدد السادس والثلاثون | يناير ٢٠٢٥

ملف العدد: العدوان الإسرائيلي على لبنان

- **لبنان.. وآفاقُ حربٍ إقليميةٍ أوسع: سيناريوهات ومآلات**

  السفير/ معتز أحمدين

- **الموقف الإقليمي العربي في خضم التصعيد والتهدئة بين إسرائيل وحزب الله**

  عبد الرحمن عادل

- **الموقف الخليجي من العدوان الإسرائيلي على لبنان**

  عبده إبراهيم

- **مسار العدوان الإسرائيلي على لبنان: الأهداف والاستراتيجيات**

  أحمد البوهي

- **مواقف القوى الكبرى من الحرب على لبنان: ما الاختلاف؟**

  د. آية محمود عنان

مركز الحضارة للدراسات والبحوث
Civilization Center for Studies and Researches

تجديد الوعي بالعالم الإسلامي والتغيير الحضاري

قضايا ونظرات

تقرير ربع سنوي

يصدر عن مركز الحضارة للدراسات والبحوث

العدد السادس والثلاثون ـ يناير ٢٠٢٥

إشراف

أ. د/ نادية مصطفى

مدير التحرير

د/ مدحت ماهر

سكرتير التحرير

مروة يوسف

الموقع الإلكتروني: www.hadaracenter.com

المراسلات: alhadara1997@gmail.com

محتويات العدد

رؤية استراتيجية ٣

السفير/ معتز أحمدين، لبنان.. وآفاقُ حربٍ إقليميةٍ أوسع: سيناريوهات ومآلات ٤

ملف العدد: العدوان الإسرائيلي على لبنان.. قراءة الواقع وآفاق المستقبل ١٣

أحمد البوهي، مسار العدوان الإسرائيلي على لبنان: الأهداف والاستراتيجيات ١٤

أسماء البنا، محور المقاومة ضد إسرائيل: الخريطة، والإمكانات، والأدوار ٢٧

إيمان علاء الدين، حزب الله والاختراق الاستخباراتي الإسرائيلي: القصة والآثار ٤١

محمد علي إسماعيل، الداخل اللبناني بين الاصطفاف والاختلاف السياسي ٥١

زين العابدين محمد، فتح جبهة لبنان والأوضاع في غزة: بين وحدة الجبهات وفك الارتباط ٦٠

محمود مجدي فاضل، إيران داخل الحرب ضد إسرائيل وتوجه عدم التصعيد ٧٢

عبد الرحمن عادل، الموقف الإقليمي العربي في خضم التصعيد والتهدئة بين إسرائيل وحزب الله ٩٠

عبده إبراهيم، الموقف الخليجي من العدوان الإسرائيلي على لبنان.. استراتيجيات راسخة ورؤى متغيرة ٩٧

محمود عاشور مؤمن، الموقف التركي من توسع العدوان الإسرائيلي على لبنان ١١١

د. آية محمود عنان، مواقف القوى الكبرى من الحرب على لبنان: ما الاختلاف؟ ١٢٢

رؤية استراتيجية

لبنان.. وآفاقُ حربٍ إقليميةٍ أوسع: سيناريوهات ومآلات

السفير/ معتز أحمدين*

مقدمة:

منذ اندلاع طوفان الأقصى في أكتوبر ٢٠٢٣ تَتَكَشَّفُ أوراقُ مختلف الأطراف الإقليمية والدولية المتأثرة بأحداثه، والمؤثرة فيها، بما تُطْلِقُ من تصريحات، وتَتَّخِذُ من مواقِفَ وتصرفات، تعْكِسُ ما لديها من هواجسَ وانحيازاتٍ تجاه الأطراف المباشرة التي تخوضُ القتال، وتتفاوتُ أوضاعُها مع تطورات الأداء في الميدان. هذا، فضلًا عما تُقْدِمُ عليه الأطرافُ المُباشِرَةُ من إجراءاتٍ على الأرض لتحقيق أهدافٍ مرحلية، أو استراتيجيةٍ أبعد؛ مثل مواقف إسرائيل المتأرجحة من الأفكار التي تطرحها إدارة بايدن بشأن وقف إطلاق النار في غزة أو لبنان، من أجل كسب الوقت، وحرمان الإدارة الأمريكية المنتهية ولايتها من نجاحٍ كان يمكن أن يُحَسِّنَ موقِفَها في الانتخابات، لتعزيز فرصة عودة ترامب إلى الرئاسة في الولايات المتحدة، وهو ما كان؛ وكذلك محاولات استفزاز إيران لاختبار ما لديها من إمكانيات، وجرّها إلى حربٍ مفتوحة تسمح بتوجيه ضربة قاصمة لبرنامجها النووي، أو تؤدي إلى انهيار نظامها الذي يواجه معارضةً شعبية تُسانِدُها الدولُ الغربية؛ ومثل الردود الإيرانية على التَحَرُّشات الإسرائيلية التي هدفت لحفظ ماء الوجه من جهة، وتوجيه رسالة ردع لإسرائيل من جهة ثانية، والحفاظ على البرنامج النووي الإيراني، وعلى نظام الجمهورية الإسلامية نفسه من جهة ثالثة.

يتناولُ هذا المقال السيناريوهات المنتظرة للعدوان الإسرائيلي على لبنان من خلال تحليل المعطيات المشار إليها من سياسات، ومواقف، وإجراءات على مدار الفترة التي تلت الطوفان، إلى فترة التوصل لوقف إطلاق النار في لبنان، بدلًا من الخوض في توقعات واحتمالات افتراضية. وإن كُنْتُ قد أتطرق لبعض الافتراضات حول ما يمكن أن يُسْفِرَ عنه بعضُ التغيير في السياسات القائمة من تطورٍ للأوضاع.

ورغم أن المقال يركز على لبنان، اتساقًا مع موضوع الملف، فمن الصعب تناول آثار العدوان الإسرائيلي على لبنان بمعزلٍ عمَّا يحدث في فلسطين التي انطلق منها الطوفان، وجَرَّ معه ردودَ الفعل التي دفعت لبنان إلى قلب الأحداث؛ ولا عمَّا يَعْتَري المنطقةَ كَكُلٍّ من أزماتٍ تُؤَثِّرُ على فرصها في النمو والاستقرار.

أولًا- الوضع الراهن: الحرب الإقليمية، والحرب الأوسع

تُحَذِّرُ جميعُ الأطراف من استمرار التصعيد المتبادل بين إسرائيل وحزب الله، وكذلك بين إسرائيل وإيران بما يمكن أن يؤدي إلى حربٍ إقليميةٍ واسِعة، لا تُؤَثِّرُ على استقرار الإقليم -المُهْتَزِّ من الأساس- فحسب؛ بل على العالم أجمع الذي يشهد تنامي التنافس السياسي والاقتصادي والعسكري بين الولايات المتحدة والغرب من جهة، والصين وروسيا من جهة أخرى؛ في الوقت الذي لا يحْتَمِلُ فيه الاقتصادُ العالميُّ ارتفاعًا زائدًا لأسعار النفط والطاقة، بينما يعاني من أزماتٍ مُرَكَّبَةٍ، بدءًا من عدم اكتمال التعافي من آثار وباء كورونا، واستمرار التضخم وارتفاع أسعار السلع الأساسية، وتراكم الديون الخارجية للدول النامية، والآثار المتزايدة لظاهرة تغير المناخ مع عجز المجتمع الدولي عن الاتفاق على تنفيذ إجراءات صارمة للحد منها؛ فضلًا عن آثار الحرب بين روسيا وأوكرانيا على السلم والأمن العالمي؛ وتبعات الحرب المستمرة في غزة على طرق وتكاليف النقل البحري.

---

* مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة سابقًا.

وإذا كان ما يُمَيِّزُ الحربَ الإقليمية عن الحرب العادية، هو أنها تَمْتَدُّ لأكثر من دولةٍ في إقليمٍ واحد وفقًا لنمط من التحالفات العسكرية يَتِمُّ تَفْعِيلُه على مستوى الإقليم؛ فالواقع أن طوفان الأقصى تحوَّلَ إلى حربٍ إقليمية منذ يومه الثاني، عندما أعلن أمين عام حزب الله إسناد الحزب لجبهة المقاومة في غزة، وإنْ أوْضَحَ أنَّ جبهةَ لبنان ليست جبهة قتال مباشر مع إسرائيل. ثم تَوالَى الإسنادُ من أعضاء محور المقاومة، من غير الدول كذلك، في العراق، واليمن من خلال هجماتٍ متكرِّرَة على أهداف إسرائيلية، وأهدافٍ من الدول المساندة لإسرائيل المتواجدة في المنطقة -مثل القوات والقواعد الأمريكية في سوريا، والأردن، والعراق؛ إلى أن تمَّ تبادُل الضربات المباشرة بين إسرائيل وإيران عن بُعْدٍ إثر استهداف الأولى لقنصلية إيران في دمشق، ثم اغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس الشهيد إسماعيل هنية في طهران. وقد عبَّرَ عن ذلك رئيس وزراء إسرائيل في تصريحاته التي أشارت أكثر من مرة إلى أن إسرائيل تُحَارِبُ على سبعِ جبهات.

لكن التصعيد الأوسع للحرب الإقليمية القائمة يتطلَّبُ امتدادَها لتشملَ أطرافًا من الدول، مقارنةً بالوضع الحالي الذي تَقْتَصِرُ فيه معظمُ الأعمال القتالية ضد إسرائيل على أطرافٍ من غير الدول: كَأَنْ تقومَ حربٌ مباشرةٌ بين إيران وإسرائيل دون كوابح، وبمشاركة دولية من الولايات المتحدة وعدد من الدول الغربية لتوجيه ضربات مباشرة لإيران لتدمير منشآتها النووية، والحد من قدرتها على دعم المقاومة ضد الاحتلال، وربما المساعدة على تغيير النظام في إيران على نحو ما دعا رئيس وزراء إسرائيل في أكثر من رسالة وَجَّهَها للشعب الإيراني خلال الشهور الماضية. كما يمكنُ أن يشملَ اتساعُ الحربِ توجيهَ إيران ضربات لحلفاء الولايات المتحدة من دول الخليج عقابًا لهم على دعم الجبهة المعادية لإيران، ولاستهداف الاقتصاد العالمي من خلال تخفيض العرض العالمي للنفط إذا تم استهداف البنية التحتية النفطية لإيران، وحرمانها من مصدر دخلها الأساسي.

ثانيًا- تقييم المنهج المتبع في الحرب القائمة حتى الآن

تَعْكِسُ تصريحاتُ المسئولين الإسرائيليين منذ اندلاع الطوفان تصعيدًا متواصلًا تجاه حماس وحزب الله وإيران، تصْحُبُه أفعالٌ تدريجية لتحقيق الأهداف التي يتم التعبير عنها، بعد الانتهاء من مراحل محددة تسمحُ لإسرائيل بتقليل المخاطر، وتحييد التهديدات التي يمكنُ أن تتعرضَ لها أثناء تحقيق تلك الأهداف.

فقد بدأت بتكثيف الهجوم الجوي على غزة، قبل الإقدام على التوغل البري في الشمال، ثم الوسط، ثم الجنوب. وصاحب ذلك ردودٌ محدودة نسبيًا على عمليات المساندة من لبنان، لاستعادة القدرة على الردع مع حزب الله، وتوجيه ضربات تصعيدية محسوبة لبيروت، لاختبار رد الفعل، واستنزاف وتدمير قدرات حزب الله.

ثم شرعت في التصعيد باتجاه إيران بالهجوم على القنصلية الإيرانية في دمشق بعد نجاح التوغل في مختلف أرجاء غزة، وتخفيض القدرة القتالية لحماس. ثم انتظرت رد الفعل الإيراني الذي تأخر أسبوعين، وكان محدودَ الأثر نتيجة مساهمة الولايات المتحدة في اعتراض الصواريخ الإيرانية.

وبعد اطمئنان إسرائيل إلى التزام الولايات المتحدة بالمشاركة الفعلية في الدفاع عنها، وإلى محدودية أثر الرد الإيراني؛ صَعَّدَت بالاستيلاء على معبر رفح ومحور فيلادلفي في غزة؛ واستهداف قادة بارزين لحزب الله في مختلف أنحاء لبنان. وعندما قَدَّرَت أن ردود فعل حزب الله، وإيران يمكن التعامل معها؛ صَعَّدَت مجددًا باغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس داخل طهران في يوليو.

وعند تأخر الرد الإيراني على اغتيال قائد حماس في طهران، أطلقت عملية تفجير أجهزة الاتصالات الخاصة بحزب الله في منتصف سبتمبر؛ وأتْبَعَتْهَا بقصفٍ مكثف للمقرات التابعة لحزب الله في الضاحية الجنوبية للعاصمة اللبنانية؛ ثم اغتيال أمينه العام، وخَلَفِه، للقضاء على دائرة القيادة والسيطرة وصنع القرار لدى الحزب. ثم شرعت في الغزو البري لجنوب لبنان، بعد أن اعتبرت أنها حَيَّدَتْ التهديد الفعلي في غزة.

هكذا يمكن الخلوص إلى أن إسرائيل اتَّبَعَتْ منهج التصعيد التدريجي وفقًا لتطورات الموقف على الأرض وتطورات المواقف الدولية، لتحقيق الأهداف السياسية والعسكرية التالية:

- ردع حزب الله عن مساندة حركة حماس؛ أو ما يمكن أن نسميه فَصْلَ جبهة الإسناد عن جبهة المقاومة.

- كشف القدرات العسكرية لحزب الله، وتدميرها.

- انسحاب قوات حزب الله إلى شمال نهر الليطاني، وإعادة مستوطني شمال إسرائيل إلى منازلهم.

- نزع سلاح حزب الله، والقضاء عليه إن أمكن، ثم مراقبة الحدود اللبنانية كلها لمنع إعادة تسليح الحزب.

- الاحتفاظ بحق التدخل في لبنان عند الحاجة.

وقد تعامل رئيسُ الوزراء الإسرائيلي مع الإدارة الأمريكية بما لا يجعلُها توقِفُ مساندتها التامة لبلاده، مع إطالة أمد الحرب إلى حين انعقاد الانتخابات الأمريكية، أملًا في فوز ترامب، للاستفادة من انحيازه المطلق لإسرائيل. وقد حرص على إحراج إدارة بايدن، ورَفَضَ مبادرتَها الأولى بشأن وقف إطلاق النار في لبنان أثناء انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر. فلم يوافق على وقف إطلاق النار إلا بعد اغتيال الأمين العام لحزب الله، وبدء الغزو البري، وانتخاب الرئيس ترامب، وإعلان الأخير تطلعه للتوصل لوقف إطلاق النار قبل توليه مهام منصبه؛ مما أظهر أن الإدارة الأمريكية المنتهية ولايتُها عاجزة عن فرض أي قيود على سلوك إسرائيل؛ كأنَّ إسرائيل هي التي تسيْطِرُ على مقدرات أمريكا، وليس العكس.

أما حزب الله وإيران، فقد بدا أنهما يسعيان إلى الاكتفاء بالمساندة من بعيد، مع العمل على عدم توسُّع الحرب. فقد بدأت مساندةُ حزبِ الله بمهاجمة مواقع عسكرية إسرائيلية داخل مزارع شبعا المحتلة. ثم اضطر للتصعيد تدريجيًا كُلَّمَا صَعَّدَت إسرائيل. ولم يُعلن الحزب استهداف أهداف مدنية قط، بل نفى مسئوليته عن الهجوم الذي أدى إلى مقتل مجموعة من الشباب الدروز من ذوي الجنسية الإسرائيلية في الجولان المحتل في نهاية أغسطس، واتَّخَذَتْهُ إسرائيل ذريعةً للتصعيد منذ منتصف سبتمبر. ثم وافق على اتفاق وقف إطلاق النار الذي تفاوض عليه المبعوث الأمريكي بالشروط الإسرائيلية. ورغم أن الشيخ نعيم قاسم أمين عام الحزب أكد خلال خطابه في ٢٩ نوفمبر استمرار مساندة فلسطين "بالوسائل المناسبة"، واعتبر الاتفاق انتصارًا للمقاومة لعدم تحقق أهداف إسرائيل الرئيسية بإعادة سكان الشمال، والقضاء على حزب الله؛ فإن نبرتَه كانت تصالُحيةً تجاه جميع القضايا الأخرى، بما فيها انسحاب الحزب إلى شمال نهر الليطاني، ونزع سلاحه، وتعاونه مع الجيش اللبناني، وانتخاب رئيس للجمهورية.

ولا شَكَّ أن مواقفَ الحزب المُخَفَّفَةَ هذه، مرتبِطة برغبة إيرانية في عدم التصعيد، ومحاولة الحفاظ على الوضع كما هو دون مزيد من التدهور إلى حين تولي الرئيس المنتخب في الولايات المتحدة في ٢٠ يناير ٢٠٢٥. ومن اللافت أن رد حزب الله يوم ٢ ديسمبر ٢٠٢٤ على الانتهاكات الإسرائيلية المستمرة لوقف إطلاق النار اقتصر على مزارع شبعا، على النحو الذي بدأ به الحزب عملية الإسناد في ٨ أكتوبر ٢٠٢٣، وأنه تزامن مع ما بدا أنه استغلال قوات المعارضة السورية لإنهاك كل من إيران وحزب الله في المواجهة مع إسرائيل لشن هجمات خاطفة على أجزاء واسعة من سوريا؛ وتزامن كذلك مع إبلاغ حكومة لبنان للوسيطين الأمريكي والفرنسي بأن الانتهاكات الإسرائيلية لا يمكن السكوتُ عليها، مما دفعهما لإبلاغ إسرائيل بذلك قبل رد حزب الله مباشرةً. وهو ما يوحي بأن إيران وحزب الله أرادا توصيل رسالة بأن الحزب لم يَنْتَهْ عسكريًا بعد، وأنه ما يزال قادرًا على الردّ.

ثالثًا- السيناريوهات

السيناريو الأقرب للواقع في ضوء نمط سلوك مختلَف الأطراف، هو أن تعمل إسرائيل على تحقيق أقصى ما يمكن على الأرض خلال

الفترة التي تسبِق تَوَلّي الرئيس الأمريكي المنتخب، بالاستمرار في خرق وقف إطلاق النار لتأكيد التفسير الإسرائيلي الخاص بحقها في التدخل في لبنان عند الحاجة؛ مع إمكانية عدم إتمام الانسحاب من المناطق الحدودية بعد مضي الستين يومًا الأولى للاتفاق، ومحاولة التوغل مجددًا نحو نهر الليطاني انتهازًا لتولي ترامب وانحياز إدارته الكامل لإسرائيل؛ ليس فقط لتدمير ما يمكن تدميره من بنى تحتية لحزب الله، بل للاستيلاء على أقصى ما يمكن الاستيلاء عليه من أراضٍ لبنانية، وصولًا إلى نهر الليطاني إن استطاعت القوات الإسرائيلية تحقيق ذلك. هذا، بالإضافة إلى استهداف قوات الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان "يونيفيل" من أجل إجبارها على إعادة التَمَوْضُعِ لإفساح المجال للجيش الإسرائيلي لتحقيق أهدافه؛ واستهداف قوات الجيش اللبناني مباشرة أحيانًا في رسالة ردع وتأديب لإخضاع إرادته للأهداف الإسرائيلية باعتباره العنصر البديل للاحتلال الإسرائيلي المباشر للجنوب اللبناني، وحتى لا يفكر في التصدي لتلك الأهداف.

أي إن الخيار الأول الذي تعمل إسرائيل على تنفيذه قبل تولي ترامب رسميًا، هو الحفاظ على حرية الحركة داخل لبنان، حتى لو انطوى ذلك على خرق وقف إطلاق النار؛ مع حشد القوات، والحصول على الأسلحة اللازمة لمواصلة القتال واحتلال الشريط الحدودي إلى نهر الليطاني إذا استطاعت ذلك تحت أي ذريعة. وذلك لتحقيق عدد من الأهداف الاستراتيجية: أولُّها توسيع مساحة إسرائيل؛ والثاني إنشاءُ منطقةٍ عازلةٍ بين مستوطنات الشمال ومصادر إطلاق الصواريخ أو الهجمات المباشرة بواسطة المقاومة في لبنان؛ والثالثُ والرابعُ إعادةُ ترسيم الحدود مع لبنان اعتمادًا على حدود جغرافية طبيعية، والوصولُ إلى مصدر إضافي للمياه.

بعد تولي ترامب لمنصبه، سوف تحرص إسرائيل على ضم هذا الشريط بمباركة واعتراف من الولايات المتحدة، إذا نجحت في الاستيلاء عليه، على غرار اعتراف ترامب خلال ولايته الأولى بالقدس كعاصمة لإسرائيل ونقل سفارة الولايات المتحدة إليها، وكذلك اعترافه بضم الجولان إلى إسرائيل؛ خصوصًا أنه سبق أن صرح خلال حملته الانتخابية بأن مساحة إسرائيل صغيرة للغاية بما يستدعي النظر في توسيعها.

أما إذا قام ترامب بالضغط على إسرائيل من أجل تنفيذ الانسحاب –وهو ما أَسْتَبْعِدُ- فستلجأ للمساومة بشأن انسحابها من المناطق التي نجحت في احتلالها، للحصول على مكاسب محددة من الإدارة الأمريكية بشأن التضييق على إيران، وتدمير برنامجها النووي.

وفي هذه الحالة تتحول إسرائيل إلى الخيار الثاني بشأن لبنان، وهو الاكتفاء بنشر الجيش اللبناني جنوب نهر الليطاني، لإنشاء المنطقة العازلة المطلوبة لتأمين مستوطنات الشمال، وتوظيف الجيش اللبناني لأداء المهمة التي كانت تتولاها ميليشيات جيش لبنان الجنوبي الموالية لإسرائيل بقيادة سعد حداد، ثم أنطوان لحد أثناء الحرب الأهلية اللبنانية في منتصف سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، أي مواجهة حزب الله بدلًا من القوات الإسرائيلية -وهو ما يتفق مع المنهج الذي تقترحه إسرائيل لإدارة غزة بعد الحرب، الذي يَتَضَمَّنُ تشكيلَ قوة عربية لحفظ الأمن، أي مواجهة المقاومة وحماية القوات الإسرائيلية منها. وقد مَهَّدَتْ إسرائيلُ لذلك البديل بالفعل بعدة خطوات منها: ردعُ الجيش اللبناني وإقناعه بعدم التدخل لمواجهة الاحتلال من خلال الاستهداف المباشر لمراكزه وقواته، وإغراءُ قيادته بإمكانية الحصول على منصب رئيس الجمهورية اللبنانية بموافقة فرنسية أمريكية، ومباركة إقليمية من الدول العربية التي تشجع تطبيع اضطلاع القوات المسلحة بالوظائف السياسية، مثل مصر والجزائر، ومن دول الخليج التي تحرص على تقليص أي طابع ديمقراطي في الأنظمة العربية المجاورة خشية العدوى، وهو ما يتسق مع أدوار سبق أن قامت بها في لبنان خلال السنوات الأخيرة مثل احتجاز رئيس وزراء لبنان السابق السُنِّي سعد الحريري في السعودية، رغم أنه الحليف الرئيسي الممثل لمصالحها في النظام السياسي اللبناني، بسبب تقاعسه عن الاستجابة الفورية لمطالب سعودية بالضغط على حزب الله؛ ومثل الضغط الاقتصادي والسياسي على الحكومة اللبنانية لإقالة وزير الإعلام جورج قرداحي عقابًا له على تصريحٍ انتقد فيه الحرب على اليمن قبل تعيينه.

ويشملُ ذلك السيناريو أيضًا الضغط على قوات الأمم المتحدة المؤقتة المتواجدة في جنوب لبنان، وتوجيه الاتهامات إليها بأنها تتستر

على أنشطة حزب الله، على غرار الاتهامات الموجهة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في غزة، من أجل غض الطرف عن الخروقات الإسرائيلية لالتزاماتها والاكتفاء بلجنة رقابة وقف إطلاق النار التي ترأسُها الولايات المتحدة، حتى تكون إسرائيل هي التي تحدِّدُ أسباب وتوقيت تحركها في لبنان. ولا شك أن هذا السيناريو البديل عن الاحتلال المباشر لجنوب نهر الليطاني يفتح الباب أمام الجيش الإسرائيلي لإمكانية الإقدام على ذلك في مرحلة لاحقة بعد تفريغ المنطقة من المقاومة، بصرف النظر عما يتضمنه القرار ١٧٠١، واتفاق وقف إطلاق النار من ضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي اللبنانية؛ مثلما حدث بشأن معبر رفح ومحور فيلادلفي في غزة. ويتفق ذلك مع ما أعلنه رئيس وزراء إسرائيل في مقابلة تلفزيونية يوم ٣٠ نوفمبر من أنه سيعامل الحدود اللبنانية السورية معاملة محور فيلادلفي.

ولا شك أن ذلك السيناريو بما يشمله من حصار لحزب الله، ومحاولة مراقبة دخول أي مواد ذات استخدام مزدوج إلى لبنان -على غرار الخطة التي فشل الاحتلال في تنفيذها في غزة منذ عام ٢٠٠٩ رغم التنسيق الوثيق مع الأطراف الدولية والإقليمية المعنية- سيتضمن كذلك محاولة تأليب الأطراف اللبنانية على بعضها حتى ينشغل حزب الله بتعزيز موقعه في الداخل اللبناني في مواجهة الأطراف المسيحية والسنية المُنافِسَة، ولو أدَّى ذلك إلى إحياء شبح الحرب الأهلية -على غرار تشجيع الاقتتال بين السلطة الوطنية وحماس في فلسطين المحتلة. ويَتَسِّقُ هذا السيناريو مع إجماع الدعوات الدولية والإقليمية على ما يُطْلَقُ عليه تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ المقصود به أساسًا سحب قوات حزب الله، ونشر الجيش اللبناني في الجنوب، دون توفير ضمانات مقابلة لمنع إسرائيل من الاعتداء على السيادة اللبنانية، بل القبول بتقنين ذلك في اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم بوساطة أمريكية، ولم يمنع إسرائيل من قصف مواقع لبنانية بانتظام، ولا منع سكان القرى اللبنانية المحاذية للحدود من العودة إلى منازلهم.

وفي حالة تحقيق أي من السيناريوهين (احتلال جنوب الليطاني، أو توظيف الجيش اللبناني لحماية شمال إسرائيل)، من المتوقع أن تتفرغ إسرائيل لمواجهة إيران بعد النجاح في تحييد حزب الله أو تقليص قدراته، على غرار تفرغها لحزب الله بعد ما اعتبرت أنها نجحت في تحييد حركة حماس. وهذا بالضبط ما أعلنه رئيس وزراء إسرائيل عشية الاتفاق على وقف إطلاق النار مع الحكومة اللبنانية يوم ٢٦ نوفمبر.

هنا يثور السؤال بشأن إمكانية الوصول إلى مرحلة الحرب الإقليمية الواسعة التي تشملُ دولًا إلى جانب الأطراف من غير الدول. والمُتَوَقَّع ألاَّ نَصِلَ إلى تلك المرحلة لعددٍ من الاعتبارات العملية: أولُّها البعد الجغرافي بين إيران وإسرائيل، مما يجعل تصعيد الحرب بينهما يقتصر على الهجمات الجوية أو الصاروخية المتبادلة التي مهما بلغت شِدَّتُها، ومداها، من المستبعد أنْ تَصِلَ إلى مرحلة المواجهة البرية.

والثاني أن مدى الاستهداف إذا شمل البنية التحتية النفطية في إيران، فإن عواقِبَه ستكون خطيرةً، ليس لقدرة إيران على استهداف العمق الإسرائيلي، لكن لإمكانية لجوئها إلى إغلاق مضيق هرمز الذي تمر عبره معظم صادرات النفط من الخليج إلى باقي دول العالم، حتى لو لم تستهدف منشآت النفط الأمريكية السعودية المشتركة. هذا، فضلًا عن أن استهداف القدرات التصديرية الإيرانية سيؤدي إلى وقف صادرات النفط الإيرانية السرية إلى الصين، وبالتالي تصاعُد طلب الصين على السوق العالمي، في الوقت الذي سينتج عن إغلاق مضيق هرمز تقليصُ العرض العالمي للنفط إلى درجة تُؤَدِّي إلى ارتفاعات كبيرة في أسعار الطاقة، تُؤَثِّرُ على الاقتصاد العالمي، واقتصاد الولايات المتحدة بصفة خاصة، مما يُؤَثِّرُ بدوره على شعبية إدارة الرئيس ترامب، وقدرته على تنفيذ وعوده بشأن خفض التضخم في الاقتصاد الأمريكي، وبالتالي تدهور شعبيته، وهو ما لا يبدو أنه مستعدٌ للمخاطرة به.

والثالث، الغموض فيما يتعلق بالبرنامج النووي الإيراني وما يُشَكِّلُ من ردعٍ لأي محاولة للتمادي في إيذاء إيران.

والرابع، أن ردود فعل إيران على الهجمات الإسرائيلية المباشرة كانت تعكس قدرًا عاليًا من ضبط النفس لتفادي توسعة الحرب، حفاظًا على البرنامج النووي الإيراني، ولتفادي الدخول في صراع صريح مع الولايات المتحدة قد يؤدي إلى تغيير النظام في إيران؛ وهو الهدف

الذي لا تُخفيه إسرائيل ولا الولايات المتحدة. ويدعم ذلك أنَّ تصريحات المسئولين الإيرانيين بعد انتخاب الرئيس الإيراني الجديد، تتجه نحو التهدئة، وإبداء الاستعداد للتفاوض على جميع القضايا محل الخلاف مع الغرب، بما في ذلك البرنامج النووي الإيراني. وقد انعكس ذلك الاتجاه الإيراني نحو التهدئة على مواقف حزب الله الذي بدت نبرة قائده الجديد الشيخ نعيم قاسم تصالحيةً في خطابه الذي برر فيه قبول وقف إطلاق النار، واعتبره نصرًا مبينًا، وتجاهل فيه مسألة الإقرار بالأمر الواقع فيما يتعلق بالشروط الإسرائيلية؛ وهو ما يعْكِسُ عدم الرغبة في العودة إلى الحرب، لعدة أسباب، يتعلَّقُ بعضُها بالفارق الكبير في الإمكانيات، وأهمُّها رغبة حزب الله في وقف التقدم الإسرائيلي قبل تولي ترامب السلطة واحتمال تشجيعه لإسرائيل على ضم ما استولت عليه من أراضٍ، وربما لاختلاف شخصية الشيخ قاسم عن شخصية السيد نصر الله، وبالتأكيد انتظارًا لاختبار ما سَيَتَّخِذُ ترامب من إجراءات تعزيزًا لصفقة القرن المزعومة، وما إذا كانت ستشمل أجزاءً من لبنان، أو تقتصر على أفكارٍ استثمارية حول أراضي فلسطين تَعْتَمِدُ على تمويل دول الخليج الغنية، وهو ما قد يؤثِّرُ، وإن بطريقة غير مباشرة، على لبنان الذي يعاني من أزمة اقتصادية تحتاج كذلك إلى الاستثمارات الخليجية.

على الجانب المقابل، فإن السيناريو المتوقع من جانب إيران يتمثل في العمل على مواصلة دعم حزب الله، وإن بصورة أقل مخاطرة، من أجل الحفاظ على ما تَمْتَلِكُ من أوراقٍ لتهديد أمن إسرائيل؛ إذ أن انتخاب ترامب أربك حسابات إيران، وغيرِها من الأطراف الإقليمية، رغم أنه لم يكن مفاجئًا تمامًا. ورغم أنَّ مواقِفَ ترامب السلبية تجاه إيران والقضية الفلسطينية معروفة ومتوقعة، وكذلك دعمَه غير المشروط لإسرائيل باعتبارها شريكا أساسيا في نجاح حملته الانتخابية من حيث التمويل واستقطاب الناخبين ضد الحزب الديمقراطي؛ فإن إيران تَوَدُّ اختبار ما قد يَطْرَحُ من أفكار. ولعل ذلك ما يفسِّرُ ما يتردد بشأن دور إيران في تراجع موقف حزب الله عن ربط وقف إطلاق النار على الجبهة اللبنانية بوقف العدوان على غزة؛ لامتصاص فورة الإجراءات الأولية التي قد يتخذها ترامب عند توليه السلطة، وانتظار ما سيُقْدِمُ عليه من بَعْدُ.

أمَا وقد تم التوصل لوقف إطلاق النار بالشروط الإسرائيلية، فالمرجَّحُ أنَّ حزب اللهَ يسعى إلى تجميد الوضع على ما هو عليه، لمنع الجانب الإسرائيلي من التوغل بصورة أكبر على الأرض، وصولًا إلى مرحلة تَوَلِّي ترامب لبحث إمكانية التوصل معه لصفقة ما؛ أو العودة للتصعيد، حسب الإجراءات التي تَتَّخِذُها الإدارة الجديدة؛ على أن تكون تلك العودة من الوضع الحالي لكل من حزب الله وإيران، وليس من وضعٍ أسوأ فيما يتعلق بالتسليح، والإمكانيات.

وبالنسبة للبرنامج النووي فمن غير المتوقع أنْ توافِقَ إيران على تقليصه أو إخضاعه لمراقبة دولية صارمة. إذ أنه يُعْتَبَرُ وثيقةَ التأمين الفعَّالة الوحيدة ضد الهجمات الإسرائيلية في العمق الإيراني، وضد المحاولات المستمرة لتغيير النظام في إيران. بل الأرجح أن تحتفظ إيران بدرجة من الغموض فيما يتعلق بما وصلت إليه في هذا المجال، تعزيزًا لردع أعدائها، خصوصًا وأنها وصلت للعتبة النووية حتى باعتراف إسرائيل ذاتها التي أعلنت أنها نجحت في تدمير القدرات الصاروخية الإيرانية اللازمة لتوصيل القنبلة إلى إسرائيل، وكذلك الصناعات المُكَمِّلَة لتصنيع الرأس المتفجر المحيط بالقنبلة ذاتها[1]؛ مما يُعَدُّ إقرارًا ضمنيًا بوصول إيران إلى امتلاك المواد اللازمة لتصنيع الرأس النووي، وأنَّ ما ينْقُصُها وفقًا لما يُسْتَشَفُّ من الرواية الإسرائيلية هو وسائل التفجير والإيصال الدقيقة.

أما الولايات المتحدة، فالسيناريو المنطقي أن يسعى الرئيس ترامب إلى التوصل إلى تفاهمات تحافظ على الغموض المرتبط بالبرنامج النووي الإيراني إذا تأكَّدَ من عدم إمكانية تحجيمه؛ وكذلك الضغط لتحجيم إمكانيات حزب الله قدر المستطاع، مع محاولة منع إسرائيل من تدمير مؤسسات الدولة اللبنانية، متأثِّرًا بمشورة صهره اللبناني مسعد بولس الذي عيَّنه مستشارًا لشئون المنطقة؛ حتى يُرَكِّزَ جهودَه

(1) Thomas Friedman, "Mr. Trump, Do You Realize How Much the World Has Changed Since You Were President?", The New York Times, 26 November 2024.

على استكمال عملية التطبيع بين السعودية وإسرائيل، التي يَحْلَمُ أنْ تَمْنَحَهُ جائزةَ نوبل للسلام، ويَعْتَبِرُ أنها تتضمن مكاسب ضخمة له، ولجميع الأطراف المؤثرة من وجهة نظره، والتي لا تشمل الفلسطينيين -الذين توعدَّهم بالثبور، وعظائم الأمور إذا لم يتم الإفراج عن الرهائن قبل تولّيه. إذ ستشتري السعودية أسلحة جديدة بمئات المليارات من الدولارات؛ وستُعَزِّزُ الولايات المتحدة تواجدَها العسكري في المنطقة بتمويل سعودي؛ وستَتَوَسَّعُ إسرائيلُ في جهودها لقيادة المنطقة اقتصاديًا، وسياسيًا، وعسكريًا. كما سيستفيد ولي العهد السعودي، بتثبيت خلافته لوالده المُسِنّ، بدعم ومباركة أمريكية؛ بصرف النظر عن حل القضية الفلسطينية، التي ستفكر الإدارة الأمريكية الجديدة في أي صيغة فضفاضة توحي بإمكانية التوصل إلى مسارٍ نحو حل الدولتين، في الوقت الذي لن يتوانى فيه الرئيس ترامب عن مساندة إسرائيل في تدمير ذلك الخيار، من خلال مواصلة سياسات الاستيطان والتهجير، كما فعل خلال ولايته الأولى.

وفي ضوء ذلك السيناريو المُرَجَّح فالمُتَوَقَّعُ أن تستمِرَّ التوتراتُ الإقليمية تصعدُ وتنزوي دون الوصول إلى حرب متسعة النطاق تتجاوز قدرة الأطراف الدولية على احتواء آثارها. ومن المتوقع كذلك في ضوء عدم قدرة أو رغبة الحكومات في تجسيد تطلعات الشعوب نحو التصدِّي للعدوان الإسرائيلي ومحاولاتها للهيمنة على المنطقة، أن تستمِرَّ حركاتُ المقاومة غيرُ الحكومية مثل حزب الله، وحماس، وأن يستمِرَّ تَمَتُّعُها بشعبيةٍ لا بأس بها بين شعوب المنطقة باعتبار أنها تُعَبِّرُ عن إرادة المقاومة الغائبة على المستوى الرسمي. وفي حالة إضعاف الحركات المتواجدة حاليًا نتيجة استسلامها أو هزيمتها، أو تَحَوُّل أولوياتِها إلى مجرد الحفاظ على البقاء مثلما حدث مع منظمة التحرير في فلسطين، وحركة أمل في لبنان، فمن المتوقع أنْ تُفْرِزَ المنطقةُ حركاتٍ بديلة متشابهة التفكير، تُعَبِّرُ عن خيار المقاومة إلى أنْ يَتِمَّ التوصلُ إلى حلولٍ تُحَقِّقُ العدالةَ، والاستقرارَ؛ على غرار ظهور حركة حماس واشتداد شوكتها بعد إخراج منظمة التحرير من معادلة المقاومة، وظهور حزب الله بعد تراجع دور حركة أمل في المقاومة المباشرة للاحتلال وحلفائه.

إذا كان السيناريو المعروض أعلاه هو الأقرب للواقع في ضوء المعطيات المتاحة؛ فإن ذلك لا يعني أنه لا بديل عن الاستسلام لذلك الواقع، والامتثال لميزان القوة الذي يميلُ نحو إسرائيل والولايات المتحدة. إذ توجد وسائلُ معقولة للتحرك من أجل تغيير التطور المتوقع للأمور، لا تتضمن بالضرورة اتخاذ إجراءات قصوى مثل التدخل العسكري أو قطع العلاقات الدبلوماسية. لكنَّ المهم تَوَفُّرَ الإرادة السياسية لتغيير الأمور. ومن هذه الوسائل، استخدام الأدوات المالية المتاحة للدول العربية من أجل التأثير على الإدارة الأمريكية الجديدة، وهي الأكثر قابلية للتأثُّر بالاعتبارات الاقتصادية والمصالح الشخصية، من أجل الضغط لمنع تصدير السلاح والذخائر التي تستخدِمُها إسرائيلُ لتدمير غزة، ولبنان. وتتضمَّنُ هذه الوسائل، التحكم في حجم إنتاج البترول -حتى لا نقول فرض حظر نفطي شامل على غرار حظر عام ١٩٧٣. وقد سبق استخدام حجم إنتاج النفط بالفعل في بداية عهد الرئيس بايدن، المنتهية ولايته، لإثنائه عن تغليب مسائل حقوق الإنسان في سياساته تجاه المنطقة.

ومن هذه الوسائل كذلك مقاطعة شركات السلاح التي تتعامل مع الجيش الإسرائيلي، وتشجيع التعامل مع الشركات والدول التي تُقَيِّدُ من صادراتها إلى إسرائيل، خصوصًا وأن الدول العربية من أكبر مستوردي السلاح على مستوى العالم بمئات المليارات، إن لم يكن ترليونات الدولارات التي تُساهِمُ في توفير فرص العمل وإنعاش اقتصادات الدول المُصَدِّرة للسلاح. ومن ذلك أيضًا منع مرور شحنات السلاح والمواد الأساسية بما فيها النفط، عبر الأراضي، والأجواء، والمياه الإقليمية للدول العربية التي تحيط بإسرائيل من الجنوب، والشرق، والغرب؛ والإصرار على فك الحصار القائم على فلسطين المحتلة، والحصار التي أعلنت إسرائيل اعتزامها فرضه على لبنان؛ بدلًا من الاكتفاء بدعوة المجتمع الدولي للتدخل لوقف الحرب، وضمان إيصال المساعدات الإنسانية؛ والتمسُّك كذلك بتحميل إسرائيل مسئولية إعادة الإعمار في غزة ولبنان، خصوصًا وأنَّ هناك سابقةً قريبةً مُشابِهَةً شارَكَتْ فيها الدولُ العربيةُ كُلُّها في تحميل الدولة المعتدية تكاليف إعادة البناء والتعويضات عمَّا أحدثته من دمار، إثر غزو العراق للكويت عام ١٩٩١.

ولا شك أنَّ كلَّ هذه الإجراءات أو بعضَها يُمْكِنُها التأثيرُ على مسار الحرب التي تشنُّها إسرائيل على لبنان وفلسطين، ودفعُ المجتمع الدولي

للتحرك، أو تَحَمُّلِ عواقب وتكاليف الدعم المستمر لإسرائيل، بدلًا من تخفيف هذه التكاليف من خلال المساهمة في توفير مساعدات إنسانية لا تصل، واستجداء الأمم المتحدة والمجتمع الدولي للضغط على إسرائيل لقبول إدخالها إلى الأراضي المحتلة.

ومن هذه الوسائل على المستوى السياسي، التمسُّك بتمكين جميع سكان فلسطين المحتلة من التمتع بنفس حقوق مواطني إسرائيل من اليهود إلى أن يتم إنشاء دولة فلسطينية مستقلة بمؤسساتٍ كاملةٍ تُمَكِّنُها من الاستمرار والدفاع عن نفسها، وتوفير الضمانات اللازمة لعدم تكرار الاعتداءات الإسرائيلية عليها، وليس العكس؛ أو الاتفاق على دولة واحدة بحقوق متساوية لجميع مواطنيها من اليهود، والمسيحيين، والمسلمين دون تمييز؛ بدلًا من السعي وراء سراب إحياء مسار التفاوض للنظر في إنشاء دولة منزوعة السلاح والسيادة في أجلٍ غير مسمي. ومن ذلك أيضًا الإصرار على تناول التهديد النووي في المنطقة بصورة شاملة، لإنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية، وانضمام إسرائيل لمعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، والتنازل عن برنامجها النووي العسكري، مثلما فعلت جنوب إفريقيا بعد إنهاء نظام الفصل العنصري، ومثلما فعلت ليبيا عام ٢٠٠٣.

رغم منطقية الخطوات والمطالبات السابقة، ورغم أنه حدث نجاح من قبل في تطبيق بعضها لتحقيق أهداف أخرى عام ٢٠٢١، أو في تطبيق إجراءات أشد منها لاحتواء الدعم الدولي لإسرائيل عام ١٩٧٣، فإن عدم التفكير في تطبيقها، وعدم تَوَقُّع ذلك، والاكتفاء بالتساؤل حول حجم وجدية ردود إيران وحزب الله على إسرائيل، وانتظار ردود أفعالهما، يعْكِسُ عَدَمَ توفُّر إرادة جدية لتغيير واقعٍ يَتَّجِهُ نحو تطبيق رُؤيةٍ منقوصةٍ لشرق أوسط جديد تقودُه إسرائيلُ وحلفاؤها على النحو الذي عرضه رئيسُ وزرائها في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وعلى النحو الذي يسعي الرئيسُ الأمريكي المنتخب لتطبيقِه فيما أَطْلَقَ عليه بعضُ العرب "صفقةَ القرن".

رابعًا- المآلات:

الواضح أنَّ تطورَ الأحداث يَتَجِّهُ على المدى القصير إلى انفراد إسرائيل، وحليفتها الولايات المتحدة، بالمقاومة سواء في فلسطين، أو لبنان، أو العراق، أو اليمن، أو إيران؛ في ضوء غياب الإرادة الإقليمية من الدول العربية للتحرك لتبني فكرة التصدي لما تفعلُ إسرائيل، أو لمساندة المقاومة بإجراءات عملية على المستوى السياسي أو الاقتصادي، لإلحاق الضرر بإسرائيل وحلفائها، بما يتعدى التحركات الدبلوماسية التي تشمل إصدار قراراتٍ دولية بالإدانة والدعوة إلى وقف إطلاق النار دون اتخاذ إجراءات لتنفيذها. بل إن مواقف بعض الدول العربية لا تُخْفِي تحفُّظَها على خيار المقاومة، وترحيبَها بتقليص قدرات حزب الله، من أجل تحقيق مكاسب على الساحة اللبنانية أو الإقليمية نتيجة تراجع إمكانيات إيران وحلفائها، فيما لا يختلِفُ كثيرًا عن الرؤية التي طرحها رئيس وزراء إسرائيل في خطابيه أمام الدورتين الأخيرتين للجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن محور الرخاء المتمثل في إسرائيل والدول العربية المستعدة للتعاون معها، ومحور الخراب المتمثل في إيران وقوى المقاومة. ويتفق هذا الانفراد كذلك مع ما طرحه رئيس وزراء إسرائيل في الخطاب الذي أعلن فيه قبول وقف إطلاق النار في لبنان يوم ٢٦ نوفمبر، من أنَّ أهدافَه الرئيسية هي التفرغ لإيران، التي ما تزال تُشَكِّلُ التهديد الرئيسي لإسرائيل؛ وتجاوز أي قيود من الدول الحليفة لتوريد الأسلحة التي تحتاجها إسرائيل؛ وهو ما يعكس أن الهدف من وقف إطلاق النار ليس إنهاء الحرب، بل التحضير لتوسعتها لمواجهة التهديد الإيراني، والإجهاز على ما تبقى من حركاتٍ مُقَاوِمَة.

ولا تُعْتَبَرُ تلك الرؤية جديدةً ولا مُبتكرة، بل هي ترديدٌ لأفكارٍ قديمة تَتَعلَّقُ بشرق أوسط جديد أطلقها شمعون بيريز رئيس إسرائيل الأسبق في العقد الأخير للقرن الماضي، كانت هي أيضًا امتدادًا لأفكار أقدم حول الشرق الأوسط الفسيفسائي المكون من أقليات متصارعة، بما يفتح الباب لتطبيع وجود إسرائيل في المنطقة ضمن تلك الأقليات، ثم قيادتها للمنطقة باعتبارها أكثر الأقليات إنجازًا وتماسُكًا. كما أنها تطبيق لتصنيفات عقيمة مثل "من ليس معنا فهو ضدنا"، و"الدول المارقة"، و"محور الشر" كان قد أطلقها رئيسُ الولايات المتحدة السابق جورج بوش الابن في بداية القرن الحالي لتبرير غزو العراق.

لكن مشكلة هذه الرؤية أنها لا تعالج القضية الفلسطينية، ولا الأمراض المستعصية التي تعاني منها دول المنطقة، التي تشملُ أيضًا عدم المساواة، وغياب العدالة، والمحاسبة، وجمود الأن.

.ظمة السياسية، بما يخلق أزماتٍ متعاقبةً تَتَمَثَّلُ أعراضُها في عدم الاستقرار الكامن الذي يتجلى في المواجهات والحروب التي تندلع في المنطقة بانتظام، وتُهَدِّدُ بالتوسُّع والتأثير على العالم بأسره؛ وكذلك في المشاكل السياسية والاقتصادية المُتَفَاقِمَةِ التي تَتَوَسَّعُ لتأخذَ شكلَ ثورات، أو انتفاضات شعبية، أو حروب أهلية؛ وأَثَرُ كل ذلك على تفاقم نفس أزمات الديون، والإرهاب، والهجرة.

بالتالي فإن التطلع إلى الأمن والاستقرار الإقليمي من الصعب تحقيقه دون السعي لمعالجة هذه الأزمات، وليس مجرد إدارتها أو السيطرة على عواقبها من خلال مُسَكِّنَات تتمثَّلُ في وقف إطلاق النار في هذا النزاع أو ذاك، أو توفير الدعم الاقتصادي والاستثمارات الخليجية لهذه الدولة أو تلك.

ولا شك أن إدراك الترابط بين مختلف هذه الأبعاد، يسمحُ بمقاومة أي محاولات لفرض حلول جزئية مثل التوصل إلى ترتيباتٍ دولية مع إيران لتحجيم برنامجها النووي، دون التعرض لمسألة القدرات النووية الإسرائيلية، ولا اتخاذ إجراءات جدية لإنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط، في الوقت الذي يتم فيه تشجيع الدول التي تستطيع شراء التقنيات النووية المتقدمة على إنشاء مفاعلات نووية سلمية، مع تجاهل أن الهدف الرئيسي لتلك الدول هو موازنة التطور الهائل في هذا المجال في إسرائيل وإيران. وكذلك مِثل السعي لإعادة "إحياء مسار التفاوض لفتح أفق إنشاء دولة فلسطينية" في مرحلة لاحقة غير محددة، رغم أنَّ هذا المسار يَتَكَرَّرُ فشلُه منذ سنوات بسبب عدم التزام الولايات المتحدة صاحبة الفكرة، بأي إجراءات لتنفيذها، بل مساندتها لإسرائيل على التوسع في الاستيطان، وضم الأراضي المُحْتَلَّة، وتقطيع أوصال الدولة الفلسطينية الموعودة؛ ومثل الدعوة لتغيير النظام في إيران، أو في أيٍّ من دول المنطقة في معادلات صفرية دون أخذ مختلف المصالح في الاعتبار؛ أو التأرجُح بين دعم الثورات والثورات المضادة في الدول التي يفيضُ فيها كَيْلُ الصبرِ والانتظار.

ولن يتأتى ذلك التغيير بالاعتماد على الوسطاء الدوليين، أو الإقليميين فحسب على النحو المتبع من قبل؛ بل بتشجيع الشعوب العربية على المطالبة بتلك الحقوق، ثم الاستجابة لتلك المطالبات، واستخدام الحكومات لما يتوافر لديها من إمكانيات للضغط على مختلف الشركاء والفرقاء، في المنطقة وخارجها، للوصول إلى نتائج تُعَزِّزُ من شرعيتها، وتُحَقِّقُ استقرارًا قابلًا للاستمرار.

ملف العدد

العدوان الإسرائيلي على لبنان

قراءة الواقع وآفاق المستقبل

مسار العدوان الإسرائيلي على لبنان: الأهداف والاستراتيجيات

أحمد البوهي*

مقدمة:

ثمة مقولة منسوبة إلى المحارب الصيني الشهير سون تزو تقول:

"إن استراتيجية بلا تكتيكات، هي أبطأ طريق إلى النصر، أما التكتيكات بلا استراتيجية، فليست إلا الضوضاء التي تسبق الهزيمة".

إن الحرب، من بين جميع الأنشطة الإنسانية، لها طبيعة عجيبة مفارقة للمنطق ومعاكسة لكافة مسارات التطور الطبيعية. فمن الطبيعي أن يؤدي تحقيق الأرباح في مجال المال والأعمال مثلًا، إلى مزيد من التوسع والأرباح، ومن الطبيعي أن يتطور النجاح في المجال الأكاديمي، إلى نجاح أكبر. أما الحرب والصراع، فمنطقهما مغاير لهذا؛ فالجيش الذي يحقق نصرًا كبيرًا ليس من المألوف أن يستمر في تحقيق الانتصارات، بل عادة ما ينقلب هذا النصر عند نقطة معينة إلى هزيمة، تُعرف هذه النقطة في الاستراتيجية **بنقطة ذروة النصر** (**Culminating point of Victory**). فالجيش المنتصر بحلول تلك النقطة، تكون خطوط إمداده قد طالت، وموارده استنزفت، وجنوده أُرهقوا، فضلًا عما يصيبهم من زهو وتراخٍ، غرورًا بما حققوه من نصر. في المقابل، يكون الجيش المنهزم في الجولة السابقة في موقف أفضل بعد تلك النقطة، تقصر خطوط إمداده، وتصيب جنودَه حالةٌ من الإفاقة والتحفز رغبةً في تعويض خسارتهم وانتقامًا لمن قُتل منهم وتفاديًا لما وقع من الأخطاء التي تسببت في هزيمتهم السابقة[١].

وعلى ذلك، كان من المتوقع أن تتعثر إسرائيل في عدوانها الأخير على لبنان في إطار حربها مع حزب الله اللبناني، عندما أعلنت في الأول من أكتوبر عام ٢٠٢٤م، اجتياح قواتها البرية للحدود اللبنانية بعد سنة كاملة من بداية حربها على قطاع غزة وحركة حماس. وهذا بالفعل ما تصوره العديد من الخبراء الذين توقعوا أن تتكبد إسرائيل خسائر كبيرة أو تتورط في حرب طويلة مضنية، وقد وضعوا في حسابهم خبرة حزب الله الطويلة في حرب العصابات، وما لديه من ترسانة صاروخية ومضادة للدبابات، وما أعده من أنفاق وكمائن... إلخ؛ الأمر الذي سيصعِّب على الجيش الإسرائيلي مهمته، وقد يجبره على الرضا بتحقيق نتائج عملياتية متواضعة، مثل الاكتفاء باحتلال شريط حدودي يضمن عدم وصول صواريخ الحزب لشمال إسرائيل[٢]. إلا أنه في السادس والعشرين من شهر نوفمبر، أعلنت إسرائيل وصول قواتها إلى ضفاف نهر الليطاني للمرة الأولى منذ انسحابها من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠م، محرزة نصرًا عملياتيًا كبيرًا قبل إتمام شهرين فقط من بداية الغزو البري[٣]. وبعدها أبدت استعدادها لقبول اتفاقية لوقف إطلاق النار بين الطرفين، الاتفاق الذي جاء ضامنًا لتحقيق جُل أهدافها الاستراتيجية؛ من انسحاب حزب الله إلى شمال نهر الليطاني وضمان عدم عودته إلى الجنوب لتهديد شمال إسرائيل مرة أخرى في القريب العاجل، وتوقف إسناده لجبهة غزة. وقد آذن هذا الاتفاق بمرحلة جديدة

---

* باحث في العلوم السياسية.

(1) Edward Luttwak, Strategy: the logic of war and peace, (Harvard University Press, 2001), P.17.

(2) International Crisis Group, Israel Invades Lebanon: Precursors, Prospects and Pitfalls, 08 October 2024, accessed at: 20 December 2024, 4:30, available at: https://2u.pw/vqSPzuKy

(3) Jotam Confino, Israeli troops reach symbolic Litani river in Lebanon, The Telegraph, 26 November 2024, accessed at: 20 December 2024, available at: https://2u.pw/v3Wvs4f7

من انزواء ما عُرِف بمحور المقاومة المتمثل في إيران وحلفائها. وتأكد ذلك الواقع الجديد بانهيار نظام الأسد أمام هجوم الثوار في سوريا الذي بدأ في اليوم التالي من نهاية الحرب في جنوب لبنان[١].

فما سبب هذه المفارقة؟ وماذا كانت أهداف إسرائيل وحزب الله ومحور المقاومة خلال هذه الحرب؟ وما هي الآثار الاستراتيجية السياسية التي تمخضت عن هذا الصراع؟ هذا ما نحاول تناوله في هذا التقرير.

أولًا- معضلة جنوب لبنان بالنسبة للأمن الإسرائيلي

منذ أن أقامت إسرائيل دولة الاحتلال عام ١٩٤٨م، ومشكلتها الأمنية الكبرى هي ضيق عمقها الاستراتيجي في مقابل محيط من الدول العربية المعادية. وقد استطاعت إسرائيل حل تلك المشكلة الأمنية على مستوى حدودها الجنوبية مع مصر، والشرقية مع الأردن، والشمالية الشرقية مع سوريا، إلا أن مشكلتها على حدودها الشمالية مع جنوب لبنان ظلت تؤرقها طوال هذه السنين. ففي الجنوب، عقدت إسرائيل معاهدة سلام مع مصر عقب حرب ١٩٧٣ ضمنت لها منطقة عازلة بعمق شبه جزيرة سيناء بكاملها، وفي الشرق بنت علاقات استراتيجية راسخة مع المملكة الهاشمية في الأردن، وفي الشمال الشرقي، أمَّنت إسرائيل حدودها باحتلال الأراضي المشرفة في مرتفعات الجولان السورية، إلا أن حدودها الشمالية مع لبنان ظلت مشكلة متأججة[٢].

كان جنوب لبنان دومًا مصدرًا للمتاعب بالنسبة للأمن الإسرائيلي، فقد كان يتسرب منه الفدائيون الفلسطينيون إلى الشمال الإسرائيلي للقيام بمختلف العمليات الفدائية، لا سيما بعد أن انتقلت منظمة التحرير الفلسطينية إلى جنوب لبنان إثر أحداث أيلول الأسود في الأردن عام ١٩٧٠م. وبعد محاولات مضنية لحل تلك المشكلة دون تدخل مباشر، عن طريق الوكلاء والمليشيات الموالية، اضطرت إسرائيل إلى غزو جنوب لبنان مرتين عام ١٩٧٨م وعام ١٩٨٢م، وقررت احتلال الجنوب في المرة الثانية. وكان ذلك الاحتلال لجنوب لبنان هو المحفز الرئيس لتأسيس حزب الله اللبناني، الذي استطاع إجبار إسرائيل على الانسحاب عام ٢٠٠٠م[٣].

ملأ حزب الله الفراغ الذي تركته إسرائيل في جنوب لبنان، وبقيت التوترات بينه وبين إسرائيل قائمة على خلفية احتلال إسرائيل لمزارع شبعا اللبنانية وإبقائها على العديد من أسرى الحزب الذين سعى إلى تحريرهم عن طريق عمليات الأسر للجنود الإسرائيليين ومبادلتهم بالأسرى اللبنانيين. وفي عام ٢٠٠٦م، قام حزب الله بعملية الوعد الصادق عبر الحدود، التي أسفرت عن مقتل وأسر عدد من الجنود الإسرائيليين وبداية عملية عسكرية إسرائيلية واسعة النطاق في جنوب لبنان مرة أخرى. انتهت تلك الحرب بعد حوالي شهر من القتال بقرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، الذي ينص على انسحاب حزب الله إلى شمال نهر الليطاني وانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان، وأن يملأ تلك المنطقة العازلة جنود الجيش اللبناني وقوات حفظ السلام الأممية المعروفة باليونيفيل[٤]. وسيصبح لهذا القرار أهمية بالغة لأنه سيكون الأساس الذي ستبنى عليه اتفاقية وقف إطلاق النار في تلك الحرب الأخيرة عام ٢٠٢٤م، التي نحن بصدد مناقشتها.

ولكن، على الرغم من القرار ١٧٠١، استطاع حزب الله

(١) كيف انهار نظام الأسد في ١١ يومًا؟، بي بي سي عربي، ٨ ديسمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/M8RqcsW1

(2) Avraham Sela, Civil society, the military and national security: the case of Israel's security zone in South Lebanon, israel Studies, Vol 12, No. 1, Spring 2007, pp. 53-78.

(3) Simon Murden, Understanding Israel's long conflict in Lebanon: The search for an alternative approach to security during the peace process, British Journal of Middle Eastern Studies, Vol 27, no. 1, 2000, pp. 25-47.

(4) Sarah E Kreps, The 2006 Lebanon war: lessons learned, The US Army War College Quarterly: Parameters, Vol.37, No.1, 2007, p.7.

العودة إلى مواقعه في الجنوب وعلى الحدود الإسرائيلية، وأقام بنية تحتية عسكرية قوية هجومية ودفاعية، مكنته من تنفيذ قراره بإسناد جبهة غزة من اليوم الأول عقب طوفان الأقصى في الثامن من أكتوبر عام ٢٠٢٣م. وقد ظلت الحرب على الجبهة اللبنانية لمدة عام كامل حربًا محدودة يخوضها الطرفان عن بعد، أدت إلى نزوح عدد كبير من سكان شمال إسرائيل، حتى بدأت بوادر الاجتياح البري الإسرائيلي للجنوب بضربات قاسمة لقيادات الحزب، تلاها الغزو البري المباشر.

ظلت مشكلة جنوب لبنان تؤرق الأمن الإسرائيلي، دون أن تجد لها أي سياسة إسرائيلية حلًا ناجعًا. وربما يفكر نتنياهو في اتخاذ تلك الحرب ذريعة لخلق حالة أمنية جديدة تضمن حل تلك المشكلة لفترة طويلة نسبيًا. ولذلك، وبدخول الحرب تلك المرحلة، تغيرت أهداف واستراتيجيات كل من الطرفين. فبالنسبة لإسرائيل، لم يعد الهدف فقط فصل جبهة لبنان عن جبهة غزة أو إعادة سكان الشمال، بل توسعت تلك الأهداف لتشمل تدمير معظم قدرات الحزب وبنيته التحتية في الجنوب وإجباره على الانسحاب إلى شمال نهر الليطاني[1].

ثانيًا- تطور الأهداف الاستراتيجية والسياسية لإسرائيل وحزب الله ومحور المقاومة خلال ذلك الصراع

قبل معركة طوفان الأقصى، كان ثمة صراع كامن بين إسرائيل وما عُرف بمحور المقاومة، المتمثل في إيران وحلفائها من الحركات القتالية المسلحة؛ حزب الله في لبنان وحماس في غزة وأنصار الله الحوثي في اليمن، بالإضافة إلى نظام الأسد في سوريا.

وعلى هامش ذلك الصراع كان ثمة بعض القوى الإقليمية الأخرى، صاحبة المشروعات السياسية الخاصة بها، لكنها غير منخرطة مباشرة في هذا الصراع. أولها، تركيا، التي تمتلك مشروعا إقليميا قائما على كبح جماح الحركات القتالية الكردية، وزيادة النفوذ التركي في المنطقة بطرق بعيدة عن الصراع العسكري المباشر. وضمن هذه السياسة الإقليمية، بسطت تركيا رعايتها على ما تبقى من المناطق السورية تحت سيطرة فصائل الثوار على نظام الأسد في أقصى شمال سوريا في محافظة إدلب وريفها.

أما المشروع الإقليمي الرابع، فهو مشروع السلام والتطبيع الذي تقوده بعض دول الخليج بالإضافة إلى مصر والأردن. وهو مشروع قائم على إقامة سلام دائم مع إسرائيل وتطبيع العلاقات معها والتفاوض السلمي حول مستقبل القضية الفلسطينية في إطار حل الدولتين. فهذه أربعة قوى إقليمية كبرى ومشروعاتها السياسية المتنافسة. وما إن قامت معركة طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، حتى بدأ الاختبار الحقيقي لكافة هذه المشروعات الإقليمية وصلابة القوى القائمة عليها. **وكان العدوان الإسرائيلي المباشر على لبنان الذي وجَّه ضربة قاسمة لحزب الله، وما أعقبه من إسقاط نظام الأسد في سوريا، القشة التي قسمت ظهر البعير وآذنت بتغير كامل في موازين القوى ومواقف كافة الأطراف الإقليمية والدولية.**

بعد أن فاجأت حركة حماس إسرائيل والعالم بعملية السابع من أكتوبر، التي عُرفت فيما بعد بطوفان الأقصى، بدأت إسرائيل مباشرة حربها الضروس على قطاع غزة، الحرب التي استمرت حتى لحظة كتابة هذا التقرير. وباشتعال تلك الحرب، بدأ الاختبار الحقيقي لكافة المشروعات الإقليمية الأربعة التي ذكرناها أعلاه.

فالنسبة لمحور المقاومة بقيادة إيران، كانت هذه الحرب اختبارًا حقيقيًا لاستراتيجية "وحدة الساحات" التي طالما تَغنَّى بها قادة المحور، والتي تقتضي ألا تترك أي جبهة وحدها في القتال ضد إسرائيل. وبالفعل، بدأ حزب الله من اليوم التالي توجيه الضربات إلى الشمال الإسرائيلي، وبدأت حركة أنصار الله

(1) Johanna Moore, Understanding Israel's Campaign to Defeat Hezbollah in Lebanon, Institute for the Study of war, 21 November 2024, accessed at: 20 December 2024, available at: https://2u.pw/Hcxlh4Z2W

الحوثي اعتراض السفن الإسرائيلية والأميركية في خليج العقبة، بل وتوجيه هجماتها الخاصة على إسرائيل باستخدام المسيرات. وقدمت إيران، بوصفها قائد المحور، كافة ما تستطيع من المساعدات الدبلوماسية والمادية. وعلى الرغم من تفاجؤ إيران وحلفائها بهذا الهجوم من قبل حماس، إلا أنه لم يكن يسعها التخلي عن حليفتها حماس، ولا أن تخرق مبدأ "وحدة الساحات" إذ أن ذلك يعرض نفوذها وسمعتها في المنطقة بأسرها للخطر. لذلك، وعلى الرغم من المحاولات المستمرة من قبل القوى الغربية، لم يرضَ حزب الله ولا داعمته، إيران، بأي اقتراح لوقف إطلاق نار منفرد بينه وبين إسرائيل قبل إنهاء الحرب الوحشية على غزة.[١] ولنفس السبب شنت إيران هجومين غير مسبوقين مباشرة على أهداف إسرائيلية؛ جاء أولهما بالمسيرات في مساء يوم ١٣ أبريل ٢٠٢٤م، وبالصواريخ الباليستية في الأول من أكتوبر من نفس العام. إلا أن ما أسفرت عنه الحرب في النهاية، كما سنناقشه في هذا التقرير، هو انهيار استراتيجية "وحدة الساحات" وإظهار عدم قدرة إيران في الوقت الحالي على إسناد مشروعها الإقليمي في مواجهة إسرائيل وحلفائها الإقليميين والدوليين.

أما إسرائيل، فبعد عملية طوفان الأقصى، بات هدفها الأول في غزة هو القضاء على القدرات القتالية والسياسية والإدارية لحركة حماس وبقية حركات المقاومة فيها، وضمان عدم تكرار ما حدث في السابع من أكتوبر، بالإضافة إلى استعادة الأسرى. إلا أن هدفها في لبنان في تلك المرحلة لم يكن أكثر من فك الارتباط بين جبهتها الشمالية وجبهة غزة؛ أي كسر مبدأ "وحدة الساحات." وبعد أن تسببت هجمات حزب الله في تهجير جزء كبير من سكان الشمال، بات هدف إسرائيل هو وقف تلك الهجمات وضمان إعادة سكان الشمال إلى منازلهم. كان ذلك ما يظهر من الأهداف الإسرائيلية في الشمال، لكنها بدأت في تصعيد حربها على الحزب بهجمات البيجر الشهيرة ثم باغتيال كبرى قيادات الحزب، وصولًا إلى الهجوم البري الشامل، الذي أظهر مدى عمق الأهداف الاستراتيجية والسياسية الإسرائيلية، التي توسعت لتشمل طرد مقاتلي حزب الله إلى شمال نهر الليطاني وتدمير كافة قدراته القتالية وبنيته التحتية في تلك المنطقة، حتى اعتقد البعض أن أهداف إسرائيل قد امتدت إلى التأثير على السياسة الداخلية اللبنانية نفسها[٢].

كانت هذه هي الأهداف قصيرة الأمد، أما الأهداف متوسطة المدى فهي إضعاف النظام الإيراني ووكلائه في لبنان والعراق واليمن، وعزل هذا المحور لمزيد من الضغط السياسي العالمي عليه، واستعادة مسار التطبيع مع الدول العربية والإسلامية، ودرة التاج في ذلك المسار إتمام التطبيع مع المملكة العربية السعودية. أما الأهداف بعيدة المدى فهي استعادة صورة إسرائيل في العالم وسمعتها بوصفها الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، وكذلك استعادة قوة الردع التي فقدتها بعد السابع من أكتوبر. ويبدو أن تلك الحرب الأخيرة في لبنان، قد ضمنت لإسرائيل تحقيق جل تلك الأهداف.

ثالثًا- مقدمات الغزو البري الإسرائيلي الشامل لجنوب لبنان وتحدياته

لعل نقطة الذروة، التي كان من الممكن لإسرائيل التوقف عندها، كانت في الحادي والثلاثين من يوليو الماضي، عندما نجحت في اغتيال إسماعيل هنية، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في طهران. كانت إسرائيل في ذلك الوقت قد نجحت في تدمير قدر كبير من قوة كتائب القسام في غزة، وسيطرت عسكريًا على جميع المحاور المهمة في القطاع بما فيها محور فيلادلفيا ونتساريم، وكان باستطاعتها التفاوض من موقع قوة نسبية لاستعادة من تبقى من الرهائن وعمل ترتيبات أمنية وسياسية في غزة تضمن تحييدها لفترة طويلة من الزمن،

(1) Mohanad Hage Ali, Gaza has created a dilemma for Hezbollah, Carnegie Endowment for International peace, 17 October 2023, Accessed at: 15 December 2024, available at: https://linksshortcut.com/HnlCN

(2) Israel's war aims in Lebanon are expanding, The Economist, 7 November 2024, Accessed at: 21 December 2024, available at: https://2u.pw/MRcdJNXf

كذلك الاتفاق مع حزب الله وإيران على استعادة أمن الشمال، والرجوع هناك إلى أوضاع ما قبل السابع من أكتوبر. وبذلك، كان بإمكان ساستها القول بأنهم حققوا معظم أهداف الحرب السياسية والاستراتيجية، وكان سوف يصبح بإمكانها التحرك بثقة لتحقيق بقية أهدافها متوسطة وبعيدة المدى التي ذكرناها أعلاه. وهذا بالتحديد ما كانت تطمح إليه كافة الأطراف الدولية والإقليمية، بما فيها الولايات المتحدة، وحتى إيران وحزب الله كانوا على استعداد لقبول التسوية عند تلك المرحلة. إلا أن الحكومة والرأي العام الإسرائيلي بجملته كانوا على وفاق بضرورة شن عملية عسكرية برية واسعة النطاق ضد حزب الله في جنوب لبنان لخلق "حالة أمنية جديدة" تهدف بالأساس إلى ضمان تحييده وعدم تهديده لشمال إسرائيل لفترة طويلة من الزمن[١].

وفي السابع عشر من شهر سبتمبر/أيلول الماضي، نفذت إسرائيل **هجمات أجهزة البيجر** الشهيرة، التي طالت آلاف من عناصر حزب الله اللبناني، خلفتهم بين قتيل وجريح. تبع ذلك عشرة أيام من **الهجمات الدقيقة** والقاسية، نجحت خلالها إسرائيل في اغتيال معظم القادة العسكريين رفيعي المستوى في حزب الله، انتهاءً باغتيال الأمين العام والقائد التاريخي للحزب حسن نصر الله في السابع والعشرين من نفس الشهر. هذه النجاحات الاستخباراتية التكتيكية الباهرة، كانت مقدمة **الاجتياح البري الشامل** في الأول من أكتوبر عام ٢٠٢٤[٢].

لا شك أن إسرائيل بدأت ذلك العدوان بتحقيق نجاحات استخباراتية عسكرية كبرى في الأيام الأولى. وقد حققت إسرائيل هذا الإنجاز بسهولة وسرعة، نظرًا لما أصاب حزب الله من خسائر كبرى على مستوى القيادات العليا وضرب منظومة الاتصال والقيادة والسيطرة بين وحداته المقاتلة. إلا أن حزب الله، ورغم هذه الاختراقات الأمنية الضخمة بين صفوفه، أو ربما بسببها، كان من المفترض أن يصبح أشرس وأصلب من أي وقت مضى. فثمة أفضلية تكتيكية طبيعية للمدافع، الذي يعلم أرضه وتدرب على الدفاع عنها مرارًا وبنى فيها من التحصينات والفخاخ وتسهيلات التخفي والتمويه والانقضاض، ما يصعِّب مهمة المهاجم بشكل كبير، ولنا في معاناة الجيش الإسرائيلي في غزة المحاصرة لمدة عام، وما تكبده من خسائر في الأيام الأولى لهذا الاجتياح أكبر دليل على ذلك. وكان لا بد للحزب -بالإضافة إلى ذلك- من التنبه إلى مكامن الاختراق الاستخباراتي بين صفوفه، وأن يصبح أكثر حذرًا وتيقظًا لمصادر هذا الاختراق، وكان من المفترض أن يتعلم من أخطائه السابقة التي تسببت في تلك الخروقات، ولا بد أن مقاتليه أصبحوا أكثر حماسة وتحفزًا للثأر لقادتهم وإثبات قدراتهم واستعادة الثقة في أنفسهم.

أما جنود الجيش الإسرائيلي في المقابل، فأغلبهم قد أنهكتهم الحرب المستمرة لعام كامل، وجلهم من جنود الاحتياط الذين تركوا حياتهم المدنية وتضغط عليهم أخبار زملائهم الذين قتلوا أو أصيبوا في معارك غزة، وباتوا يتشككون في جدوى خطط قادتهم السياسيين والعسكريين. وعلى الرغم من تلقي إسرائيل مساعدات اقتصادية وعسكرية لا حدود لها من الولايات المتحدة، مكنتها من تفادي العواقب الاقتصادية لهذه الحرب الطويلة، إلا أن العنصر البشري يظل الخاصرة الرخوة لأي مجهود حربي، وقد تضافرت الأنباء عن ضغط هذا العامل البشري على الجيش الروسي نفسه خلال حربه ضد أوكرانيا، ولروسيا ما لها من عمق ديمغرافي واستراتيجي هائل، فما بالك بإسرائيل المشهورة بضعفها أصلًا في هذا الجانب.

وعلى الرغم من ادعاء حسن نصر الله عام ٢٠٢١ بأن الحزب يمتلك أكثر من ١٠٠ ألف مقاتل جاهز ومدرب، إلا أن أغلب المصادر تقدر تعداد مقاتلي الحزب بين ٤٠ إلى ٥٠ ألف[٣]. فإن كان الحزب قد حشد نصف هؤلاء للقتال في عملية الدفاع، كان

(1) International Crisis Group, Israel Invades Lebanon: Precursors, Prospects and Pitfalls, Op. Cit.

(٢) محمود النجار، التصعيد بين حزب الله وإسرائيل بدأ بـ"اللاسلكي" حتى اغتيال نصر الله، بي بي سي عربي، ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٨ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ihhYwnL7

(3) What we know about hezbollah's military capability, New

من المفترض أن تصبح المهمة على الإسرائيليين في غاية الصعوبة.[١] بالنظر إلى تلك التقديرات، فإن إسرائيل كانت تحتاج إلى حشد قوة لا تقل عن ١٠٠ ألف جندي -مع الأخذ في الاعتبار قدراتها الاستخبارية وتفوقها الجوي- لكي تتمكن من تحقيق أهدافها العملياتية في جنوب لبنان، في ظل الكلفة البشرية الهائلة للقتال الدامي لمدة زمنية طويلة قد تزيد على سنة أخرى.

لم يكن باستطاعة إسرائيل أن تحشد مثل تلك القوة؛ فبالنظر إلى انشغال جزء كبير من الجيش الإسرائيلي في جبهات أخرى، لا سيما الضفة وغزة، تضافرت الأنباء بحلول يوم السابع مع أكتوبر ٢٠٢٤، عن مشاركة ثلاثة ألوية مشاة: جولاني ولواء المظليين ولواء الكوماندوز، ولواء واحد مدرع: اللواء ١٨٨، في القتال في جنوب لبنان. وجميعها وحدات تنتمي للفرقتين ٣٦ و٩٨ للجيش. وفي ليلة ٨ أكتوبر، أعلن الجيش الإسرائيلي انضمام الفرقة ٩١ كذلك إلى العمليات جنوب لبنان.[٢] وفي يوم ٨ أكتوبر، أعلن الجيش الإسرائيلي انضمام فرقة رابعة، الفرقة الاحتياطية ١٤٦، إلى العمليات في جنوب لبنان.[٣] وبذلك يكون الجيش الإسرائيلي قد زج بأربعة فرق عسكرية إلى العمليات في جنوب لبنان. وفيما بعد، انضمت بعض تشكيلات الفرقة ٢١٠، إلى العلميات في جنوب لبنان، لا سيما في القطاع الشرقي في مزارع شبعا وما يليها. وبذلك يقدر عدد الجنود الذين اشتركوا في العدوان البري على لبنان ما بين ٣٠ إلى ٤٠ ألف جندي، هدفهم المعلن هو القيام بعملية محدودة لتدمير قدرات حزب الله على الحدود مع إسرائيل وخلق منطقة عازلة بعمق ٥- ٩ كم لحماية سكان شمال إسرائيل[٤].

كان من المتوقع، والحال كذلك، أن يقوم مقاتلو حزب الله بمقاومة القوة الإسرائيلية الغازية وتكبيدها خسائر كبيرة ومنعها من تحقيق أي من أهدافها، وكان المسرح والظروف مهيئة تمامًا لمساعدة الحزب في تحقيق ذلك. وكان ذلك ضروريًا لتعزيز قوة الحزب وإيران ونفوذهما في لبنان والمنطقة، وفرصة لا تعوض للثأر مما أصاب الحزب والمحور من ضربات إسرائيلية قاسمة. إلا أن ذلك لم يحدث، واستطاعت إسرائيل تنفيذ عملية محدودة بخسائر مقبولة، ونجحت في تحقيق أهدافها الاستراتيجية بل والسياسية قريبة ومتوسطة الأجل، في أقل من شهرين من بدء تلك العملية.

رابعًا- مسار العدوان الإسرائيلي على لبنان منذ بداية الاجتياح البري حتى التوصل إلى اتفاقية وقف إطلاق النار مع الحكومة اللبنانية

منذ أن بدأت إسرائيل عدوانها على لبنان في ١ أكتوبر عام ٢٠٢٤، اتخذ عدوانها مسارين رئيسين. أولهما استمرار الغارات الجوية المكثفة على أهداف عسكرية، ضد قدرات حزب الله اللوجستية والصاروخية وبنيته التحتية وحتى مؤسساته المدنية، وأخرى مدنية تستهدف القاعدة الشعبية للحزب من سكان الجنوب، وغارات أخرى نوعية في إطار الاستهداف الدقيق

York Times, 1 October 2024, Accessed at: 20 December 2024, available at: https://2u.pw/7sIXl9G6

(١) على سبيل المثال، في حملة تحرير مدينة الموصل من عناصر تنظيم الدولة عام ٢٠١٦، تطلب الأمر ما يزيد عن ١٠٠ ألف مقاتل من قوات التحالف لمواجهة حوالي ١٢ ألف من عناصر تنظيم الدولة على أقصى تقدير. ولم يتم تحرير المدينة إلا بعد تسعة أشهر من القتال الضاري المتواصل. هذا مع حاضنة شعبية غير مرحبة، وفي مدينة محاصَرة، وفي مواجهة تنظيم لا يتمتع بأي دعم إقليمي أو دولي. انظر:
Thomas D. Arnold, Nicolas Fiore, Five operational lessons from the battle for Mosul, Military Review, US Army University Press, Vol. 99, No.1, pp. 56-71.

(2) IDF increases to three division in Lebanon, may increase to significantly more, The Jerusalem post, 7 October 2024, Accessed at: 20 December 2024, available at: https://2u.pw/mdppkUOS

(3) Kelly Campa, Carolyn Moorman, Alexandra Braverman, Katherine Wells, Ben Rezaei, and Nicholas Carl, Iran Update, Institute for the Study of War, 8 October 2024, Accessed at: 25 December, available at: https://2u.pw/idJyJ5wo

(4) Natan Odenheimer and Adam Rasgon, What We Know About the Israeli Forces Fighting in Lebanon, The New York Times, 8 October 2024, Accessed at: 24 December 2024, available at: https://2u.pw/ibBYIJlc

لقيادات الحزب الكبرى، قبل أن تمتد تلك الغارات لتشمل أهداف مدنية في بيروت نفسها للضغط على الشعب اللبناني. ثانيهما، هو مسار الاجتياح البري المباشر لطرد مقاتلي الحزب من جنوب لبنان وخلق "الحالة الأمنية الجديدة" التي تستهدفها إسرائيل.

وفي المقابل، واجه حزب الله ذلك العدوان بطريقين كذلك. الأول، طريق المقاومة المباشرة للقوات الإسرائيلية الغازية على الأرض. والثاني، تكثيف الهجمات الصاروخية وبالمسيرات على أهداف في شمال ووسط إسرائيل. فكيف تفاعلت تلك المسارات جميعًا وما النتائج التي أسفرت عنها؟

منذ اليوم الأول، ظهر التفاعل بين هذه المسارات والاستراتيجيات جليًا، فقد كثفت إسرائيل غاراتها الجوية على الأهداف العسكرية للحزب، فاستهدفت مواقع المراقبة ومخازن الأسلحة ومصانع إنتاج السلاح والذخيرة وغيرها من البنى التحتية في جميع أرجاء لبنان، وصولًا إلى بيروت نفسها. وفي نفس الوقت، دخلت طلائع القوات البرية الإسرائيلية إلى جنوب لبنان بعد أن عبرت الخط الأزرق. ومع ذلك الاجتياح بدأت أولى المواجهات بين القوات الإسرائيلية والحزب حول بلدتي العديسة ومارون الراس، مما أسفر عن مقتل ثمانية جنود إسرائيليين في أربع مواجهات منفصلة[١]. وفي ٣ أكتوبر، استمرت هذه المسارات القتالية، بالإضافة إلى استهداف إسرائيل أهداف مدنية في بيروت نفسها، مما أسفر عن مقتل وإصابة عدد من المدنيين[٢].

وفي اليوم التالي، شنت إسرائيل غارة نوعية على معقل محصن تحت الأرض في ضاحية بيروت الجنوبية، استهدفت فيه هشام صفي الدين، خليفة حسن نصر الله في قيادة الحزب، وكذلك عددًا من قيادات الحزب الكبرى، من بينهم علي حسين هزيمة، رئيس استخبارات الحزب[٣]. كذلك اعتمدت إسرائيل، منذ الأيام الأولى للقتال، استراتيجية استهداف القادة الميدانيين للحزب؛ حيث أعلنت قيادة الجيش الإسرائيلي أن الجيش تمكن من قتل عشرين من القيادات الميدانية لتشكيلات الحزب خلال الأسبوع الأول للقتال[٤]. في تلك الأثناء، استمر حزب الله في تجنب المواجهات المباشرة بين مقاتليه وقوات الجيش الإسرائيلي المتوغلة، بينما كثف هجماته الصاروخية وبالمسيرات على أهداف عسكرية ومدنية في شمال إسرائيل[٥].

وبحلول ١٠ أكتوبر، ظلت القوات الإسرائيلية تتوغل في الأراضي اللبنانية وتستولي على مناطق حدودية وتؤمن عدة بلدات فيها، كاشفة النقاب عن بنى تحتية عسكرية لحزب الله ومخازن أسلحة وذخيرة. بينما تأكد أن مقاتلي الحزب في تلك المناطق ظلوا يفضلون الاشتباك مع القوات الإسرائيلية من مسافات بعيدة أو الانسحاب إلى العمق اللبناني، مما يدل على أن قيادة الحزب الميدانية ما زالت متماسكة، وأنها اتخذت قرارًا واعيًا بالحفاظ على النواة الصلبة لقوتها القتالية وعدم الزج بمقاتليها في دفاع صلب ضد القوات الإسرائيلية المتوغلة في الجنوب[٦]. إلا أنه في ١٣ أكتوبر، اشتبك مقاتلو الحزب مع قوة

---

(1) Alexandra Braverman, Annika Ganzeveld, Katherine Wells, Siddhant Kishore, Ria Reddy, Ben Rezaei, and Nicholas Carl, Iran Update, Institute for the Study of War, 2 October 2024, Accessed at: 25 December 2024, available at: https://2u.pw/kTQyoC35

(٢) قتلى وجرحى في غارة إسرائيلية على بيروت، دويتش فيليه، ٣ أكتوبر ٢٠٢٤م، تاريخ الاطلاع: ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/4R12G7xW

(٣) ثلاث غارات جديدة على الضاحية الجنوبية لبيروت، وإسرائيل تعلن مقتل هاشم صفي الدين، بي بي سي عربي، ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/jZmdVCIC

(4) Alexandra Braverman, Annika Ganzeveld, Katherine Wells, Siddhant Kishore, Ria Reddy, Ben Rezaei, and Nicholas Carl, Iran Update, Institute for the Study of War, 4 October 2024, Accessed at: 25 December 2024, available at: https://2u.pw/z7ZLRkF7

(5) Kelly Campa, Carolyn Moorman, Alexandra Braverman, Katherine Wells, Ben Rezaei, and Nicholas Carl, Iran Update, Institute for the Study of War, 5 October 2024, Accessed at: 25 December, available at: https://2u.pw/nzQ3uKbT

(6) Johanna Moore, Siddhant Kishore, Carolyn Moorman, Ben Rezaei, Alexandra Braverman, Buckley DeJardin, and Brian Carter, Iran Update, Institute for the Study of War, 11 October

إسرائيلية كبيرة بالقرب من موقع لقوات حفظ السلام اليونيفيل، وأوقعوا عددًا كبيرًا من الخسائر في صفوف الجنود والمعدات الإسرائيلية[١]. كذلك في نفس الليلة، شن الحزب هجومًا نوعيًا بالمسيرات الانتحارية على معسكر للتدريب يخص لواء غولاني في بنيامينا جنوب حيفا في العمق الإسرائيلي، وأصاب أكثر من ٦٠ جنديا إسرائيليا كانوا يتناولون العشاء في قاعة الطعام، وتم تأكيد مقتل ٤ منهم لاحقًا[٢]. وقد مثَّل هذا الهجوم أكبر اختراق أمني وعملياتي عسكري يحققه الحزب منذ بداية الحرب، وأكد وجود ثغرات قاتلة في منظومة القبة الحديدية الإسرائيلية. ولن يتكرر مثل هذا الاختراق النوعي مرة أخرى طوال مدة الحرب.

إلا أن ذلك الهجوم الكبير، أخفى حقيقة الموقف الميداني للحزب في الجنوب اللبناني؛ حيث ظل مقاتلو الحزب يحجمون عن أي جهود دفاعية حقيقية ضد القوات الإسرائيلية البرية الغازية، فقد تسببت الغارات الجوية الإسرائيلية الكثيفة في زعزعة البنية التنظيمية وسلسلة القيادة والتحكم وخطوط الإمداد والتموين للحزب. ففي ١٥ أكتوبر، ظهر نائب الأمين العام للحزب في ذلك الوقت، نعيم قاسم، في كلمة مصورة، برر فيها استراتيجية الحزب في تجنب المواجهات المباشرة مع العدو مصرحًا بأن مهمة المقاومة ليست القتال كجيش نظامي يمنع عدوه من التقدم، وإنما تنفيذ عمليات متفرقة ضده[٣]. وربما نسي قاسم، أو تناسى، أن مهمة المقاومة لا بد أن تكون منع العدو من تحقيق أهدافه وإنفاذ إرادته، وهو ما كان الحزب بصدد الفشل في تحقيقه حتى تلك المرحلة وما بعدها. وبدا أن تلك الاستراتيجية لا تهدف إلى تحقيق النصر، وإنما إلى حفظ أكبر قدر من قوة الحزب متماسكة، منعًا للانهيار الكامل قبل التوصل لاتفاقية لوقف إطلاق النار.

وفي ١٩ أكتوبر، استهدف حزب الله منزل رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، في مدينة قيسارية بمسيرة، مما أكد الاختراق الأمني الخطير الذي حققه الحزب للدفاعات الجوية الإسرائيلية[٤]. وفي اليوم التالي، أعلنت إسرائيل تمكنها من قتل ثلاث من كبار قادة حزب الله، منهم الحاج عباس سلامة، أحد كبار قيادات الجنوب، وأحمد علي حسين، قائد وحدة إنتاج الأسلحة الاستراتيجية في الحزب[٥]. ولكن على الرغم من ذلك ظل الحزب محتفظًا بقدرته على إطلاق مئات الصواريخ على شمال ووسط إسرائيل؛ ففي ٢٠ أكتوبر، على سبيل المثال، أطلق الحزب ١٧٠ صاروخًا على إسرائيل، مما أدى إلى اندلاع حرائق واسعة[٦].

واشتبك مقاتلو حزب الله بين يومي ٢٤ و٢٦ أكتوبر مع القوات الإسرائيلية الغازية في مناسبتين منفصلتين، مُردِين تسعة قتلى وعددًا من الجرحى بين صفوف جنود الاحتياط. ولكن في عامة جنوب لبنان، ظلت عمليات الحزب تجاه الجيش الإسرائيلي تُشَن عن بعد ودون أي اشتباك مباشر[٧]. وفي ٢٥

2024, Accessed at: 25 December, available at: https://2u.pw/Tg7SPsmO

(1) Andie Parry, Kelly Campa, Annika Ganzeveld, Siddhant Kishore, Katherine Wells, and Brian Carter, Iran Update, Institute for the Study of War, 13 October 2024, Accessed at: 25 December 2024, available at: https://2u.pw/g3D1LfFx

(٢) هجوم حزب الله على مقر "غولاني" في بنيامينا.. هل رسّخت مسيرات الحزب معادلة الضاحية مقابل حيفا؟، مونت كارلو الدولية، تاريخ الاطلاع: ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/9vMO5u3S

(٣) محللان للجزيرة نت: رسائل "قوية" لنعيم قاسم عن دعم غزة واستعداد حزب الله، الجزيرة نت، ١٥ أكتوبر ٢٠٢٤م، تاريخ الاطلاع: ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/S07IRCN8

(٤) بعد تنصل إيران.. حزب الله يعلن "مسؤوليته الكاملة" عن الهجوم على منزل نتنياهو، سي إن إن عربي، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/50EFDor6

(5) Kelly Campa, Carolyn Moorman, Alexandra Braverman, Siddhant Kishore, Ben Rezaei, and Brian Carter, Iran Update, Institute for the Study of War, 20 October 2024, Accessed at: 25 December 2024, available at: https://2u.pw/zI9cBjo8

(٦) حزب الله يسقط مسيرة إسرائيلية ويستهدف قواعد عسكرية ومستوطنات، الجزيرة نت، ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ZxpCw4mK

(7) Annika Ganzeveld, Johanna Moore, Alexandra Braverman, Carolyn Moorman, Ben Rezaei, Kelly Campa, Anthony Carillo,

أكتوبر، شنت إسرائيل هجومًا انتقاميًا على الأراضي الإيرانية؛ حيث استهدفت العديد من الأهداف الحساسة من مصانع إنتاج الوقود الصلب للصواريخ وبطاريات الدفاع الجوي المتقدمة (S- 300) روسية الصنع القليلة التي تمتلكها إيران[١]. وعلى الرغم من تقليل قادة إيران من آثار الهجوم، وتعهدهم بالرد، إلا أن ذلك لم يحدث، بل لعل سعي إيران وحزب الله إلى عقد اتفاق لوقف إطلاق النار وفقًا للشروط الإسرائيلية بعدها بشهر، يشير إلى قوة وتأثير الضربة التي وجهتها إسرائيل لإيران. إلا أن حزب الله حافظ كذلك على وتيرة هجماته الصاروخية وبالمسيرات على شمال إسرائيل، لكن أي من هذه الهجمات حقق تأثيرًا كالذي حققه هجوم بنيامينا في ١٣ أكتوبر ؟!

وفي ٣٠ أكتوبر، أذاع حزب الله اللبناني كلمة مسجلة للأمين العام الجديد، نعيم قاسم، حاول فيها طمأنة أنصاره بأن الحزب استعاد كثيرًا من تماسكه بعد الضربات القاسية التي تلقاها، وأنه على استعداد لتكبيد القوات الإسرائيلية المزيد من الخسائر. إلا أنه أعلن كذلك أن الحزب مستعد للقبول باتفاق لوقف إطلاق النار في لبنان ولكن بشروط مناسبة[٢]. ولم يذكر قاسم تلك الشروط المناسبة، ولكن، وعلى الرغم مما حاول تقديمه من تطمينات، بدا ذلك تنازلًا كبيرًا من حزب الله؛ حيث إنه كان أول إلماح أن الحزب بات مستعدًا لقبول وقف إطلاق نار منفرد في لبنان دون غزة، الأمر الذي يعني تخليه عن مبدأ "وحدة الساحات" الذي دخل الحزبُ الحربَ أصلًا للحفاظ عليه. إن هذه الإشارة التي ألمح إليها قاسم في خطابه، كانت تدل على الموقف القتالي المتراجع للحزب في جنوب لبنان. فبعد شهر من القتال، بدا أن حزب الله فشل في تنظيم دفاع منظم ومتماسك عن مواقعه، بينما تعمل فرق الجيش الإسرائيلي في تمشيط وتأمين البلدات اللبنانية بأريحية نسبية، دون أن تتكبد تكلفة بشرية أو عسكرية تُذكَر[٣].

وبنهاية أكتوبر، أي بعد شهر واحد من بداية العدوان الإسرائيلي على لبنان، بدأت جهود الوساطة الدولية لوقف إطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله تؤتي ثمارها، وأبدت جميع الأطراف تفاؤلها وموافقتها على أغلب بنود الاتفاقية[٤]. إلا أن إسرائيل استمرت في توسيع عملياتها في الجنوب وعلى الساحل، واستطاعت قتل قائد القطاع الساحلي للحزب، وبدأت في إرسال قوات استطلاعية إلى أماكن أعمق من خطوط التقدم الرئيسية، الأمر الذي يؤكد انهيار عمليات الحزب الدفاعية[٥]. ولعل بعض المحللين العسكرين العرب، تصوروا في الأول من نوفمبر أن إسرائيل قد فشلت في مهمتها، مستندين في ذلك إلى تقديرات غير مؤكدة عن خسائر الجيش الإسرائيلي، التي تستند إلى دعاية الحزب في إطار الحرب الإعلامية والنفسية. كذلك تأثرت تلك التحليلات بالدفاع المنظم للحزب عن بلدة الخيام، الذي يعد أكثر المعارك الدفاعية المنظمة التي قام بها الحزب خلال تلك الحرب[٦]. وليس أدل على خطأ ذلك التحليل مما وقع في ذلك الشهر من وصول القوات الإسرائيلية إلى ضفاف نهر

---

and Nicholas Carl, Iran Update, Institute for the Study of War, 20 October 2024, Accessed at: 25 December, available at: https://2u.pw/mgM6QV79

(1) Israel launched strikes on Iran in a retaliatory attack. Here's what we know, CNN World, 27 October 2024, Accessed at: 25 December 2024, available at: https://2u.pw/0Qkexv5M

(٢) نعيم قاسم: حزب الله مستعد لوقف إطلاق النار مع إسرائيل لكن بشروط "مناسبة"، فرانس ٢٤، ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/3QaqXhc0

(3) Annika Ganzeveld, Carolyn Moorman, Siddhant Kishore, Johanna Moore, Ben Rezaei, Ria Reddy, Avery Borens, and Nicholas Carl, Iran Update, Institute for the Study of War, 1 November 2024, Accessed at: 26 December, available at: https://2u.pw/mHPNHcBC

(٤) وول ستريت جورنال تنشر مسودة اتفاق أميركي إسرائيلي بشأن لبنان، الجزيرة نت، ٣١ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/1a4Uuc5k

(5) Johanna Moore, Siddhant Kishore, Annika Ganzeveld, Ben Rezaei, Alexandra Braverman, and Brian Carter, Iran Update, Institute for the Study of War, 2 November 2024, Accessed at: 26 December 2024, available at: https://2u.pw/HQ0keozO

(٦) هذه أسباب فشل خطط الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان، الجزيرة

الليطاني، وقبول حزب الله باتفاق وقف إطلاق النار وفق الشروط الإسرائيلية.

وأثناء شهر نوفمبر، في الأيام الستة والعشرين المتبقية على هذه الحرب، استمرت فِرَق الجيش الإسرائيلي في تمشيط وتأمين البلدات الحدودية اللبنانية مثل كفار كلا ومارون الراس وعيتا الشعب وعلما الشعب وبارين وعيترون وبرون ..إلخ. وكذلك استمرت الغارات الجوية الإسرائيلية على الأهداف اللبنانية المدنية والعسكرية في بيروت وبعلبك وصور وغيرها من المدن اللبنانية، بالإضافة إلى بعض مواقع الحزب خارج العاصمة السورية دمشق. في تلك الأثناء، استمرت هجمات حزب الله الصاروخية تجاه شمال ووسط إسرائيل بوتيرة ثابتة ومتصاعدة بقوة تتراوح بين ١٠٠ – ٢٠٠ صاروخ يوميًا، ولكن دون تحقيق إصابات مؤثرة[١]. وبحلول ١٥ نوفمبر، بدأت القوات الإسرائيلية محاولات التوغل إلى مناطق أعمق في الجنوب اللبناني لخلق منطقة عازلة بعمق ٥-٩ كم ومحاصرة مقاتلي حزب الله المتحصنين في المنطقة. ففي الغرب، توغلت إلى مشارف بلدة شمع، وواجهت هناك مقاومة شديدة من حزب الله أجبرتها على التراجع. كذلك حاولت القوات الإسرائيلية في الشرق التوغل إلى مدينة الخيام من عدة محاور وواجهت مقاومة شديدة كذلك[٢].

وحتى يوم ٢٠ نوفمبر، كانت القوات الإسرائيلية ما تزال تحاول السيطرة على بلدتي شمع في الغرب ومدينة الخيام في الشرق، مواجِهة مقاومة شديدة الوطأة من مقاتلي الحزب. ويبدو أن الحزب قد غير استراتيجيته السابقة، وبدأ يثبت في دفاع صلب عن تلك النقاط الاستراتيجية؛ حيث اشتبك مقاتلوه في قتالات متلاحمة مع القوات الإسرائيلية المتقدمة بالأسلحة الرشاشة ومضادات المدرعات والصواريخ الموجهة، وأوقعوا خسائر كبيرة في العدو الإسرائيلي، ومنعوا قواته من السيطرة على تلك النقاط حتى يوم ٢٠ نوفمبر[٣]. إلا أن القوات الإسرائيلية تجاوزت مدينة الخيام وتقدمت إلى بلدة ديرميماس لفصل النبطية عن مرجعيون، ووصلت إلى مشارف نهر الليطاني للمرة الأولى منذ بداية العدوان[٤]. كذلك أظهرت صور الأقمار الصناعية في ٢٣ نوفمبر، تقدم القوات الإسرائيلية في المحور الغربي من بلدة شمع إلى الناقورة في منطقة الساحل[٥]. وفي السادس والعشرين من نوفمبر تم توقيع اتفاق وقف إطلاق النار بين الحكومة اللبنانية وإسرائيل، مع موافقة حزب الله غير المباشرة على بنود الاتفاق، الذي ضمن لإسرائيل تحقيق جل أهدافها الاستراتيجية والسياسية[٦].

بيد أن هذا العدوان قد خلَّف آثارًا بالغة على لبنان، فقد دُمرت مئات البلدات والقرى والمدن اللبنانية في الجنوب، وخسرت لبنان نحو ٣,٤ مليار دولار من الخسائر المادية، و٥,١ مليار دولار خسائر اقتصادية عامة. فقد دمرت محاصيل زراعية وتعطلت التجارة وقتل أكثر من ٣٠٠٠ شخص، ونزح أكثر

نت، ١ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/1jeDYXfq

(1) Kelly Campa, Andie Parry, Alexandra Braverman, Katherine Wells, Ria Reddy, and Nicholas Carl, Iran Update, Institute for the Study of War, 10 November 2024, Accessed at: 26 December 2024, available at: https://2u.pw/4lzZlMDP

(٢) نذير رضا، إسرائيل تتمدد بمحاذاة مواقع «اليونيفيل» للسيطرة على الساحل الجنوبي اللبناني، الشرق الأوسط، ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/aNzDjkj9

(٣) إسرائيل تجدد محاولات التقدم في الخيام عبر ثلاثة محاور، الشرق الأوسط، ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/FqmJsH1k

(٤) نذير رضا، الجيش الإسرائيلي يصل إلى مشارف نهر الليطاني في جنوب لبنان، الشرق الأوسط، ٢٢ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/aNzDjkj

(5) Johanna Moore, Carolyn Moorman, Annika Ganzeveld, Ben Rezaei, and Brian Carter, Iran Update, Institute for the Study of War, 23 November 2024, Accessed at: 27 December 2024, available at: https://2u.pw/6FbYEYsZ

(٦) تفاصيل اتفاق وقف القتال بين إسرائيل وحزب الله بعد حرب ٢٠٢٤، ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/A3FkXVAA

من ٨٠٠ ألف شخص من منازلهم[١]. وعلى الرغم من صعوبة تقدير الخسائر العسكرية لكل من حزب الله وإسرائيل، إلا أن الحجم الهائل لخسائر حزب الله المادية والبشرية لا يمكن إغفاله، في مقابل خسائر إسرائيلية محدودة بالنظر إلى حجم الإنجاز المتحقق، وإن أخفت جلها. فبحسب تقرير لرويترز، خسرت إسرائيل في تلك الحرب حوالي ٧٣ عسكريًا و٤٢ مدنيًا فقط. أما خسائرها المادية فلا تتعدى ٣٠٠ دولار فقط[٢].

لقد استطاعت إسرائيل تحقيق جُل أهدافها الاستراتيجية والسياسية في أقل من شهرين من العمليات العسكرية المحدودة في جنوب لبنان. فقد نجحت في كسر إرادة حزب الله وإجباره على فك ارتباطه بجبهة غزة، منهية بذلك مبدأ "وحدة الساحات." كذلك نجحت في تفكيك وتدمير معظم البنى التحتية ومخازن الأسلحة والذخيرة والقدرات العسكرية واللوجستية، التي ظل الحزب يراكم فيها منذ عام ٢٠٠٦م.

وفي المقابل، فشل حزب الله في منع إسرائيل من تحقيق تلك الأهداف لأنه لم يبذل أي جهد دفاعي منظم معتبر عن مناطقه في الجنوب. قد يكون ذلك لأنه اتخذ قرارًا بالحفاظ على من تبقى من النواة الصلبة لمقاتليه، وربما للأضرار الجسيمة التي لحقت بسلسلة القيادة والتحكم والسيطرة لديه نتيجة اغتيال القيادات، وربما لتجنيب الجبهة الداخلية اللبنانية مزيدًا من الدمار، وربما لكل هذه الأسباب مجتمعة. إلا أن المؤكد أن الحزب قد كُسِرت إرادته، وبات نفوذه المحلي والإقليمي في خطر داهم.

خامسًا- اتفاق وقف إطلاق النار والنتائج الاستراتيجية والسياسية المترتبة على العدوان

منذ أن اتخذ حزب الله اللبناني قراره بتفعيل مبدأ وحدة الساحات وإسناد جبهة غزة بعد هجوم طوفان الأقصى في الثامن من أكتوبر ٢٠٢٣م، بدأت محاولات من قبل كافة الأطراف الإقليمية والدولية لإقناعه بالتخلي عن تلك الاستراتيجية، والقبول بوقف إطلاق نار منفرد مع إسرائيل وتنفيذ بنود قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١[٣]. إلا أن الحزب، بقيادة أمينه العام حسن نصر الله، ظل يرفض أي اتفاق منفرد مع إسرائيل، وظل محافظًا على الربط مع جبهة غزة[٤]. ولكن في منتصف أكتوبر من العام التالي، وبعد الضربات القاسية التي تلقاها الحزب من إسرائيل، وفصلنَّاها أعلاه، أعلن نعيم قاسم، نائب أمين عام الحزب في ذلك الوقت، للمرة الأولى، استعداد الحزب للقبول بوقف إطلاق النار مع إسرائيل، دون ذكر جبهة غزة[٥].

وفي تلك الأثناء، بدأت الجهود الدولية بقيادة أميركية للوساطة بين كافة أطراف الصراع للوصول إلى اتفاقية لإطلاق النار. وفي ١٤ نوفمبر تلقت الحكومة اللبنانية مقترحًا أميركيًا لاتفاقية وقف إطلاق النار في جنوب لبنان[٦]. وقد أكد رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري لجريدة الشرق الأوسط تسلمه للمقترح الأميركي المكتوب، وأعلن أن به بعض البنود غير المقبولة لبنانيًا، إلا أن النقاش ما يزال دائرًا حولها. وذلك بعد أن فوَّض حزب الله اللبناني الرئيس بري بالتفاوض بالنيابة عنه.[٧] وفي ذلك اليوم،

---

(١) خسائر لبنان جراء عدوان إسرائيل ٨,٥ مليارات دولار ودمار ١٠٠ ألف وحدة سكنية، الجزيرة نت، ١٤ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/40koA3X

(2) Costs of Israel-Hezbollah conflict on Lebanon, Reuters, 27 November 2024, Accessed at: 29 December 2024, available at: https://bit.ly/3W71E5H

(3) David Wood and Heiko WImmen, Diplomacy must prevail in Israel-Hizbollah conflict, 29 December 2023, Accessed at: 28 December 2024, available at: https://bit.ly/3C5x6KP

(٤) متحدثًا عن جبهة لبنان.. أمين عام حزب الله: أميركا مسؤولة عن الحرب في غزة، يورونيوز، ١١ نوفمبر ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/42kRoen

(٥) نعيم قاسم: حزب الله مستعد لوقف إطلاق النار مع إسرائيل لكن بشروط "مناسبة"، فرانس ٢٤، ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/40koObj

(6) U.S. hands Lebanon draft truce proposal, two sources say, Reuters, 14 November 2024, Accessed at: 28 October 2024, available at: https://2u.pw/kqwsyv3p

(٧) بري لـ«الشرق الأوسط»: الورقة الأميركية لا تتضمن حرية حركة لإسرائيل... ولا قوات «أطلسية»، الشرق الأوسط، ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ

التقى مستشار المرشد الأعلى للثورة الإيرانية، علي لاريجاني كلا من رئيس الحكومة الانتقالية اللبنانية نجيب ميقاتي، ورئيس البرلمان نبيه بري، في بيروت، وأبلغهم دعم إيران للبنان في الصراع الجاري وفي مفاوضاتها للتوصل إلى وقف إطلاق النار. كما التقى لاريجاني بقيادات حزب الله وأبلغهم عدم اعتراض المرشد الأعلى للثورة على عقد اتفاق مع إسرائيل ينهي الحرب الجارية[١]. وفي الأسبوعين التاليين جرت مفاوضات بوساطة أميركية للتوصل إلى اتفاق يرضي جميع الأطراف، وتم التوصل إلى الاتفاق النهائي في ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٤ بين لبنان وإسرائيل، مع الموافقة غير المباشرة من قِبل حزب الله[٢]. واستند الاتفاق إلى قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، وتضمن بنودًا مهمة في ذلك الإطار منها انسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان خلال ٦٠ يومًا، وعدم وجود أي جماعات مسلحة جنوب نهر الليطاني، الأمر الذي يعني انسحاب حزب الله إلى شمال النهر. كذلك تضمن الاتفاق ضرورة ملئ ١٠ آلاف جندي من الجيش اللبناني هذا الفراغ في جنوب لبنان، وأن تتولى كل من الولايات المتحدة وفرنسا مهمة دعم تلك القوات بكافة الوسائل لضمان تمكنها من تنفيذ بنود الاتفاق[٣].

إن ذلك الاتفاق بصورته الحالية يضمن لإسرائيل تحقيق جل أهدافها الاستراتيجية والسياسية. فسكان الشمال بات باستطاعتهم الآن العودة إلى منازلهم في أمن من هجمات حزب الله. كذلك استطاعت إجبار حزب الله على وقف إطلاق نار منفرد منفصل عن غزة، معلنة بذلك فشل مبدأ "وحدة الساحات"؛ الاستراتيجية التي اعتمدت عليها إيران وحلفاؤها في المنطقة لسنوات، وكانت السمة الرئيسية لعمل محور المقاومة منذ عملية طوفان الأقصى. وذلك بعد أن استطاعت خلال ذلك العدوان تدمير جزء كبير جدًّا من قدرات الحزب العسكرية والاستراتيجية وحتى السياسية، وأجبرته على الانسحاب إلى شمال نهر الليطاني وضمان عدم عودته إلى جنوب لبنان مرة أخرى لفترة طويلة نسبيًا[٤]. لقد حققت إسرائيل بذلك الحالة الأمنية الجديدة التي طالما سعت إلى تحقيقها في جنوب لبنان، ولعل ذلك يكون بداية حل تلك المشكلة الأمنية الخطيرة التي ظلت تؤرق إسرائيل منذ تأسيسها.

أما حزب الله، وحلفاؤه من محور المقاومة، لا سيما إيران، فقد تلقوا ضربة قاسمة في المنطقة. فحزب الله يعتبر أكبر قوة مسلحة من غير الدول في المنطقة، وقد أُضعف بشكل كبير خلال هذه الحرب، وإن حافظ على جل مقاتليه وبنيته التنظيمية. كذلك أدى ضعف حزب الله إلى تخليه عن مواقعه في سوريا، التي ظل يدعم نظام الأسد فيها منذ ١٣ عامًا، الأمر الذي أدى إلى سقوط نظام الأسد في ١١ يومًا، بعد أن عجزت إيران والحزب عن دعم جيش النظام في مواجهة قوات المعارضة أثناء عملية ردع العدوان. وبعد أن فقد المحورُ سوريا، انقطعت طرق الإمداد والاتصال مع حزب الله في لبنان، مما زاد من ضعف المحور وانزوائه. كذلك، فبعد أن وصل الوضع الاستراتيجي والسياسي لإيران وحزب الله إلى هذا الضعف، تُركت جبهة غزة وحدها تمامًا لتعيث إسرائيل فيها كما تشاء. وبتفكك مبدأ "وحدة الساحات" تدهورت هيبة إيران ومحورها في المنطقة، وضعفت ثقة حلفائها فيها، حتى إن بعض المحللين الإسرائيليين اعتبروا تفكك استراتيجية وحدة الساحات أهم إنجاز لإسرائيل في تلك الحرب[٥].

الاطلاع: ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/0JZTbvr2

(1) Andie Parry, Annika Ganzeveld, Johanna Moore, Carolyn Moorman, Ben Rezaei, and Brian Carter, Iran Update, 16 November 2024, Accessed at: 28 October 2024, available at: https://2u.pw/qpofDJeR

(٢) اتفاق وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله: الدوافع والتحديات، وحدة الدراسات السياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢ ديسمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/WS8UqaEr

(٣) المصدر السابق، ص ١.

(٤) المصدر السابق، ص ٢

(٥) إعلام إسرائيلي: أهم انجازات التسوية مع لبنان هو تفكيك وحدة الساحات، الجزيرة نت، ٢٢ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Mmd6ESvl

خاتمة:

بعد نهاية الحرب باتفاق وقف إطلاق النار يوم ٢٦ نوفمبر، أعلن كل من حزب الله وإسرائيل انتصاره في تلك الحرب. إلا أن الانتصار الحقيقي لا يمكن قياسه إلا بتحقيق الأهداف الاستراتيجية والسياسية، وفرض إرادة المنتصر على الخصم. وإن كان ثمة طرف حقق أهدافه العسكرية والاستراتيجية المعلنة، فهو إسرائيل ولا شك. ربما نجح حزب الله في الإبقاء على النواة الصلبة لمقاتليه، وربما كانت هذه هي الاستراتيجية الصحيحة في تلك الحرب، إلا أن آخر ما يمكن أن يدعيه هو الانتصار في تلك المعركة.

لقد خسر حزب الله في تلك الحرب معظم المواقع والبنى التحتية والذخيرة والأسلحة والقدرات العسكرية التي ظل يراكمها طوال خمسة عشر عامًا في جنوب لبنان منذ نهاية حرب ٢٠٠٦. كذلك خسر جل قياداته السياسية والعسكرية المؤثرة، وخضع لإرادة إسرائيل في فصل جبهته عن جبهة غزة. والأهم من كل ذلك، أن تلك الهزيمة ربما تكون قد أفقدته هيبته ونفوذه في السياسة الداخلية اللبنانية نفسها[1]. لقد دفع الحزب ثمنًا غاليًا لخوضه حربًا خاسرة لصالح نظام البعث في سوريا. تلك الحرب في سوريا كشفت الحزب ومقاتليه وهياكله التنظيمية وخطوط إمداده اللوجستية، الأمر الذي مكن إسرائيل فيما بعد من إلحاق مثل تلك الهزيمة الكارثية به، وهو ما كشفته صحيفة النيويورك تايمز بشكل واضح وصريح[2].

أما إسرائيل، فقد استغلت تلك السنوات الخمسة عشر في الاختراق الاستخباري وجمع المعلومات والتخطيط الدقيق، وهو ما آتى أكله في حربها على حزب الله؛ حيث استطاعت تطويع إرادة الحزب وتحقيق الغالبية العظمى من أهدافها الاستراتيجية والسياسية في لبنان، بل وفي المنطقة بأسرها، في شهرين فقط من العمليات العسكرية، وبكلفة بشرية ومادية لا تكاد تقارن بما تكبده الحزب أو حاضنته الشعبية أو حتى لبنان كلها.

إن نتائج تلك الحرب الكارثية على محور المقاومة بقيادة إيران، لا بد أن تدفع قادة ذلك المحور إلى إعادة النظر في سياساتهم واستراتيجياتهم في الصراع مع إسرائيل. وأهم الدروس التي ينبغي تعلمها هو عدم جدوى دعم الأنظمة القمعية في مواجهة الإرادة الشعبية الجارفة، كما وقع في سوريا، حين قدمت إيران وحزب الله كل الدعم لنظام البعث وحاولا القيام بعمليات التغيير الديمغرافي والمذهبي بالقوة، وبذلك أنهكت نفسها وكشفت أسرارها وخسرت الكثير من رصيدها الشعبي في المنطقة، الأمر الذي انتهى بانزوائها وتراجع مشروعها إلى أجل لا يعمله إلا الله.

(1) Michael Young, Is Hezbollah Moving In?, Carnegie Endowment for International peace, 23 October 2024, Accessed at: 30 December 2024, available at: https://linksshortcut.com/diPjq

(2) Mark Mazzetti, Sheera Frenkel and Ronen Bergman, Behind the dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli intelligence, 29 December 2024, Accessed at: 30 December 2024, available at: https://2u.pw/l68TRi09

محور المقاومة ضد إسرائيل: الخريطة، والإمكانات، والأدوار

أسماء البنا*

مقدمة:

منذ اليوم التالي لعملية طوفان الأقصى في قطاع غزة في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، شاركت أذرع وقوى محور المقاومة - وإن بنسبٍ محددة- في الحرب ضد إسرائيل دعمًا لحماس ونصرةً لغزة. وقد شارك حزب الله بوصفه أهم أذرع محور المقاومة في الحرب عبر استهداف واستنزاف الجيش الإسرائيلي وإشغاله على الحدود الشمالية لتخفيف العبء العسكري عن غزة، وفق قواعد اشتباك منضبطة على مستوياتٍ متعددة. إلا أنه، وخلال الأشهر القليلة الماضية، أخذ الصراع بين حزب الله وإسرائيل على الحدود اللبنانية الفلسطينية يتصاعد إلى حد بلوغ الحرب المباشرة المفتوحة والاجتياح البري للأراضي اللبنانية من جانب إسرائيل في الأول من أكتوبر ٢٠٢٤. أدى ذلك إلى ردود أفعال متباينة في الشدة والتأثير من جانب محور المقاومة، وطرح تساؤلات عن مدى تطور وملاءمة أدوار واستراتيجيات المحور في التصدي للمتغيرات الإقليمية.

في ضوء ذلك، تناقش الورقة تطور دور وإمكانيات محور المقاومة بعد التصعيد بين حزب الله وإسرائيل واجتياح لبنان. وننطلق في هذا الصدد من سؤال رئيسي: كيف تطور دور وإمكانيات محور المقاومة في مواجهة إسرائيل بعد اجتياح الأراضي اللبنانية؟ وكيف تفاعلت مكونات محور المقاومة مع هذا التصعيد؟ وعليه تنقسم الورقة إلى أربعة محاور؛ يناقش **الأول** نشأة وتطور محور المقاومة، ويناقش **الثاني** دور واستراتيجيات محور المقاومة في المنطقة قبل طوفان الأقصى، بينما يسلط **المحور الثالث** الضوء على استجابة ومشاركة المحور بعد طوفان الأقصى والحرب ضد إسرائيل، وأخيرًا يتناول **المحور الرابع** دور محور المقاومة واستجابته بعد التصعيد بين حزب الله وإسرائيل والاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية.

المحور الأول- محور المقاومة: النشأة، والتطور

ظهر مصطلح "محور المقاومة" كنقيض لمصطلح "محور الشر" الذي استخدمه الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن عقب أحداث سبتمبر ٢٠٠١، للإشارة إلى السياسات المعادية للولايات المتحدة التي كانت تنتهجها إيران والعراق وكوريا الشمالية في ذلك الوقت. ولأن مصطلح "محور الشر" حمل إيحاءات أيديولوجية وقيمية سلبية، فقد كان من الطبيعي أن يتعرض لانتقاداتٍ لاذعة وردود فعل مقابلة. وقد اختلفت الآراء حول استخدام مصطلح "محور المقاومة" للمرة الأولى؛ فتذهب بعض الآراء إلى نشر مجلة الزحف الأخضر اللبيبة لمقال عام ٢٠٠٢ جاء فيه أن رفض الهيمنة الأمريكية على العالم ومنطقة الشرق الأوسط هو القاسم المشترك بين سياسات الدول الثلاث التي تُسمى "محور الشر"، ومن ثم فالأجدر أن تُسمى "محور المقاومة"، بينما يذهب آخرون أن المصطلح تم استخدامه بدايةً بواسطة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله وعدد من قادة الحزب والمسؤولين الإيرانيين، وبعض وسائل الإعلام المؤيدة لهذا المحور مثل قناتي الميادين والمنار[١].

ويضم هذا التحالف دولا ذات سيادة مثل إيران وسوريا، بجانب فاعلين من غير الدول مثل حزب الله اللبناني وجماعة أنصار الله في اليمن، وبعض الفصائل العراقية، وحركتي المقاومة الإسلامية حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين. ويرعى هذا المحور فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، وقد

---

* باحثة في العلوم السياسية.

(١) حسن نافعة، "محور المقاومة" في مرآة "طوفان الأقصى"، الميادين، ١٩ سبتمبر ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/kxvlby

أشرف على تطويره وتنظيمه القائد السابق للفيلق اللواء قاسم سليماني، ومهمات هذا المحور الدفاع عن دول وقوى المقاومة في كل المنطقة، ولا تقتصر مهماته على القضية الفلسطينية فحسب. وفي الوقت الحالي، يُستخدم مصطلح "محور المقاومة" في منطقة الشرق الأوسط بشكلٍ عام للدلالة على القوى (من الدول ومن غير الدول) التي تتشارك معًا في تقديم الدعم العسكري لفصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة وحزب الله في الحرب التي يشنها الكيان الصهيوني على قطاع غزة ولبنان[١].

نستطيع القول إن مفهوم "محور المقاومة" أو "محور الممانعة" يُشير إلى تحالف أيديولوجي وسياسي واسع يضم جماعات أقرب للأذرع الإيرانية في بلدانها، ومجموعاتٍ أخرى تحظى باستقلالٍ تام عن إيران وباقي محور المقاومة، ومجموعات ثالثة تشارك إيران في رسم سياسات مشتركة في المنطقة[٢]. والواقع أن هذا المحور لم يظهر فجأةً إلى حيز الوجود، وإنما تعود جذوره الحقيقية إلى نهاية سبعينيات القرن العشرين التي شهدت حدثين على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية: خروج مصر من المعادلة العسكرية للصراع مع الكيان الصهيوني عقب توقيعها على اتفاقيتي كامب ديفيد والسلام عامي ١٩٧٨، و١٩٧٩، واندلاع ثورة إيران الإسلامية في يناير عام ١٩٧٩. ولأن سوريا هي الدولة العربية الوحيدة التي أيدت الثورة الإيرانية، ورأت في نجاحها عمقًا استراتيجيًا للقوى الرافضة لفرض التسوية بالشروط الإسرائيلية على دول المنطقة، فقد شكل تحالفهما منذ تلك اللحظة النواة الأساسية للمحور المقاوم للمخططات الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة، والرافض لتصفية القضية الفلسطينية[٣].

تبلور وجود هذا المحور وثقله خلال العقود السابقة، من دون وجود اتفاق هيكلي أو اتحاد شكلي أو بنية تنظيمية مؤسساتية. ومن خلال متابعة التطورات وطبيعة الصراع الجيوستراتيجي القائم على مستوى المنطقة، فإن محور المقاومة الذي بدأت دائرة أعضائه بالاتساع والزيادة، مر بثلاث مراحل متتالية؛ **مرحلة النشأة والوجود (١٩٧٩-١٩٩٠)**، شهدت هذه المرحلة خروج مصر من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي بعد اتفاقية السلام وكامب ديفيد. كما شهدت تلك الفترة الثورة الإسلامية الإيرانية بقيادة الخميني في ١٩٧٩ والإطاحة بنظام الشاه الموالي للهيمنة الأمريكية في المنطقة -كما أُشير. رفعت الثورة شعارات معاداة الكيان الصهيوني والهيمنة الأمريكية ودعم القضية الفلسطينية، وفي عام ١٩٨٢، ومع قيام الاحتلال الإسرائيلي باجتياح بيروت أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، تم الاتفاق على تأسيس حزب الله والذي حمل اسم المقاومة الإسلامية حتى عام ١٩٨٥[٤].

مثلت **المرحلة الثانية (١٩٩٠ -٢٠٠٦)** مرحلة تكامل وتقارب. فقدت شهدت تلك المنطقة حرب الخليج الثانية، واستدعاء القوات الأمريكية إلى الخليج، وتمكن الكيان الإسرائيلي من عقد اتفاقيات سلام والتنسيق مع السلطة الفلسطينية عبر اتفاقية أوسلو ومع الأردن من خلال اتفاقية وداي عربة في ١٩٩٣-١٩٩٤. كما سقط الاتحاد السوفيتي وتفردت الولايات المتحدة بالهيمنة الدولية، وغاب أي دعم عربي لانتفاضة القدس الأولى عام ١٩٨٧. وقد شكلت تلك العوامل دوافع قوية للتقارب بين سوريا وإيران من ناحية، وبين حزب الله وحركات المقاومة الفلسطينية من جانبٍ آخر. وفي تلك المرحلة، قدمت كل من إيران وسوريا دعمًا سياسيًا ولوجستيًا لحركات المقاومة. وهو ما انعكس بشكلٍ جلي على أداء العمليات الفدائية لحركات المقاومة، والتي تمثلت بدايةً في إيقاع الخسائر بالعدو الإسرائيلي في عدوانه الذي شنه تحت مسمى "تصفية الحسابات" في يوليو ١٩٩٣،

(١) محور المقاومة.. تحالف إقليمي لمواجهة إسرائيل، الجزيرة، ١٩ يوليو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع:: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/fxbolw

(٢) محمد علي إسماعيل، مستقبل محور المقاومة وسيناريوهات التوسُّع الإقليمي للحرب، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٧ مايو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع:: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/puezan

(٣) حسن نافعة، "محور المقاومة" في مرآة "طوفان الأقصى"، مرجع سابق.

(٤) محور المقاومة والممانعة والاستثمار في الفشل، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، ٥ يناير ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع:: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/zbD1EtAF

ومن ثم "عناقيد الغضب" في أبريل ١٩٩٦، وصولًا إلى تمكن المقاومة اللبنانية في لبنان من إجبار العدو على الانسحاب من معظم أراضي الجنوب المحتلة والبقاع الغربي في مايو ٢٠٠٠، بعد استنزافه.

منذ العام ٢٠٠٦، دخل المحور مرحلةً جديدة؛ فقد تم توجيه اتهامات الإرهاب، وبالتالي تضييق الخناق على سوريا وإيران وحزب الله من جانب الولايات المتحدة وفرض العقوبات الاقتصادية. وصولا إلى العام ٢٠١١ حيث الربيع العربي وفي إطاره الثورة السورية، إذ حاولت الولايات المتحدة توظيف المشهد لصالحها والتخلص من النظام السوري المتحالف مع إيران. وفي هذا السياق، واجه محور المقاومة أكثر التحديات صعوبةً نتيجة التورط في الحرب الأهلية السورية، وما ترتب على ذلك من استنزاف وتشتت لقوى المحور. وهو ما انعكس على وضع قواه وبالتحديد حزب الله، الذي أدت مشاركته في الحرب في سوريا إلى انكشافه أمنيًا واستخباراتيًا وسهولة اختراقه من جانب إسرائيل فيما بعد[١]. وعلى الرغم من ذلك، استطاع المحور الحفاظ على وجوده محاولا مواءمة التطورات[٢].

المحور الثاني- الدور والاستراتيجيات قبل طوفان الأقصى

تشكل محور المقاومة بقيادة إيران في منطقة الشرق الأوسط بشكلٍ تدريجي. إذ بدأت إيران منذ مطلع التسعينيات في دعم الحركات الفلسطينية الرافضة لاتفاقية أوسلو، ثم استطاعت بعد سقوط النظام العراقي عام ٢٠٠٣ أن تُنشئ وتنشر المليشيات التابعة لها في العراق. ومع مجيء الربيع العربي، تحالفت إيران مع النظام السوري في قمع الثورة السورية، واستطاعت بعد عام ٢٠١١ توطيد تواجدها في سوريا. وفي اليمن استطاعت جماعة أنصار الله الحوثية، التي استثمرت فيها إيران لفترة طويلة قبل ذلك، أن توسع نفوذها حتى سيطرت عام ٢٠١٤ على العاصمة صنعاء. بالإضافة إلى ذلك، فلإيران امتداداتها الاجتماعية والثقافية الديموغرافية والاقتصادية المعقدة، الأمر الذي ساعدها لأن تقوم بلعب أدوارٍ إقليمية بتوظيف ومساعدة من محور المقاومة[٣]. فما أهم ملامح الدور الذي لعبه محور المقاومة قبل عملية طوفان الأقصى في منطقة الشرق الأوسط، وكيف توسع وطور من استراتيجياته؟

مثل غزو الولايات المتحدة للعراق في عام ٢٠٠٣ مرحلة مهمة في تشكيل وتطوير محور المقاومة. فقد وفر الغزو لإيران فرصةً لدعم الجماعات الشيعية في العراق، كأحد الأذرع المهمة لمحور المقاومة. كما أدى الغزو إلى تعزيز الوزن السياسي للشيعة في العراق وتحسين أوضاعهم وتأثيرهم السياسي، مما جعل العراق ركنًا وشريكًا استراتيجيًا لإيران في المنطقة انطلقت منه إلى باقي الدول. وقد حاولت إيران استثمار السنوات الأولى بعد سقوط نظام صدام حسين، وسعت إلى خلق عراق شيعي ليصبح حليفًا استراتيجيًا لها في المنطقة، وحاولت تعزيز نفوذها الأمني والاقتصادي في أوساط الشيعة في العراق. وقد ساعدها ذلك في بسط نفوذها، ومده إلى العديد من الدول، وتدعيم دور محور المقاومة في لبنان وسوريا وفلسطين[٤].

استمر الدور الإيراني في تطوير محور المقاومة وفي التوسع في المنطقة، وبمجيء عام ٢٠١١، وقيام الثورات في عددٍ من الدول العربية، سيطرت حالة من عدم الاستقرار الإقليمي الواسع والمتداخل. وسعت إيران إلى توسيع نفوذها من خلال بذل مزيدٍ من الجهود لتوسيع وتدعيم محور المقاومة كأداة مهمة في إعادة

(١) محمد سالم، تورُّط مليشيا "حزب الله" في سوريا.. من التوظيف إلى الاختراق الأمني، مركز الحوار السوري، ١ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٩ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/usqngh

(٢)محمد نادر العمري، محور المقاومة.. النشأة والتطوّر ووحدة المصير، الميادين، ٦ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/dbpnuf

(٣) منير موسى، آسية قوراري، موقف إيران كقوة تعديلية في ميزان القوى الجديد في الشرق الأوسط، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، ١٣ سبتمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/xmyioc

(٤) محجوب الزويري، العبء المذهبي: العوامل الحاكمة للسياسة الإيرانية تجاه العالم العربي، السياسة الدولية، ١٥ مارس ٢٠١٥، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/0bVbPh1b

تشكيل الواقع الإقليمي، وتعزيز تأثيرها في المنطقة[١]. إذ وسع فيلق القدس نشاطه واستراتيجياته في المنطقة منذ عام ٢٠١١، وكان مسؤولا بشكلٍ رئيسي عن توسع إيران في الشرق الأوسط. أدى ذلك إلى توسيع مسرح العمليات بشكلٍ فعال، حيث أضاف سوريا واليمن إلى نقاط التركيز السابقة في لبنان والعراق. وفي الوقت نفسه، لم يقتصر أمر فيلق القدس على توسيع وتدعيم الجماعات المتحالفة معه، حيث شمل الوافدون الجدد المليشيات ذات الخلفيات المختلفة في سوريا وكذلك الحوثيين في اليمن، وزاد أيضًا عدد المقاتلين الذين قادهم ودربهم وجهزهم وموّلهم كأذرع لمحور المقاومة. وفقًا لبعض التقديرات، ارتفع العدد الإجمالي من ١١٠,٠٠٠ إلى ١٣٠,٠٠٠ مقاتل في عام ٢٠١١، ومن حوالي ١٤٠,٠٠٠ إلى ١٨٠,٠٠٠ مقاتل في عام ٢٠١٨[٢].

ويفتخر الحرس الثوري بأن فيلق القدس أسس ٦٠ لواءً جديدًا مع ٧٠ ألف مقاتل في سوريا وحدها. وفي عام ٢٠١٥، حاولت إيران من خلال محور المقاومة إنشاء جبهة ثانية في سوريا، وتحقيقًا لذلك زودت حليفها حزب الله بصواريخ أكثر عددًا وأشد دقة. وفي العراق، أمنت المليشيات الموالية لإيران الجسر البري الذي تم نقل الأفراد والمعدات والأسلحة من خلاله من إيران إلى جنوب سوريا ولبنان، كما هاجموا القوات الأمريكية في البلاد لإجبارها على الانسحاب. ويمكن القول إن الانتفاضة في سوريا، وما تبعها من حربٍ أهلية، أدت إلى تقبل النظام السوري للتواجد الإيراني وتواجد حزب الله المكثف على الأراضي السورية وتأسيس نفوذ خاص وسط الشيعة. يشير ذلك إلى اكتساب إيران ومحور المقاومة جبهة جديدة جعلت محور المقاومة أكثر توسعًا ونفوذًا في المنطقة، وذلك تحت مظلة فيلق القدس ونشاطه في تأمين الجبهات وخطوط الإمداد والحدود[٣].

بالإضافة إلى مساعدة النظام السوري في قمع الثورة السورية، ساعد المستشارون العسكريون الإيرانيون والمليشيات المحلية التي تسيطر عليها إيران في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش). وفي اليمن، تمد الجمهورية الإسلامية دعمها للحوثيين منذ عام ٢٠١٤، لدرجة مكنت الحوثيين من فرض أنفسهم في مواجهة أطراف داخلية وخارجية، وردًا على ذلك التوسع، تدخلت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة في اليمن عام ٢٠١٥ لمنع انتصار الحوثيين. علمًا أنه منذ عام ٢٠١٧، تهاجم إسرائيل أهدافًا في سوريا والعراق بهدف وقف بناء الجبهة الثانية والجسر البري.

في هذا السياق، أعاد الرئيس الأمريكي جو بايدن تكرار نيته استخدام المفاوضات بشأن البرنامج النووي الإيراني لمناقشة توسع إيران. كما أوضحت الحكومات الأوروبية مرارًا وتكرارًا في السنوات القليلة الماضية أنها تعتبر نهج الجمهورية الإسلامية في لبنان وسوريا والعراق واليمن مثيرًا للمشاكل[٤].

كانت الخصائص والسمات العامة التي سادت البيئة الإقليمية والعالمية من بين أهم العوامل التي أسهمت في تطور محور المقاومة في تلك الفترة. إذ اجتاحت المنطقة موجات من الاضطراب والفوضى بعد ثورات الربيع العربي. فقد أدت الثورات إلى سقوط الأنظمة في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن، فضلا عن تصاعد خطر داعش في سوريا والعراق، واندلاع الصراعات الطائفية في العديد من الدول.

كل ذلك أسهم في زعزعة استقرار المنطقة ومفهوم الدولة

(1) Edward Wastnidge, Simon Mabon, The resistance axis and regional order in the Middle East: nomos, space, and normative alternatives, British Journal of Middle Eastern Studies, 21 Feb 2023, p. 8.

(2) Seth G. Jones, War by Proxy: Iran's Growing Footprint in the Middle East, Center for Strategic and International Studies (CSIS), 11 March 2019, accessed at: 17Novmber 2024, available at: https://2u.pw/nYCP4QhA

(3) Edward Wastnidge, Simon Mabon, Ibid, p. 7.

(4) Guido Steinberg, the "Axis of Resistance", German Institute for International and Security Affairs, August 2021, p. 5.

التقليدي، كما أدى هذا الوضع إلى تراجع في أدوار القوى الإقليمية التقليدية في المنطقة لصالح قوى جديدة تتمثل في إيران وتركيا والإمارات وقطر والسعودية. في ظل تلك التحولات برز نمطان من التحولات النوعية؛ الأول تمثل في الانهيار الأوسع للنظام الإقليمي العربي وتكثيف عمليات العنف والإرهاب بالمنطقة. بينما تجلى الثاني في فرض القوى الفاعلة الأخرى نفسها على علمية صنع القرار الإقليمي. ومع تلاقي هذه التحولات، تبلور هيكل جيوسياسي جديد في المنطقة انعكس على تطور محور المقاومة وتوسعه[١]. أما دوليًا، فقد أدى التقارب الروسي الإيراني خلال الأزمة السورية واستمرار هذا التقارب وتأكيده خلال الأزمة الأوكرانية فيما بعد، إلى دعم روسيا لتوسع النفوذ الإيراني في المنطقة وبالتالي توسع محور المقاومة[٢].

تُظهر الصورة الكلية أن إيران تغلغلت في المنطقة وأسست لنفسها قواعد قوية من خلال محور المقاومة. على الجانب الآخر، تواجه أطراف محور المقاومة معضلات حقيقية تتعلق بالاستقرار السياسي والتنمية. إذ تمثل أذرع محور المقاومة أطرافًا عسكرية، وغالبًا ما ينجحون في المواجهات المسلحة، لكنهم عاجزون بعد ذلك عن تطبيق النفوذ المكتسب لتحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي. وينطبق هذا، على سبيل المثال، على لبنان والعراق، حيث تمتلك مختلف القوى الموالية لإيران حق النقض الفعلي في السياسة وتستخدم موارد البلدين، دون أن تُبدي أي اهتمام بدولة فعالة. هذه الأطراف قوية عسكريًا لدرجة يبدو معها أنه لا يمكن إزالتها من السلطة، وفي الوقت نفسه، فإن الدول التي تهيمن عليها هذه الأطراف معرضة للفشل السياسي والاقتصادي وعدم الاستقرار على المدى الطويل.

في معظم البلدان، يؤدي هذا الوضع إلى حالة من الجمود؛ نجد أنه بعد سنوات من الانتشار في سوريا، أصبح حزب الله أقوى في لبنان، التي تشهد تدهورًا سياسيًا واقتصاديًا وارتفاع معدلات الفساد وعواقب الحرب. مما أدى إلى ظهور حركة احتجاج في أواخر عام ٢٠١٩، بما في ذلك ضد حزب الله، ومع ذلك لم يتمكن المتظاهرون من تقليل نفوذ الحزب الشيعي. لا يزال حزب الله القوة العسكرية المهيمنة في البلاد، ويؤثر ذلك على الإصلاحات السياسية في لبنان. أما في سوريا، تمكن بشار الأسد من زمام الحرب الأهلية بمساعدة إيران (وروسيا)، لكن أجزاء من البلاد لا تزال خارج سيطرته، علاوة على ذلك، فإن الاقتصاد في حالة سيئة للغاية، مما يعني أن أي استقرار للبلاد سيكون في المستقبل البعيد.

وفي العراق، أصبحت إيران أكثر قوة من أي وقتٍ مضى بسبب القوة المكتسبة حديثًا للمليشيات الموالية لها وأجنحتها السياسية. وقد شهدت العراق موجات من الاحتجاجات ضد الأحزاب والمليشيات الشيعية الموالية لإيران، لكن المتظاهرين لم يتمكنوا من إضعاف تلك الجماعات. في اليمن، نجح الحوثيون في تهديد المملكة العربية السعودية، وقد عززوا قدراتهم العسكرية. ومع ذلك، لم يتمكن الحوثيون من السيطرة على الجزء الجنوبي منها أيضًا. بالإضافة إلى ذلك، فإن الوضع الاقتصادي كارثي، مما سيساهم في بقاء اليمن دولة فاشلة، وبالتالي حليفًا ضعيفًا لسنواتٍ قادمة[٣].

محور المقاومة ووحدة الساحات:

تم إطلاق مصطلح "وحدة الساحات" بعد معركة "سيف القدس" التي أطلقتها حركة "حماس" في شهر مايو ٢٠٢١ دفاعًا عن المسجد الأقصى، وردًا على الانتهاكات الصهيونية للمسجد والقدس ومحاولة إزالة حي الشيخ جراح في القدس. وتمت ترجمة هذا المصطلح بصورةٍ واضحة على أرض الواقع، عبر إطلاق الصواريخ من قطاع غزة وجنوبي لبنان وسوريا، مع ارتفاع

(١) سعيد الصباغ، العمق الاستراتيجي الإيراني بمنطقة الشرق الأوسط دراسة حالة " محور المقاومة الإسلامية"، مجلة رسالة المشرق، المجلد ٣٧، العدد الأول، ٢٠٢٢، ص ص ١٨٥، ١٨٦.

(٢) عمار جلو، تطور العلاقات الروسية-الإيرانية بعد الحرب الأوكرانية، مركز الدراسات العربية الأوراسية، ٢٠ مايو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/umdrnh

(3) Ibid, p. 6.

وتيرة عمليات المقاومة في الضفة الغربية، واندلاع مواجهات في عدة مناطق في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨[١]، وقد تعزز هذا المصطلح بعد معركة حركة الجهاد الإسلامي في أبريل ٢٠٢٣ والتي انتهت بوقف إطلاق النار. في هذا السياق يقصد بـ "وحدة الساحات" تحريك عدة ساحات أو جبهات في الوقت نفسه ضد العدو الإسرائيلي، حتى لو بدأت المعركة إحدى حركات المقاومة لأسبابٍ معينة. وهذه الساحات تشمل قطاع غزة، والضفة الغربية، ولبنان، والجولان السوري، والعراق، واليمن، وأحيانًا يشارك فيها فلسطينيو ١٩٤٨. وتشير وحدة الساحات إلى وجود تنسيق وتعاون بين كل قوى المقاومة في المنطقة، قد يتجلى في إنشاء غرفة عمليات مشتركة ونشاطات مشتركة في التدريب وتبادل الخبرات والمعلومات الاستخباراتية[٢].

بشكلٍ عام، وظفت إيران في سبيل إنجاح تمددها وتواجدها في المنطقة مختلف الأدوات الصلبة والناعمة، ودعمت أذرع محور المقاومة بتوفير التخصيصات المالية واللوجستية. وقد ساعد على اتساع الدور الإيراني في المنطقة عدد من العوامل من أهمها تراجع دور القوى التقليدية مثل مصر والعراق وسوريا، وما نتج عنه من فراغ في الساحة الإقليمية نتيجة لعددٍ من المتغيرات كان من أهمها غزو الولايات المتحدة للعراق وثورات الربيع العربي. أدى ذلك إلى لعب إيران أدوار إقليمية في عدة مواقع بالاعتماد على أدوات وآليات مختلفة من أهمها أذرع محور المقاومة، وتوظيف المرجعية الدينية والسعي لهيمنة مذهبية على الشيعة، وجذب قطاعاتٍ من مواطني دول الجوار الإيراني لمشروعها، لتحصيل أكبر عددٍ من الأتباع والمؤيدين للنظام في الخارج، والتأثير السياسي على كافة طوائف الشيعة[٣].

المحور الثالث- محور المقاومة بعد طوفان الأقصى

شنت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" صباح السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ هجومًا مباغتًا استهدف مواقع للجيش الإسرائيلي في غلاف قطاع غزة، وتمكنت من السيطرة على قاعدةٍ عسكرية كبيرة وعددٍ من المواقع ونقاط المراقبة الإسرائيلية المنتشرة على حدود القطاع، كما سيطرت وحدات كوماندوس تابعة للحركة على نحو ٢٠ مستوطنة إسرائيلية داخل ما يسمى "الخط الأخضر". وأسفرت هذه العملية، غير المسبوقة، وفق المعطيات التي أعلنها الجيش الإسرائيلي عن مقتل أكثر من ١٢٠٠ عسكري ومدني إسرائيلي، وإصابة نحو ٣٠٠٠ جريح، بينهم العديد من كبار الضباط، كما أسرت حماس وفصائل أخرى أكثر من ١٣٠ إسرائيليًا. وقد جاءت العملية التي أطلقت عليها حماس اسم "طوفان الأقصى" على خلفية الاعتداءات المستمرة التي تقوم بها حكومة اليمين، الأكثر تطرفًا في تاريخ إسرائيل ضد المدنيين الفلسطينيين في الضفة الغربية، مستبيحة أراضيهم تمهيدًا لمصادرتها وتهويدها، إضافةً إلى اعتداءات المستوطنين المتكررة على المسجد الأقصى بحماية من الجيش وأجهزة الأمن الإسرائيلية. كما كانت قد حشدت الحكومة الإسرائيلية نحو ٣٠ كتيبة من قوات الجيش في الضفة الغربية المحتلة لردع أي رد فعل فلسطيني على ممارسات المستوطنين، وتمهيدًا لاقتحام المخيمات والبلدات والمدن الفلسطينية التي تشهد عمليات مقاومة ضد قوات الاحتلال والمستوطنين. أما في قطاع غزة، فتستمر إسرائيل في حصاره منذ عام ٢٠٠٦، وتقلص حقوق الأسرى الفلسطينيين، وتزيد سوء معاملتهم، وترفض عقد اتفاق لتبادل الأسرى، مستغلةً ضعف الموقف العربي واستعداد دول عربية عديدة لتطبيع العلاقات معها بمعزل عن الحقوق الفلسطينية[٤].

تأخر الرد الإسرائيلي لساعاتٍ بعد عملية طوفان الأقصى

(١) عوض الرجوب، في ذكراها الأولى.. كيف شكّلت معركة "سيف القدس" نقطة تحوّل في المقاومة الفلسطينية؟، الجزيرة، ١٧ مايو ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/xovcal

(٢) قاسم قصير، وحدة الساحات أو وحدة الجبهات أو محور المقاومة: بين الشعارات والوقائع، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/nhUiJua

(٣) منير موسى، آسية قوراري، مرجع سابق.

(٤) عملية "طوفان الأقصى": انهيار الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه غزة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ١٢ أكتوبر ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/mUfEjjU

وتمثل بإعلان حرب واسعة النطاق على قطاع غزة، حرب حددت لها تل أبيب ثلاثة اهداف أساسية: أولها تحرير الأسرى الإسرائيليين، والثاني تفكيك المقاومة الفلسطينية في غزة وسحق حماس، والثالث إحداث تغيير ديموغرافي في قطاع غزة بما يضمن أمن المستوطنات في غلافها ويمنع الهجوم عليها مجددًا، وهو هدف يرمي ضمنيًا -كما اتضح- إلى إفراغ شمال غزة من سكانه وتهجير معظم سكان القطاع إلى خارجه. وكان من المتوقع أن تُنهي إسرائيل حربها في غضون ثلاثة أشهر في حدٍ أقصى، لكن عاملين حالا دون توقف الحرب ضمن هذه القيود: **الأول**، العجز عن تحقيق أي إنجاز عسكري أو استراتيجي، حيث أبدت المقاومة والشعب الفلسطيني في غزة بسالةً وشجاعةً وصلابةً منقطعة النظير، ومن ثم كان وقف النار في هذه الوضع إقرارًا بالهزيمة. **أما العامل الثاني**، فهو خشية مسؤولين في المستويين السياسي والعسكري من وقف الحرب دون نصر، وبالتالي ملاحقتهم بعد ذلك بمسؤوليتهم عن التقصير الذي أدى إلى هزيمة ٧ أكتوبر. أفضى ذلك إلى ممارسة إسرائيل أبشع الجرائم الإنسانية في قطاع غزة من قتل وتشريد وتهجير وتجويع وحرمان القطاع من أدنى متطلبات المعيشة من ماءٍ وغذاءٍ ودواء، وارتكاب مئات المجازر ضد مدنيين[١]، حيث وصل عدد الشهداء في فلسطين حتى نوفمبر ٢٠٢٤ إلى أكثر من ٤٣ ألف شهيد طبقًا للجهاز المركزي للإحصاء في فلسطين، ويستمر العدد في التزايد[٢].

مسارات التفاعل واختبار وحدة الساحات:

بعد أقل من أسبوع على هجوم طوفان الأقصى بدأ وزير الخارجية الإيراني الراحل حسين أمير عبد اللهيان، أولى جولاته الخمس على دول المنطقة؛ بهدف عقد مشاورات مع مسؤولي دول الجوار ولقاءات تنسيقية مع قادة جماعات محور المقاومة وتوجيه رسائل إقليمية، فتوجه إلى العراق وواصل زيارته إلى دمشق، ومنها إلى بيروت، وانتهى المطاف في الدوحة. وحينها وجهت إيران رسالة لإسرائيل، بأنها قد تواجه عدة جبهات إذا لم تتوقف عملياتها العسكرية في غزة. أما ثاني محطة لإيران بعد طوفان الأقصى، فقد بدأت بعد شهر من اندلاع الحرب في غزة؛ حيث دعا المرشد الإيراني علي خامنئي إلى ما وصفه بقطع الشرايين الاقتصادية لإسرائيل، خصوصًا ممرات النفط والطاقة. ومنها دخلت الجماعات المرتبطة بطهران، وخاصةً جماعة الحوثي على خط الأزمة، وشنت هجمات على سفن تجارية على مدى أشهر، أثرت على حركة الملاحة في البحر الأحمر. كما باشرت المليشيات والفصائل العراقية الموالية لإيران، هجمات بالطائرات المسيرة على إسرائيل والقواعد الأمريكية على حدٍ سواء[٣].

وقد تجلت وحدة الساحات عمليًا بشكلٍ واسع في "طوفان الأقصى"، ففي خلال الفترة الممتدة من إطلاق هجوم طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ وحتى فبراير ٢٠٢٤، شن محور المقاومة أكثر من ١٦٠ هجوم مسلح على القوات الأمريكية في العراق وسوريا، ونفذت قوات جماعة أنصار الله الحوثية عمليات عسكرية في البحر الأحمر أدت إلى ارتباكٍ كبير في حركة الملاحة البحرية، علاوةً على الهجوم على موقع "البرج ٢٢" بالأردن الذي أودى بحياة ثلاثة جنود أمريكيين[٤].

لقد وضعت الحرب في غزة استراتيجية وحدة الساحات على المحك، وذلك بعد أن أطلقت حركة حماس وكتائب عز الدين

(١) الأبعاد الاستراتيجية لتدخل دول محور المقاومة وحركاتها عسكريًا نصرةً لغزة، وتأثيراته، الرابطة الدولية للخبراء والمحللين السياسيين، ١٠ يوليو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/N3gsrNpB

(٢) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/k3v3Gfj

(٣) عادل السالمي، ثماني محطات إيرانية بعد «طوفان الأقصى»، الشرق الأوسط، ١٠ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/jghlcl

(٤) محمد السعيد إدريس، علاقات إيران مع محور المقاومة في ضوء تحديات طوفان الأقصى، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٨ مايو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/0ftVTN57

القسام معركة طوفان الأقصى دون التنسيق مع وحدات المقاومة الأخرى في المنطقة أو مع إيران نفسها. مع ذلك، شاركت قوى محور المقاومة في المعركة[١]، ففي الثامن من أكتوبر ٢٠٢٣، بعد مرور يوم واحد فقط على عملية "طوفان الأقصى" وبدء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، فتح **حزب الله** جبهة عسكرية محدودة ضد إسرائيل، انطلاقًا من مزارع شبعا التي تحتلها إسرائيل. ومنذ البداية، أوضح حزب الله أنه لا يسعى لمواجهةٍ شاملة، بل أنه يهدف إلى حملة استنزاف محدودة لمساندة المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، وأكد أنه لن يوقف هذه الحملة إلا عندما تُوقف إسرائيل حربها العدوانية على القطاع[٢].

على الجبهة اليمنية، كان القرار الاستراتيجي المحوري الذي اتخذه أنصار الله الحوثيون، المتضمن إغلاق باب المندب والبحر الأحمر في وجه الملاحة البحرية التي تؤدي مصلحة لإسرائيل بالعمل من وإلى مرافئها، قرارًا فاجأ العدو والصديق، وقد وُضع موضع التنفيذ الفوري واستمر العمل به وبشكل تصاعدي رغم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية بقواتها العسكرية مع حلفاء جمعتهم تحت عنوان "التحالف الدولي حارس الرخاء" لحماية الملاحة الدولية. وقد تسبب هذا الموقف اليمني بإغلاق مرفأ أم الرشراش -إيلات في فلسطين المحتلة- وتعطيل الملاحة الدولية التي تستفيد منها إسرائيل، وأرسل رسالة مضمونها "أوقفوا حصار غزة نوقف حصارنا لكم[٣]". وكان للمقاومة العراقية مساهمتها ودورها أولا ضد القواعد الأمريكية؛ انتقامًا من الولايات المتحدة التي أقامت الجسور الجوية لتزويد إسرائيل بالسلاح والذخيرة بشكلٍ غير محدود، ثم استهدفت بعض الأهداف داخل إسرائيل[٤].

وفي خلاصة المشهد الميداني، يمكن القول إننا شهدنا العديد من التحركات لتثبيت منطق "وحدة الساحات"، لكنها لم تصل إلى مستوى إطلاق الحرب الشاملة والمشتركة. وقد يعود ذلك إلى غياب التنسيق والتحضير المسبق بين هذه القوى -كما سلف الذكر- وكذلك لأن بدء حرب شاملة قد يؤدي إلى حربٍ دولية كبرى في المنطقة، وخصوصًا في ظل التهديدات الأمريكية لإيران وحزب الله بأن توسعة الجبهة ستؤدي إلى ردودٍ قاسية عليهما. مع الإشارة إلى أن توسعة الجبهة وتحولها إلى حرب شاملة بقيا احتمالًا قائمًا في حال لم تتوقف الحرب على غزة[٥].

المحور الرابع- دور محور المقاومة بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان

منذ عملية طوفان الأقصى اتخذت المواجهة بين حزب الله وإسرائيل على الحدود اللبنانية الفلسطينية منحى منضبط نسبيًا وفق قواعد اشتباك محددة. إلا أنه خلال الشهرين الماضيين أخذت تلك المواجهة منحى تصاعديًا بلغ حد الحرب المفتوحة بين الطرفين، بدأت بعمليات أمنية دقيقة وقصف جوي كثيف استهدف قادة الصف الأول من حزب الله، ونحو أربعة آلاف عضو عسكري ومدني في الحزب عبر عمليات تفخيخ أجهزة التبليغ والاتصال لديه، فضلًا عن ضرب المواقع الأمامية والخلفية، بما فيها الأنفاق ومخازن الأسلحة. وفي الأول من أكتوبر ٢٠٢٤ بدأت إسرائيل هجومها البري على لبنان، محاولةً الدخول إلى الأراضي اللبنانية[٦]. في هذا القسم تناقش الورقة تطور المواجهات بين حزب الله وإسرائيل، وصولا إلى الحرب

(١) قاسم قصير، مرجع سابق.

(٢) المواجهة بين حزب الله وإسرائيل واحتمالات اندلاع حرب شاملة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٣ يوليو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/jKJZRN9D

(٣) على الذهب، انخراط الحوثيين في حرب غزة وتداعياته على أمن البحر الأحمر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٨ يناير ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/QJ2lePLR

(٤) المقاومة الإسلامية في العراق.. فصائل موالية لإيران تكتلت بعد طوفان الأقصى، الجزيرة، ٥ فبراير ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح على الرابط التالي: http://surl.li/viyhft

(٥) قاسم قصير، مرجع سابق.

(٦) الحرب البرية الإسرائيلية على لبنان: أهدافها ومساراتها، مركز دراسات الوحدة العربية، ٩ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/olqwdz

البرية المباشرة، وتفاعل ودور محور المقاومة مع ذلك التصعيد.

منذ أعلن حزب الله عن فتح جبهة إسناد لغزة في اليوم التالي لعملية طوفان الأقصى، التزمت كل من إسرائيل وحزب الله بقواعد اشتباك محددة؛ إذ تبادلا القصف على جانبي الحدود بعمق يراوح بين ٥-١٠ كيلومترًا، علمًا أن هذا المستوى من الاشتباك أدى إلى نزوح أكثر من ٦٠ ألف مستوطن إسرائيلي ونحو ١١٠ آلاف مواطن لبناني على جانبي الحدود. وعلى الرغم من أن إسرائيل سوت قرى حدودية لبنانية كاملة بالأرض، واستهدفت بالاغتيال عددًا كبيرًا من عناصر وقادة حزب الله الميدانيين على مدى شهورٍ من المواجهة، في محاولةٍ منها لدفع الحزب إلى وقف إسناد غزة، وفك الارتباط بها، فإن قواعد الاشتباك ظلت مع ذلك قائمة بين الطرفين باستثناءات قليلة؛ منها اغتيال إسرائيل نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، صالح العاروري، في الضاحية الجنوبية لبيروت في يناير ٢٠٢٤. بدأ هذا الوضع يتغير في يوليو ٢٠٢٤؛ إذ استغلت إسرائيل سقوط صاروخ على مدرسة في قرية مجدل شمس في الجولان السوري المحتل، تسبب في مقتل عشرة أطفال (وقد نفى حزب الله بشدة مسؤوليته عنه) لتغيير قواعد الاشتباك. كان هذا القرار متخذًا بغض النظر عن المبرر اللحظي، لذا استهدفت إسرائيل في أواخر الشهر نفسه القائد العسكري لحزب الله، فؤاد شكر، في الضاحية الجنوبية، لتبدأ بعدها سلسلة اغتيالات شملت كبار قادة الحزب وأكثر أعضاء مجلسه الجهادي. واغتالت أيضًا رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، أثناء حضوره مراسم تنصيب الرئيس الإيراني المنتخب، مسعود بزشكيان، في طهران في يوليو ٢٠٢٤، كما أحبطت تل أبيب ما ادعت أنه تجهيز لرد حزب الله على اغتيال شكر بقصف واسع لمنصات إطلاق الصواريخ في الجنوب. وفي حين تمسك حزب الله بعملية إسناد هدفها تخفيف الضغط عن غزة والتضامن مع المقاومة فيها ضمن قواعد اشتباك محددة، وتجنب الحرب مع إسرائيل في الوقت ذاته، انتقلت إسرائيل إلى وضع أهداف استراتيجية ذات علاقة بوضع حزب الله عمومًا؛ ما اقتضى عدم الالتزام بأي قواعد اشتباك والانتقال إلى الحرب[١].

وكانت الحرب قد بدأت عمليًا قبل نحو أسبوعين من الاجتياح البري، عندما قامت إسرائيل بتفجير آلاف من أجهزة النداء "البيجر" التي يستخدمها قادة وعناصر في الحزب يوم ١٧ سبتمبر ٢٠٢٤، بعد أن جرى زرع عبوات ناسفة صغيرة فيها قبل أن تُباع لحزب الله. وقد أدت هذه العملية الإرهابية الإجرامية إلى مقتل العشرات وإصابة الآلاف، من بينهم مدنيون. وكان قد تحول حزب الله إلى استخدام هذه الأجهزة بعد أن تبين له أن الاتصال بالهاتف المحمول لم يعد آمنًا نتيجة استغلال إسرائيل له في تحديد مواقع قادته وعناصره، ومن ثم استهدافهم. في اليوم التالي، قامت إسرائيل بتفجير أجهزة اللاسلكي (Walkie-Talkie) لتشل بذلك شبكة اتصالات حزب الله كاملة[٢].

مثلت تلك الخطوة مقدمة لتصعيد أكبر قامت به إسرائيل؛ شمل، في اليوم العشرين من الشهر نفسه اغتيال إبراهيم عقيل، قائد العمليات الخاصة في الحزب، إلى جانب قادة من وحدة الرضوان. وفي ٢٣ سبتمبر أطلقت إسرائيل عملية "سهام الشمال"، وهي أعنف حملة قصف جوي يشهدها لبنان منذ حرب ٢٠٠٦، وشملت مختلف المناطق اللبنانية من الجنوب وصولًا إلى المعابر الحدودية مع سوريا في الشمال[٣]. وجاءت ذروة التصعيد الإسرائيلي في ٢٧ سبتمبر باستهداف مقر القيادة المركزية لحزب الله، وقد أدت إلى اغتيال أمينه العام، حسن نصر الله، وقادة عسكريين آخرين، لتبدأ بعدها عملية قصف واسع النطاق شملت الضاحية الجنوبية ومناطق أخرى على

(١) العدوان الإسرائيلي على لبنان بعد استهداف مقر القيادة المركزية لحزب الله واغتيال أمينه، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/MYLu7jdY

(٢) ٩ قتلى و٢٧٥٠ مصابا في انفجار أجهزة اتصال بلبنان وحزب الله يتوعد إسرائيل، الجزيرة، ١٧ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/nvssvo

(٣) آمال شحادة، "سهام الشمال" تجر المنطقة إلى حرب شاملة وفريق إسرائيلي لرسم خريطة طريق لإنهائها، اندبندت عربية، ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/acshid

امتداد لبنان[١].

ورغم أن القتال برًّا ظل محصورًا بعد شهر من اندلاعه على طول الحدود بسبب المقاومة الشديدة التي يُبديها حزب الله، فإن نطاق الضربات الجوية شمل أجزاءً واسعة من لبنان مع التركيز خصوصًا على المناطق التي توجد فيها قواعد لحزب الله أو حاضنته الشعبية، مثل الضاحية الجنوبية لبيروت والبقاع والجنوب، حيث جرى تشريد أكثر من مليون شخص. وتهدف الحملة العسكرية الإسرائيلية، التي أدت أيضًا إلى دمار واسع خاصةً في القرى الجنوبية، إلى إجبار حزب الله والحكومة اللبنانية على الرضوخ للشروط الإسرائيلية الهادفة إلى تعديل قرار مجلس الأمن ١٧٠١؛ بما يضمن نزع سلاح حزب الله، أو على الأقل ضمان عدم استعادته قوته أو وجوده في مناطق جنوب نهر الليطاني[٢].

استجابة محور المقاومة للعدوان الإسرائيلي على لبنان:

منذ الأيام الأولى للحرب استعاد حزب الله منظومة القيادة والسيطرة لديه بدرجةٍ معقولة؛ فواجه عمليات التدخل البري الإسرائيلية، المدعمة بهجماتٍ متواصلة من سلاح الطيران الحربي والمسير، بإمكانيات قتالية وتسليحية وتنظيمية حالت دون تحقيق الهجوم البري الإسرائيلي طوال الشهر الأول من الحرب أي اختراق استراتيجي يُذكر لخطوط الدفاع الأمامية للمقاومة في جنوب لبنان، أو حتى أي احتلال كامل لقرى وبلدات لبنانية تقع على حافة الحدود اللبنانية – الفلسطينية، بل إن تلك الإمكانيات أوقعت في صفوف الجيش الإسرائيلي خسائر بشرية وتسليحية عالية.

كما حافظت المقاومة في لبنان خلال الشهر الأول من الحرب البرية، على القيام بعمليات هجومية دفاعية بالصواريخ والمسيرات في أعماق الكيان الصهيوني، وبخاصةٍ في شمال إسرائيل الذي يحوي المواقع الخلفية للقوات الإسرائيلية المشاركة في الحرب وبعض الصناعات العسكرية الحساسة، والكثير من النقاط الحيوية والاستراتيجية لديه. لذا تلجأ إسرائيل في هذه الحرب، على نمط حرب غزة، إلى التعويض عن فشلها في تحقيق أهدافها العسكرية باستهداف المدنيين وتدمير الأحياء السكنية والمنشآت الصحية والتعليمية والثقافية في القرى والمدن التابعة للبيئة الحاضنة للمقاومة، لممارسة المزيد من الضغط السياسي والمعنوي على المقاومة وحاضنتها[٣].

في الوقت نفسه، ومنذ بداية العدوان الإسرائيلي على حزب الله، شنت **المليشيات العراقية** ضمن إطار ما يُعرف بـ"المقاومة الإسلامية في العراق" هجمات متفرقة بالطائرات المسيرة ضد إسرائيل، وأعلنت الأخيرة اعتراضها بالطائرات الحربية. كما قامت المليشيات بالرد على اغتيال حسن نصر الله بعدة عمليات هجومية داخل إسرائيل في سياق عملية الوعد الصادق ٢ وذلك على مرحلتين؛ المرحلة الأولى هاجمت فيها المليشيات العراقية ميناء إيلات جنوب إسرائيل بمسيرة متطورة القدرات -طبقًا لوصف المليشيات. والعملية الثانية شنت فيها الفصائل ثلاث هجمات منفصلة بمسيرات على عدة مناطق في الجولان المحتل وطبريا، وقد أسفرت عن وقوع خسائر في صفوف الجنود الإسرائيليين ووفاة ثلاثة منهم. كما أعلنت الفصائل عزمها الاستمرار في مهاجمة المدن الإسرائيلية بوتيرةٍ متصاعدة خلال الفترة القادمة.

هذه الاستهدافات لها بالطبع دلالتها، وسيكون لها نتائج وتداعيات من شأنها أن تضع المليشيات العراقية والعراق في مرمى الرد الإسرائيلي المحتمل. وقد عكست تلك العمليات أمرين؛ **أولا** التأكيد على استمرارية وجود الفصائل العراقية ضمن جبهة محور المقاومة والتأكيد على مبدأ وحدة الساحات، وخاصةً بعد فترة الكمون التي اتسمت بها تفاعلات المليشيات

(١) مايكل يونغ، إسرائيل اغتالت أمين عام حزب الله، حسن نصر الله، ديوان، ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/rxsapi

(٢) التحرك الأميركي نحو لبنان: التفاوض تحت النار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/NeNURcoX

(٣) الحرب البرية الإسرائيلية على لبنان: أهدافها ومساراتها، مرجع سابق.

العراقية مع المقاومة الفلسطينية. **ثانيًا**، انتقال إسناد المليشيات العراقية بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان إلى مراحل أكثر فعالية وتطورًا في رد الفعل. وهو ما يشير إلى أن الفصائل لم تعد محكومة بنطاقٍ محدد في استهدافها الداخل الإسرائيلي، وبالتالي ستستمر في استهداف مناطق هامة في هذا النطاق بدلا من استهداف التواجد الأمريكي في العراق فقط[١].

وفي **اليمن**، أعلن المتحدث العسكري باسم الحوثيين أنه سيتم تنفيذ المزيد من العمليات العسكرية ضد إسرائيل؛ نصرًا للأخوة في فلسطين ولبنان، وأنه لن تتوقف العمليات العسكرية في الأيام المقبلة حتى يتوقف العدوان على غزة ولبنان. واستمرت الجماعة في استهداف سفن شحن إسرائيلية أو سفن مرتبطة بإسرائيل في البحر الأحمر بصواريخٍ ومسيرات[٢]. كما استهدفت الجماعة إسرائيل بإطلاق صاروخ بالستي صوب تل أبيب[٣]، واستهدفت منطقة صناعية في عسقلان جنوبي إسرائيل باستخدام طائرات مسيرة لم يعترضها سلاح الجو الإسرائيلي[٤]. بشكلٍ عام، شهدت هجمات الحوثيين ازديادًا بعد هجوم إسرائيل على لبنان، كما ارتفعت وتيرة العمليات التي تستهدف المدن والموانئ الإسرائيلية.

من جهته، **غاب النظام السوري** عن المواجهة منذ أحداث طوفان الأقصى، وذلك لأسبابٍ منها رغبة النظام السوري في عدم التورط في أي تصعيدٍ مع إسرائيل، منعًا لتوسيع حالة الاستهداف العسكري التي تقوم بها من آنٍ لآخر لمناطق عسكرية مهمة في دمشق، خاصةً في مناطق الجنوب والوسط حيث مطار دمشق الدولي. كما أن العلاقة بين النظام السوري وحركة حماس ليست بقوة العلاقة مع حزب الله الذي قدم دعمًا عسكريًا كبيرًا للنظام لقمع المعارضة والاحتجاجات الشعبية في سوريا[٥].

على مستوى **إيران**، اتسمت سياستها منذ اندلاع طوفان الأقصى بتجنب التصعيد والمواجهة المباشرة. ويرجع ذلك إلى عددٍ من العوامل من أهمها توجهها إلى تلطيف علاقتها مع الغرب؛ رغبةً منها في رفع العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها وأيضًا من أجل التركيز على الملف النووي وإعادة المفاوضات. كما تخشى إيران قيام حرب مفتوحة مع إسرائيل مما سيؤدي حتمًا إلى تدخل الولايات المتحدة، والذي قد ينتج عنه استهداف المنشآت النووية الإيرانية[٦]. بالرغم من ذلك، اختارت إسرائيل التصعيد باغتيال إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحماس في طهران في يوليو ٢٠٢٤، ومقتل حسن نصر الله وقيادات حزب الله في لبنان في سبتمبر. ردًا على ذلك، وجهت إيران ضربات مباشرة لإسرائيل في الأول من أكتوبر ٢٠٢٤ من خلال إطلاق نحو ٢٠٠ صاروخ باتجاه إسرائيل. وكانت هذه الضربة هي الرد الأول من إيران بعد الحرب المباشرة بين إسرائيل وحزب الله، ويُعد الهجوم الثاني التي تستهدف فيه الأراضي الإسرائيلية مباشرةً بعد اندلاع حرب غزة إثر عملية طوفان الأقصى، حيث أطلقت إيران من أراضيها في أبريل حوالي ٣٠٠ طائرة مسيرة على إسرائيل ردًا على قصف قنصليتها في دمشق ومقتل قائد الحرس الثوري في سوريا ومنسق قوات فيلق القدس. وقد أعلنت إسرائيل إنها أحبطت ٩٩ في المائة من

(١) صافيناز محمد أحمد، المليشيات العراقية والحساب المفتوح ضد إسرائيل.. ماذا بعد اغتيال نصر الله، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٦ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/jh1Gfntz

(٢) إسرائيل تتوعد الحوثيين بعد حزب الله والجماعة تؤكد استمرار المقاومة، الجزيرة، ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/qzjzyw

(٣) وضاح الجليل، الحوثيون يعلنون مهاجمة أهداف في إسرائيل وتحذير يمني من التصعيد، الشرق الأوسط، ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/brrfqz

(٤) الحوثيون يتبنون هجوما بالمسيرات على عسقلان، الجزيرة، ٢٩ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/ksqgnh

(٥) صافيناز محمد أحمد، وحدة الساحات والحرب بين إسرائيل وحزب الله، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٦ يوليو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/B0xdrBRe

(٦) ميشال أبو نجم، ٤ عوامل رئيسية تبقي إيران بعيدة عن حرب لبنان، الشرق الأوسط، ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/tqmmjf

الهجوم الإيراني، ووجهت ضربة محدودة، مستهدفة منظومة رادار بالقرب من منشآت حساسة، بينما قللت طهران من أهمية الهجوم[١]. ذلك حيث توالت الضربات بين إيران وإسرائيل، والتي كان أخرها رد إسرائيل على إيران في ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٤ والذي استهدف عدة مدن إيرانية[٢].

بشكلٍ عام، تصاعدت الاشتباكات بين حزب الله وإسرائيل تدريجيًا منذ ٨ أكتوبر ٢٠٢٣. وتفيد الأرقام أن حزب الله أطلق ٦٧٠٠ قذيفة وصاروخ في المدة من ٨ أكتوبر ٢٠٢٣ حتى بداية أغسطس ٢٠٢٤، أي بمعدل ٢٠ قذيفة وصاروخًا يوميًا. وتجاوز كم القذائف والصواريخ بعد الاجتياح البري للبنان ١٠٠ صاروخ وقذيفة في الهجمة. وبالمقارنة بحرب حزب الله وإسرائيل في ٢٠٠٦، تفوقت قدرات حزب الله العسكرية الحالية على مستوى القدرات العسكرية للقوات من غير الدول. وهي تظل مع ذلك ضعيفة نسبيًا في المجالين الجوي والبحري، وأقل فاعلية نسبيًا في الدفاع الجوي الأرضي. وعلى الرغم من الخسائر التي أصابت حزب الله، فقد برهن على أنه رغم قسوة الضربات استطاع أن يستعيد التوازن سريعًا، بعد الاهتزاز الذي أصابه، في غضون أحد عشر يومًا فقط، وباشر منذ ٨ أكتوبر ٢٠٢٤ مجموعة من العمليات التي آلمت العدو[٣].

وتُشير التقديرات أن القوة البشرية لحزب الله تبلغ ٥٠ ألف مقاتل إضافةً إلى قوة احتياط بحجمٍ مماثل، وهي أرقام تقريبية. فيما يخص القتال بالمدرعات، فقد تمرس حزب الله أثناء الحرب السورية على القتال بالدبابات. ويوجد الجزء الأكبر من ترسانته المدرعة في سوريا، وليس في لبنان، وذلك لأغراض الحماية بسبب التفوق الجوي الإسرائيلي في الأجواء اللبنانية. ومع ذلك، فإن وحدات حزب الله أشد قدرةً وخبرةً وفتكًا في حرب المشاة المضادة للدبابات. وتعتمد القوة البرية للحزب على المدفعية الصاروخية ومدفعية المشاة على نحوٍ كبير، وهو ما تم استخدامه في مواجهة التوغل البري الإسرائيلي. بالنسبة للدفاع الجوي، أثبت حزب الله -بحسب مقاطع مصورة- امتلاكه أكثر من ١٣ نوعًا من أنظمة الدفاع الجوي القصيرة المدى، غير أنه أقل قدرة على الدفاع الجوي المتوسط والبعيد المدى. وعمومًا، يظل فرع الدفاع الجوي من بين أضعف فروعه القتالية، ما يخلق عددًا من التحديات الاستراتيجية والعملياتية للحزب[٤].

ويمتلك الحزب بجانب المجال البري، أصولا محدودة في المجال الجوي (المسيرات)، ولديه على مستوى المجال البحري أسطول صغير من الزوارق الهجومية السريعة الخفيفة التسليح. ويمتلك بعض القدرات في الحرب الإلكترونية والسيبرانية، ولكن رغم الخبرة الكبيرة لجهاز استخباراته في الحرب النفسية والعمليات المعلوماتية ومكافحة التجسس، فإن شبكات اتصالاته ثبت أنها غير آمنة عقب تفجير إسرائيل لأجهزة اتصالات الحزب.

ومما هو جدير بالذكر، أنه رغم ضعف الإمكانيات، إلا أن قوات الحزب تقدمت في مجال العمليات الجوية، ففي عام ٢٠٢٤، زاد مستوى الدقة والمدى والحمولة الخاص بالقوات الجوية للحزب. كما أظهر الحزب قدرة جديدة نسبيًا في استخدام المسيرات؛ إذ بات يمكنه الرؤية عميقًا في إسرائيل. وقد نجح حزب الله في تنفيذ العديد من الخروقات للمجال الجوي الإسرائيلي، حيث اخترقت مسيراته العسكرية هذا المجال في عمقه لجمع المعلومات الاستخباراتية، وإجراء عمليات

(١) محطات الصراع بين إيران وإسرائيل... من «حرب الظل» إلى المواجهة المباشرة، الشرق الأوسط، ١٧ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/ehsbyh

(٢) غنى الخطيب، ١٠ أسئلة تشرح تفاصيل الهجوم الإسرائيلي على إيران، الجزيرة، ٢٧ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/kpxiyi

(٣) محمد شقير، هل بدأ «حزب الله» يستعيد توازنه في مواجهة إسرائيل؟، الشرق الأوسط، ٢٩ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/iysday

(٤) نهاد ذكي، لماذا تخشى إسرائيل القدرات العسكرية لحزب الله؟، الجزيرة، ١٩ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/dxzpnc

أسلحة وصواريخ حزب الله اللبناني.. أنواعها ومداها واستخداماتها، الجزيرة، ٢١ نوفمبر ٢٠٢، تاريخ الاطلاع: ١ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/pchgwp

المراقبة والاستطلاع، وكانت عملية قيساريا التي استهدفت منزل رئيس الحكومة الإسرائيلية وعززت من خسائر العدو خير مثال.

وخلال الحرب، قامت المسيرات بنقل إحداثيات مواقع أهدافها إلى بطاريات الصواريخ، والمدفعية، لتوجيه ضرباتٍ دقيقة. ولكن واجه حزب الله تحديات في تطوير قواته الجوية غير المأهولة وبنائها وتوظيفها؛ حيث افتقر خلال الحرب إلى القدرة على نشر أسراب كبيرة من المسيرات والحفاظ عليها، وهو ما يلزم لتحقيق تفوق جوي. مع ذلك، كثف حزب الله حرب المسيرات ليقوض الهدف العملياتي لإسرائيل بفاعلية، واستخدم عدة أنواع من المسيرات لمجابهة القوات الإسرائيلية[١].

بشكلٍ عام، يمكن الإشارة إلى الخسائر التي تكبدتها إسرائيل خلال نحو شهرٍ من القتال، حيث قتل حزب الله ٩٠ جنديًا وأصاب ٧٥٠، ودمر ٣٨ دبابة، وأسقط ٥ مسيرات، وماتزال القوات الإسرائيلية تجد صعوبة في التقدم في قرى الحافة الأمامية. وقد اعتبر أن المعدل اليومي لهذه العمليات -الذي وصل إلى ثلاثة قتلى ونحو ٢٥ جريحًا- يكبد تل أبيب خسائر كبيرة لا تستطيع تحملها على المدى الطويل[٢].

فيما يتعلق بالتنسيق مع الأذرع الأخرى لمحور المقاومة، بدا كما لو كانت هناك عدة جبهات تعمل في الوقت نفسه ضد إسرائيل. إلا أن تطورات الأحداث عكست افتقاد تلك الجبهات للتنسيق، كل فريق له حساباته الخاصة، ولم يكن هناك تكامل أو اتفاق مسبق على عملٍ مشترك. إذ لم تتسبب هجمات الحوثيين أو الفصائل العراقية أو تلك العاملة بسوريا بأضرارٍ جدية لإسرائيل، كما كان الهدف منذ عملية الأقصى إظهار التضامن وليس المشاركة الفعلية، فقد كانت إيران، التي ترعى وتمول تلك الفصائل، تخشى أن تؤدي المشاركة الفعلية إلى بدء حرب إقليمية كبرى تدخلها أمريكا إلى جانب إسرائيل، وتكون عواقبها وخيمة على طهران ومحور المقاومة. لكن التطور الأهم الذي قد يُطيح عمليًا بوحدة الساحات، هو اتفاق وقف إطلاق النار في لبنان، والذي يفرض على حزب الله شروطًا تجعل استئناف العمليات ضد إسرائيل شبه مستحيل، على الأقل في المدى المنظور. كما أن جبهات المساندة الأخرى تراجعت هجماتها بشدة خلال الفترة الماضية، وحتى لو استمر بعضها في العمل، فإن تأثيرها يكاد يكون منعدمًا[٣].

خاتمة:

أحدث التصعيد الأخير بين حزب الله وإسرائيل، وما رافق ذلك من اجتياح الأراضي اللبنانية من قبل الجيش الإسرائيلي، تحولًا في طبيعة الصراع الإقليمي والردود والأدوار المتوقعة من محور المقاومة. وقد أظهرت هذه الأحداث دورًا متزايدًا ومتغيرًا لمحور المقاومة في تعزيز استراتيجيات المواجهة، من خلال ارتفاع عدد الضربات وحدتها واستهدافها للداخل الإسرائيلي بشكلٍ متزايد. وفي حين أن التحديات تزداد تعقيدًا، فإن هذه المرحلة الجديدة تبرز أهمية التنسيق بين مكونات محور المقاومة في مواجهة العدوان الإسرائيلي، مما يفتح بابًا واسعًا لتحليل سبل تعزيز الفاعلية الاستراتيجية لهذا المحور، عبر استعراض هذه التطورات وتفاعلاتها.

في هذا الإطار، ناقشت الورقة التطور في إمكانيات وأدوار محور المقاومة استجابةً للسياقات والصراعات الإقليمية المختلفة. وقد انقسمت إلى أربعة محاور؛ تناول المحور الأول نشأة محور المقاومة عبر عدة مراحل، بينما ناقش المحور الثاني دور واستراتيجيات محور المقاومة بالتركيز على تأثير ثورات الربيع العربي وما تبعها من تغيرات إقليمية وتغيرات في موازين القوى على تطور وتوسع محور المقاومة وتزايد النفوذ الإيراني في المنطقة، أما المحور الثالث فسلط الضوء على دور ومساهمة محور المقاومة بعد عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر

(١)إسلام المنسي، مرحلة إيلام العدو: كيف تطورت استراتيجية حزب الله العسكرية؟، كروم، ١٩ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/yhazap

(٢) عبد الله عبد السلام، من «الدفاع العربي المشترك» إلى «وحدة الساحات»، العربية، ٢٩ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://shorturl.at/zm65L

(٣) عبد الله عبد السلام، مرجع سابق.

٢٠٢٤، ومدى تجسيد وحدة الساحات، وأخيرًا ناقش المحور الرابع دور محور المقاومة واستجابته بعد تطور المواجهات بين حزب الله وإسرائيل واجتياح إسرائيل بريا للبنان، وما كان من نقاط قوة ومكامن ضعف.

حزب الله والاختراق الاستخباراتي الإسرائيلي: القصة والآثار

إيمان علاء الدين*

مقدمة:

في يومي ١٧ و١٨ سبتمبر من عام ٢٠٢٤، دوت مئات الانفجارات في جنوب بيروت وسوريا، حيث انفجرت أجهزة النداء/البيجر وأجهزة الاتصال اللاسلكي/ووكي توكي، التي كانت بحوزة عددٍ كبير من أعضاء حزب الله وبعض المسؤولين الإيرانيين. وقد أسفرت هذه الانفجارات عن مقتل ٣٧ شخصًا، وإصابة ٣٥٣٩ آخرين في لبنان(١).

أغلب ضحايا هذه التفجيرات هم أعضاء في حزب الله، الذي اتهم إسرائيل بالوقوف ورائها. ولم تكن التفجيرات حادثًا استثنائيًا، بل حلقة من سلسلة عمليات استخباراتية إسرائيلية استهدفت الحزب، وألحقت به أضرارًا فادحة، تكللت باغتيال زعيمه حسن نصر الله. حيث أفادت تقارير بأن إسرائيل أمضت ٢٠ عامًا في تركيز جهود الاستخبارات على حزب الله، حتى أصبح بإمكانها ضرب نصر الله وقتما تريد(٢)، على عكس تصوراته بكون تحركاته غير مرئية لسنواتٍ طويلة. فحتى بعد تفجير أجهزة الاتصال، ومقتل عدد من كبار قادة الحزب، لم يتوقع نصر الله أن تقدم إسرائيل على اغتياله فلم يغير مخبأه، حسبما ورد في تقارير صحف عالمية(٣).

وباختلاف الروايات حول قصة الاختراق الإسرائيلي الاستخباراتي الواسع لحزب الله، فالحقيقة المؤكدة والمُجمَع عليها؛ أن إسرائيل نجحت في خداع حزب الله واختراق صفوفه وبنيته التنظيمية والعتادية. فعلى الرغم من فشل كل وحدات الاستخبارات الإسرائيلية في توقع هجوم فصائل المقاومة الفلسطينية يوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، فإنها نجحت فيما ركزت عليه لسنوات من اختراق ما اعتبرته العدو الأقرب والمهدد لأمنها - حزب الله.

يحاول هذا التقرير تقديم صورة لطبيعة الاختراق الاستخباراتي الإسرائيلي لحزب الله، من حيث أسبابه وتجلياته، وما ترتب عليه من خسارة فادحة مُني بها الحزب. على أن يسبق ذلك تمهيد حول أهم معالم الصراع -خاصةً الاستخباراتي- بين إسرائيل وحزب الله.

تمهيد: مسار الصراع الاستخباراتي بين إسرائيل وحزب الله

نشأ حزب الله أثناء فترة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان في أوائل الثمانينيات من القرن العشرين، وضم أفراد من المجموعات الشيعية المحلية. وتمتد جذوره الأيديولوجية إلى المجموعات الشيعية التي تركزت في جنوب العراق خلال الستينيات والسبعينيات، وقاده في البداية رجال الدين والطلاب المتعلمون في النجف الذين عادوا إلى لبنان من العراق خلال السبعينيات، وحفّزوا التعبئة السياسية للمجتمع الشيعي اللبناني.

وعند الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان في عام ١٩٨٢، انفصل داعمو المواجهة المسلحة مع الاحتلال (وقد تبنوا فكرة إنشاء

---

* باحثة دكتوراة في العلوم السياسية - جامعة القاهرة.

(١) ارتفاع حصيلة تفجير الأجهزة اللاسلكية في لبنان، سكاي نيوز عربية، ١٩ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٨ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/wggzko

(2) Samia Nakhoul, Parisa Hafezi and Maayan Lubell, Reuters, September 29, 2024. Accessed at: 20 November 2014, available at: http://surl.li/zkgche

(3) Mark Mazzetti, Sheera Frenkel and Ronen Bergman, Behind the Dismantling of Hezbollah: Decades of Israeli Intelligence, New York Times, 29 December 2024. Accessed at: 30 December 2024, available at: http://surl.li/yzamzr

جمهورية إسلامية على الطراز الإيراني في لبنان على المدى الطويل)، عن حركة أمل الرائدة آنذاك وشكلوا منظمة الأمل الإسلامية. ومن خلال الاستفادة من الدعم المباشر من الحرس الثوري الإيراني وتجنيد أعضاء من جماعات شيعية ثورية أخرى، أصبحت أمل الإسلامية طليعة الجماعات المستوحاة من الدين والتي ظهرت فيما بعد تحت مظلة حزب الله. سمحت المساعدات المالية والتدريبية الكبيرة من إيران لأمل الإسلامية /حزب الله بالتوسيع من قاعدة عملياتها في وادي البقاع في شرق لبنان إلى الضواحي الجنوبية لبيروت والمدن الجبلية الشيعية المحتلة في الجنوب، ومنذ ذلك الحين رفع حزب الله راية المقاومة ضد إسرائيل[١]. وفي المقابل، وجهت إسرائيل سلاحها الاستخباراتي لمحاربة حزب الله منذ نشأته، حيث عدته إسرائيل لفترة طويلة من الزمن أكبر تهديد عسكري يواجهها.

في ١٢ يوليو عام ٢٠٠٦، أقدمت مجموعة من مقاتلي حزب الله على عبور الحدود إلى شمال الأراضي الفلسطينية المحتلة، وقتلت ثلاثة جنود إسرائيليين وأسرت اثنين آخرين. وهو ما اعتبره الاحتلال الإسرائيلي بمثابة إعلان حرب عليه من قبل حزب الله، وبدأت تل أبيب هجومها على لبنان للضغط على الحزب، ولكن إسرائيل فشلت إجمالا في هذه الحرب[٢].

ولا يعني فشل إسرائيل الإجمالي في حرب ٢٠٠٦ أنها خرجت خالية الوفاض تمامًا، فالعمليات التي قامت بها أثناء الحرب، استنادًا إلى جمع المعلومات الاستخباراتية، شكلت الأساس للنهج اللاحق تجاه الحزب. فقد زرعت إحدى العمليات أجهزة تعقب على صواريخ فجر التابعة لحزب الله، والتي أعطت إسرائيل معلومات عن الذخائر المخبأة داخل القواعد العسكرية السرية ومرافق التخزين المدنية والمنازل الخاصة، وذلك وفقًا لثلاثة مسؤولين إسرائيليين سابقين صرحوا لصحيفة نيويورك تايمز. ومن ثم، قصفت القوات الجوية الإسرائيلية في حرب عام ٢٠٠٦ المواقع، مما أدى إلى تدمير الصواريخ[٣].

ومع إعادة بناء حزب الله بعد حرب ٢٠٠٦، وسع الموساد شبكته من المصادر البشرية داخل الحزب، وفقًا لمسؤولين أمريكيين وإسرائيليين حاليين وسابقين. وبشكلٍ خاص، جند الموساد أشخاصًا في لبنان لمساعدة حزب الله في بناء مرافق سرية بعد الحرب. وأفادت نيويورك تايمز أن مصادر الموساد زودت الإسرائيليين بمعلوماتٍ حول مواقع المخابئ وساعدت في مراقبتها. ووفقًا لمسؤولين عسكريين إسرائيليين على علم بالمعلومات الاستخباراتية، عندما انتهت حرب عام ٢٠٠٦، كانت إسرائيل تمتلك "بنك أهداف" لما يقرب من ٢٠٠ من قادة حزب الله وعملائه ومخابئ الأسلحة ومواقع الصواريخ[٤].

وحاولت إسرائيل اغتيال الأمين العام السابق لحزب الله حسن نصر الله عدة مرات منذ عام ٢٠٠٦، لكنها فشلت إلى أن تم لها ذلك في عام ٢٠٢٤. ففي حرب عام ٢٠٠٦، حاولت إسرائيل قتل نصر الله ثلاث مرات؛ حيث أخطأت إحدى الضربات الجوية الهدف، وكان زعيم حزب الله قد غادر المكان في وقتٍ سابق. أيضًا فشلت ضربتان في اختراق التعزيزات الخرسانية لمخبئه تحت الأرض، وفقًا لصحيفة فايننشال تايمز[٥]. علمًا أنه قد أعلنت المخابرات اللبنانية إلقاءها القبض على ما وصفته بـ"شبكة إرهابية" قالت إنها كانت تخطط لاغتيال نصر الله في شهر إبريل عام ٢٠٠٦[٦].

(1) Casey L. Addis, Christopher M. Blanchard, Hezbollah: Background and Issues for Congress, Congressional Research Service, 3 January 2011.

(٢) مات م. ماثيوز، حرب ٢٠٠٦ بين حزب الله وإسرائيل، ترجمة: مها بحبوح، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٥.

(3) Mark Mazzetti, Sheera Frenkel and Ronen Bergman, Op.Cit.

(4) Ibid.

(5) Mehul Srivastava, James Shotter,Charles Clover and Raya Jalabi, How Israeli spies penetrated Hizbollah, Financial Times, September 29 2024. Accesed at: 28 December 2024. Available at: http://surl.li/qhbhit

(٦) الاستخبارات اللبنانية تحبط محاولة لاغتيال حسن نصر الله، الجزيرة نت، ١٠ إبريل ٢٠٠٦. تاريخ الاطلاع: ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤. متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/msfazc

وكان الإسرائيليون عمومًا يتقاسمون معلومات حزب الله الاستخباراتية مع الولايات المتحدة والحلفاء الأوروبيين[١]. بل ويشتركون في الكثير من العمليات، منها عملية اغتيال "الثعلب"، فمن أبرز نجاحات إسرائيل الاستخباراتية ضد حزب الله، عملية اغتيال عماد مغنية (الملقب بالثعلب) قائد العمليات الدولية في حزب الله عام ٢٠٠٨، والتي كُشِف جزء من تفاصيل تنفيذها بعد ٧ سنواتٍ لاحقة.

في عام ٢٠١٥ نشرت صحيفة واشنطن بوست تفاصيل اغتيال مغنية؛ ففي الثاني عشر من فبراير ٢٠٠٨، كان عماد مغنية، مراقبًا من قبل عملاء وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في دمشق، وبينما يسير في إحدى شوارع العاصمة السورية اقترب من سيارة زُرع فيها جهاز تفجير. وقد تم التفجير عن بعد من تل أبيب بواسطة عملاء من الموساد، الذين كانوا على اتصال بالعملاء الأمريكيين في دمشق[٢]. وفي يوم ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٤، اعترف إيهود أولمرت -رئيس وزراء إسرائيل في الفترة بين ٢٠٠٦- ٢٠٠٩- أن إسرائيل هي من دبر عملية اغتيال عماد مغنية[٣].

وفي عام ٢٠١٢، بحسب ما ورد في تقرير لـ "نيويورك تايمز"، جاءت لحظة مهمة حيث حصلت الوحدة ٨٢٠٠ المسؤولة عن التجسس الإلكتروني في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، على ما اعتبرته الصحيفة الأمريكية "كنز" من المعلومات حول أماكن تواجد قادة حزب الله على وجه التحديد، ومخابئهم، وبطاريات الصواريخ والقذائف التي يمتلكها الحزب. بعدها، كما جاء في تقرير الصحيفة، زار نتنياهو مقر الوحدة ٨٢٠٠ في تل أبيب، وحينها قال رئيس الوحدة لنتنياهو: "يمكنك الآن مهاجمة إيران"، لكن لم تهاجم إسرائيل في ذلك الوقت[٤].

وتصاعد تركيز الموساد على اختراق حزب الله، حيث كانت إسرائيل تعد الحزب حتى فترة قريبة أقرب تهديد عسكري لوجودها، وبلغت الأمور ذروتها مع "طوفان الأقصى".

التصعيد بين إسرائيل وحزب الله (٢٠٢٣- الآن)

أطلقت فصائل المقاومة الفلسطينية هجومًا واسعًا على الأراضي المحتلة في غلاف قطاع غزة، مصحوبًا بهجماتٍ صاروخية متتابعة وصلت إلى تل أبيب، فيما يعرف بمعركة "طوفان الأقصى"، في يوم السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣. وفي اليوم نفسه، بدأت إسرائيل واحدةً من أكثر الحروب وحشية في التاريخ المعاصر ضد قطاع غزة. وفي الثامن من أكتوبر عام ٢٠٢٣، فتح حزب الله جبهةً عسكريةً محدودة ضد إسرائيل، انطلاقًا من مزارع شبعا التي تحتلها إسرائيل.

ومنذ البداية، أوضح حزب الله أنه لا يسعى للدخول في حربٍ شاملة مع إسرائيل، بل إنه يهدف إلى حملة استنزاف محدودة لمساندة المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة فيما يُعرف بـ "جبهة الإسناد"، وأكد أنه لن يوقف هذه الحملة إلا عندما تُوقف إسرائيل حربها العدوانية على القطاع.

وكذلك أعلنت حكومة بنيامين نتنياهو، أن أولويتها هي القضاء على حركة المقاومة الإسلامية "حماس" وحكمها في القطاع، ومن ثم، لم تعلن في البداية رغبةً في حربٍ شاملة مع حزب الله تُشغلها عن تحقيق هذا الهدف، فضلًا عن أن جيش الاحتلال الإسرائيلي لا يملك، رغم استدعائه قوات الاحتياط، سوى سبع فرق قتالية، زُجّ بخمسٍ منها في القطاع، ولم يتبقَّ لديه سوى فرقتين نشرهما على الحدود مع لبنان[٥].

ومنذ بداية المواجهة، ولأول مرة، أخلت إسرائيل المناطق

(1) Mark Mazzetti, Sheera Frenkel and Ronen Bergman, Op. cit.

(٢) Adam Goldman and Ellen Nakashima, CIA and Mossad killed senior Hezbollah figure in car bombing, washington post, published at 30 January 2015. Accessed at: 21 December 2024. Available at: http://surl.li/vssosj

(٣)" في عملية حملت تفاصيل "مثيرة جدًا".. أولمرت يعترف بتصفية عماد مغنية، العربية، ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢٤. متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/yqsvds

(4) Mark Mazzetti, Sheera Frenkel and Ronen Bergman, Op. cit.

(٥) المواجهة بين حزب الله وإسرائيل واحتمالات اندلاع حرب شاملة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٣ يوليو ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/ooacga

الحدودية مع لبنان من السكان الذين يبلغ عددهم نحو ٨٠ ألفًا، موزعين على ٤٣ مستوطنة، وخلقت بذلك حزامًا أمنيًا داخل حدودها. وفي المقابل، أدى القصف الإسرائيلي لقرى الشريط الحدودي مع لبنان وبلداته إلى إلحاق دمار واسع بها ونزوح أكثر من ١٠٠ ألف من سكانها[١].

في أثناء أشهر هذه المواجهة المحدودة بين حزب الله وإسرائيل، تعرض حزب الله لاختراقٍ استخباراتي موجع في منطقة نفوذه بداية عام ٢٠٢٤، حيث اغتالت إسرائيل ثلاثة قادة رفيعي المستوى ينتمون لمحور المقاومة في أسبوعين فقط؛ وهم صالح العاروري من "حماس" في ضاحية بيروت الجنوبية، ووسام الطويل القائد في "وحدة الرضوان" التابعة لـ "حزب الله" في جنوب لبنان، وراضي الموسوي القائد في "فيلق القدس" في دمشق[٢].

ثم اختلفت الأمور بدايةً من شهر يوليو ٢٠٢٤؛ إذ استغلت إسرائيل سقوط صاروخ على مدرسة في قرية مجدل شمس في الجولان السوري المحتل، تسبب في مقتل عشرة أطفال، نفى حزب الله بشدة مسؤوليته عنه، لتغيير قواعد الاشتباك، وتغيير معادلة القوى الإقليمية على نحوٍ جذري. كان هذا القرار متخذًا بغض النظر عن المبرر اللحظي. لذا، استهدفت إسرائيل في أواخر الشهر نفسه القائد العسكري لحزب الله، فؤاد شكر، في الضاحية الجنوبية، لتبدأ بعدها سلسلة اغتيالات شملت كبار قادة الحزب وأكثر أعضاء مجلسه الجهادي. هذا فضلا عن اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، أثناء حضوره مراسم تنصيب الرئيس الإيراني المنتخب، مسعود بزشكيان، في طهران، كما أحبطت ما ادعت أنه تجهيز لرد حزب الله على اغتيال شكر بقصف واسع لمنصات إطلاق الصواريخ في الجنوب[٣].

انتقلت إسرائيل إلى وضع أهداف استراتيجية ذات علاقة بوضع حزب الله عمومًا؛ ما اقتضى عدم الالتزام بأي قواعد اشتباك والانتقال إلى الحرب على الحزب. وقد بدأت الحرب الموسعة عمليًا في منتصف سبتمبر ٢٠٢٤، عندما قامت إسرائيل بتفجير آلاف من أجهزة النداء "البيجر" التي يستخدمها قادة وعناصر في الحزب يوم ١٧ سبتمبر بعد أن جرى زرع عبوات ناسفة صغيرة فيها قبل أن تُباع لحزب الله. وقد أدت هذه العملية إلى مقتل العشرات وإصابة الآلاف، من بينهم مدنيون. في اليوم التالي، قامت إسرائيل بتفجير أجهزة اللاسلكي (walkie-talkie) لتشل بذلك شبكة اتصالات حزب الله كاملة. شكلت هجمات أجهزة البيجر واللاسلكي أكبر خرق أمني يتعرض له الحزب منذ نشأته في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، لكنها كانت أيضًا مقدمة لتصعيدٍ أكبر قامت به إسرائيل؛ شمل، في اليوم العشرين من الشهر نفسه اغتيال إبراهيم عقيل، قائد العمليات الخاصة في الحزب، وعضو مجلسه الجهادي، الذي تولى مسؤوليات فؤاد شكر، إلى جانب قادة من وحدة الرضوان لدى حزب الله[٤].

وأطلقت إسرائيل يوم ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٤ ما أسمته عملية "سهام الشمال"، وهي أعنف حملة قصف جوي يشهدها لبنان منذ حرب ٢٠٠٦، وشملت مختلف المناطق اللبنانية من الجنوب وصولًا إلى المعابر الحدودية مع سوريا في الشمال. وجاءت ذروة التصعيد الإسرائيلي في ٢٧ من الشهر نفسه باستهداف مقر القيادة المركزية لحزب الله، وقد أدت إلى اغتيال أمينه العام، حسن نصر الله، وقادة عسكريين آخرين، لتبدأ بعدها عملية قصف واسع النطاق شملت الضاحية الجنوبية ومناطق أخرى على امتداد لبنان[٥].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) حنين غدار، تعزيز الدبلوماسية الأمريكية لوقف الحرب بين حزب الله وإسرائيل، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ملاحظات سياسية رقم ١٤٥، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، فبراير ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/bhosja

(٣) العدوان الإسرائيلي على لبنان بعد استهداف مقر القيادة المركزية لحزب الله واغتيال أمينه العام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/krnavb

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

وأعلنت إسرائيل في الأول من أكتوبر ٢٠٢٤، بدء عملية عسكرية برية تستهدف مواقع تابعة لحزب الله في جنوب لبنان، بإسنادٍ جوي ومدفعي. وأسفر العدوان الإسرائيلي على لبنان حتى يوم ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٤ عن مقتل ٣٧٦٨ شخصًا وجرح ١٥ ألفًا و٦٩٩ آخرين، بحسب ما أعلنته وزارة الصحة اللبنانية. كما دمرت إسرائيل أكثر من ٩٩ ألف وحدة سكنية بشكلٍ كلي أو جزئي في جنوب لبنان. فيما تسبب رد حزب الله، بحسب ما يعلنه إعلام الاحتلال الرسمي، في مقتل ٤٥ "مدنيًا" و٧٣ عسكريًا في الجبهة الشمالية والجولان السوري المحتل، إلى جانب تدمير ٥٥ ألف فدان من الغابات والمحميات الطبيعية[١].

كان عماد العدوان الإسرائيلي على لبنان في هذه الحرب التي شنها لتدمير حزب الله، هو الجهد الاستخباراتي الهائل لاختراق الحزب، على نحو ما أُشير إلى بعض وقائعه، التي يمكن إجمال دلالاتها على هذا النحو:

أ) تفجير أجهزة الاتصالات

تعتبر عملية تفجير أجهزة اتصالات حزب الله (البيجر ووكي توكي) في سبتمبر ٢٠٢٤، من أنجح العمليات الاستخباراتية في التاريخ الحديث. وهناك معلومات بأن الموساد قد عمل لسنواتٍ طويلة في هذه العملية حتى لحظة التفجير التي أودت بآلاف العناصر المنتمين إلى حزب الله. وفي الواقع، فإننا نتحدث هنا عن عمليتين منفصلتين تزامنا فقط في مشهدهما الختامي. العملية الأولى هي عملية أجهزة النداء/ البيجر، والعملية الثانية هي عملية أجهزة الاتصالات/ ووكي توكي. وتشير التقديرات والتفاصيل المسربة من قبل الموساد أن العملية الأولى بدأت عام ٢٠٢٢، فيما بدأت الثانية عام ٢٠١٥[٢].

في عام ٢٠١٥ بدأ الجزء الأول من خطة الموساد لإدخال أجهزة الووكي توكي إلى لبنان. واحتوت أجهزة الاتصال اللاسلكية المحمولة ثنائية الاتجاه هذه، على حزم بطاريات كبيرة الحجم ومتفجرات مخفية ونظام إرسال يمنح إسرائيل إمكانية الوصول الكامل إلى اتصالات حزب الله. حيث اكتفى الإسرائيليون لمدة تسع سنوات بالتنصت على حزب الله، مع الاحتفاظ بخيار تحويل أجهزة الاتصال اللاسلكية إلى قنابل في أزمة مستقبلية. ولكن بعد ذلك جاءت فرصة جديدة مع منتج جديد وهو أجهزة البيجر المزودة بمتفجرات قوية[٣].

وقال أحد عملاء الموساد أنه كان لابد من جعل أجهزة "البيجر" أكبر قليلا لتناسب كمية المتفجرات المخفية بداخلها. وتم اختبارها على دمى عدة مرات للعثور على الكمية المناسبة من المتفجرات التي ستسبب الأذى للمقاتل فقط، دون أي ضررٍ للأشخاص القريبين. كما اختبر الموساد العديد من نغمات الرنين للعثور على نغمة تبدو عاجلة بما فيه الكفاية لجعل الشخص يُخرج جهاز البيجر من جيبه[٤].

وخرج عميل آخر للموساد إلى الإعلام ليقول إن إقناع حزب الله بتغيير الأجهزة إلى أجهزة بيجر أكبر استغرق أسبوعين، باستخدام إعلانات مزيفة على يوتيوب تروج للأجهزة بأنها مقاومة للغبار والماء وتتمتع بعمر بطارية طويل. وقال أيضًا إن الموساد استخدم شركات وهمية إحداها في المجر، لخداع شركة "غولد أبولو" التايوانية لدفعها بشكلٍ غير واعٍ للتعاون مع الموساد. وأكد العميل أن حزب الله كان غير مدرك أن الشركة الوهمية تعمل مع إسرائيل[٥].

ونشرت صحيفة واشنطن بوست تقريرًا يكشف تفاصيل

(١) تفاصيل اتفاق وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله بعد حرب ٢٠٢٤، الجزيرة نت، ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/ntjsot

(٢) الموساد يكشف تفاصيل صادمة حول عملية البيجر المفخخة ضد حزب الله، العربية نت، ٢٣ ديسمبر ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر هذا الرابط: http://surl.li/uaiyja

(3) Souad Mekhennet and Joby Warrick, Mossad's pager operation: Inside Israel's penetration of Hezbollah, Washington post, October 5, 2024. Accessed on: 20 November 2024, available at: http://surl.li/gjirua

(٤) الموساد يكشف تفاصيل صادمة حول عملية البيجر المفخخة ضد حزب الله، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق.

هامة حول العملية، جاء فيه أن عرض البيع الذي تم تقديمه إلى حزب الله عام ٢٠٢٢، بدا فيه الخط الجديد من أجهزة النداء/ البيجر من طراز أبولو مناسبًا تمامًا لاحتياجات منظمة مثل حزب الله. كان الجهاز من طراز AR924 ضخمًا بعض الشيء ولكنه قوي، ومصممًا لتحمل ظروف ساحة المعركة. وبحسب التقرير، فقد حملت هذه الأجهزة ميزة في غاية الأهمية والجاذبية بالنسبة لحزب الله؛ ألا وهي عدم القابلية للتتبع من قِبَل أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية؛ ما دفع قادة حزب الله إلى شراء ٥٠٠٠ جهازًا منها وتوزيعها على المقاتلين من المستوى المتوسط وأفراد الدعم[١].

ووفقًا لروايات صحف عالمية، فإن مكون القنبلة كان مخفيًا بعنايةٍ شديدة لدرجة أنه كان من المستحيل اكتشافه تقريبًا، حتى لو تم تفكيك الجهاز. ويعتقد المسؤولون الإسرائيليون أن حزب الله فكك بعض أجهزة النداء، وربما قام بفحصها بالأشعة السينية[٢].

جدير بالذكر أن هذه الروايات هي ما اشتركت بشأنه مصادر صحفية أمريكية وبريطانية، وفقًا لمسؤولين إسرائيليين وأمريكيين بحسب ما أفادت هذه المصادر. **إلا أن هذه الروايات تثير الكثير من التساؤلات والشكوك. فعلى الرغم من النجاح الفعلي لعملية الموساد؛ فقد انفجرت الأجهزة وسقط مئات القتلى من عناصر حزب الله، إلا أنه لا توجد أية دلائل على العديد من أجزاء هذه الروايات:**

- تقول الروايات أن بيع الأجهزة تم عن طريق شركات وهمية تعاملت مع الشركة التايوانية، فهل يُعقل أن منظمة عسكرية واستخباراتية بحجم وخبرة حزب الله وصلاته القوية بالاستخبارات اللبنانية والسورية والإيرانية، أغفلت البحث وراء هذه الشركات فلم تتوصل لكونها وهمية أو حديثة النشأة أو يديرها أفراد مجهولون.

- وتقول الروايات أن الأجهزة حوت قنابل وأجهزة إرسال؛ إذا سلمنا أن المواد المفخخة أو نوع البطارية القابل للانفجار يتشابه مع مكونات عادية في مثل هذه الأجهزة (وهو ما لم تؤكده الروايات على وجه التفصيل)، فكيف كان يتم إرسال المواد التي تتنصت عليها إسرائيل لسنوات، دون أن يدرك حزب الله أن هناك مرسل ومستقبل.

- تعتمد الروايات في غالبها على معلومة أنه تم إرسال رسالة مشفرة تسببت في التفجير. ألا يعد ذلك اختراق سيبراني يمكن أن يحدث في أي وقت، وبواسطة الكثير من الأجهزة التكنولوجية الذكية كالهواتف مثلا أو الشاشات الذكية وغيرها؟! وبالفعل تعالت أصوات في يوم تفجير البيجر في العالم بأسره تتحدث حول قدرة إسرائيل على تفجير أي جهازٍ ذكي في أي مكان، حتى أن اللبنانيين ظلوا لفترةٍ لاحقة يخشون أن تنفجر أجهزة أخرى من تلك التي تملأ حياة البشر العاديين.

- اختبر حزب الله الأجهزة بواسطة أشعة سينية ومن المؤكد أنها مرت باختباراتٍ عديدة أخرى، ولم يظهر له ما يُريب من مكونات مادية أو أدوات اتصال. ولا نملك في جهة هذه الروايات إلا أن الأجهزة كانت تحتوي على قنابل لا يمكن رؤيتها، ولا يظهر عليها أي إمكانية للتتبع الخارجي. فلماذا لا نصدق أيضًا (وهو الأقرب للمنطق العملي) أن هذه المكونات لم يكن من الممكن رؤيتها لأنها لم تكن موجودة بالأساس.

ب) اغتيال حسن نصر الله

في عمليةٍ جريئةٍ ومفاجئة، اغتالت إسرائيل حسن نصر الله، الزعيم المحنك لحزب الله. حيث تعقب جيش الاحتلال نصر الله إلى مخبأ بُني عميقًا تحت مجمع سكني في جنوب بيروت، وألقى ما يصل إلى ٨٠ قنبلة للتأكد من مقتله، وفقًا لوسائل إعلام إسرائيلية[٣].

(1) Souad Mekhennet and Joby Warrick, Mossad's pager operation: Inside Israel's penetration of Hezbollah, washington post, October 5, 2024. Accessed at: 20 November 2024, available at: http://surl.li/gjirua

(2) Ibid.

(٣) تقرير: هكذا خططت ونفذت إسرائيل اغتيال نصر الله، سكاي نيوز عربية، ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/isvwzx

وكان نصر الله يتجنب الظهور العلني منذ حرب عام ٢٠٠٦، وقد كان يقظًا حتى أن تحركاته باتت مقيدة وكانت دائرة الأشخاص الذين رآهم صغيرة للغاية، وفقًا لتقارير صحفية مطلعة على الترتيبات الأمنية لنصر الله، ومن ثم أفادت التقارير أن الاغتيال يشير إلى أن جماعته تسلل إليها مخبرون لصالح إسرائيل. "هذه ضربة هائلة وفشل استخباراتي لحزب الله"، كما قال ماجنوس رانستورب، الخبير المخضرم في شؤون حزب الله في جامعة الدفاع السويدية... "كانوا يعرفون أنه كان يجتمع، كان يجتمع مع قادةٍ آخرين، وذهبوا إليه ببساطة"[١].

قالت صحف إسرائيلية إن هذه العملية الاستخباراتية تعاونت فيها ٣ وحدات رئيسية تابعة لـ"شعبة الاستخبارات العسكرية" (أمان)، هي الوحدة ٨٢٠٠ والوحدة ٩٩٠٠ والوحدة ٥٠٤. وشعبة الاستخبارات العسكرية جهاز استخباراتي تابع للجيش الإسرائيلي، يتكون من عدة وحدات، وهو المسؤول عن جمع المعلومات العسكرية وتحليلها، ويعمل بالتنسيق مع باقي أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية مثل الاستخبارات الخارجية (الموساد) وجهاز الأمن الداخلي (الشاباك)[٢].

وأفادت صحيفة فايينشال تايمز أن الوحدة ٨٢٠٠ قامت على مدار عقدين، باستخراج كميات هائلة من البيانات لرسم خريطة لما تصفه بـ "الميليشيات سريعة النمو" في "الساحة الشمالية" لإسرائيل. حيث وسعت الاستخبارات الإسرائيلية نطاقها لرؤية حزب الله بالكامل، ونظرت إلى ما هو أبعد من مجرد جناحه العسكري إلى طموحاته السياسية واتصالاته المتنامية مع الحرس الثوري الإيراني، وعلاقة نصر الله بالرئيس السوري بشار الأسد[٣].

وأفادت وكالة رويترز، أنه في أعقاب تفجيرات البيجر والووكي توكي، أرسل المرشد الإيراني علي خامنئي رسالة عبر مبعوث يطلب فيها من الأمين العام لحزب الله المغادرة إلى إيران، وأشار فيها إلى تقارير استخباراتية تفيد بأن إسرائيل لديها عملاء داخل الحزب وتخطط لقتله. وكان هذا المبعوث هو عباس نيلفروشان القائد البارز في الحرس الثوري الإيراني، الذي كان مع نصر الله في مخبئه عندما استهدفته القنابل الإسرائيلية وقُتل معه[٤].

ج) اختراق صفوف القيادات

استطاع الاحتلال بعد اغتيال حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله وبعد عملية اغتيال القيادي الكبير في الحزب هاشم صفي الدين، أن يقتل عضوًا كبيرًا في ذراع المخابرات التابع لحزب الله يُدعى حسن خليل ياسين، خلال غارة على جنوب بيروت. وأعلن جيش الاحتلال الإسرائيلي أنه استهدف مقر مخابرات حزب الله في بيروت، في حين أوضح الجيش لاحقًا في بيان له أن طائراته الحربية قصفت، استنادًا إلى معلومات استخباراتية دقيقة، مواقع تابعة لـ "ركن الاستخبارات" في حزب الله داخل بيروت. وأكد البيان أن الغارات أصابت وحدات وأجهزة جمع المعلومات، ومقرات القيادة، وبنى تحتية أخرى[٥].

ونقل موقع عربي بوست عن مصدر إيراني مقرب من مستشار الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان للشؤون الاستراتيجية، جواد ظريف، إن الاختراق تم بالكامل عبر شبكة الاتصالات الهاتفية في لبنان، وأشار إلى أن عائلات القيادات في حزب الله لديهم جميعًا تليفونات حديثة "سمارت فون"، ويتواصلون من خلالها مع دوائرهم الاجتماعية. وقد استطاع الاحتلال في المرحلة الأولى من عملية الاختراق أن يلج إلى كل هواتف عائلات الصف الأول من قيادات حزب الله من الزوجات والأبناء وأبناء العمومة، وقام برصد كل المحادثات التي تخص

(1) Samia Nakhoul, Parisa Hafezi and Maayan Lubell, Op. cit.

(٢) ثلاث وحدات استخباراتية إسرائيلية وفرت معلومات لاغتيال نصر الله، الجزيرة نت، ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/ifquxy

(3) Mehul Srivastava, James Shotter, Charles Clover and Raya Jalabi, Op. cit.

(4) Samia Nakhoul and Laila Bassam, Op. cit.

(٥) محمود شعبان، من كاميرات المراقبة إلى واتساب.. مصادر تكشف كيف استطاع الاحتلال اختراق جهاز استخبارات حزب الله في لبنان، عربي بوست، ٥ أكتوبر ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/nkxqzg

القيادات على لسان زوجاتهم وأولادهم وتخزينها لفتراتٍ طويلة. الأمر الثاني الذي أشار إليه المصدر الإيراني لعربي بوست هو استخدام تطبيق "واتس اب" في المحادثات بين عائلات قيادات حزب الله ودوائرهم الاجتماعية، وأن هذا التطبيق تم اختراقه من جانب الاحتلال الإسرائيلي وحصل على كافة التفاصيل المدرجة في كل رسائل المحادثات بين عائلات قادة حزب الله على مدار فتراتٍ طويلة في السنوات الماضية. بالإضافة إلى أن كاميرات مراقبة المنازل في الضاحية الجنوبية كانت من الأسباب التي كشفت قيادات الحزب، إذ إن المئات من اللبنانيين المقيمين خارج لبنان يضعون كاميرات مراقبة أمام منازلهم لمراقبتها وهم بالخارج وقد استطاع الاحتلال اختراق هذه الكاميرات والاستفادة من مخزونها. حيث أفاد الموقع أن عملية الاختراق طالت الصف الأول بالكامل بسبب الهواتف، وأن الحزب حتى الآن لا يجد أي حل لهذه الأزمة لأنه حزب غير سري، وبالتالي تحرك قياداته بسرية في لبنان سوف يواجه صعوبات كبيرة[١].

محفزات الاختراق: تحول تعريف حزب الله لدى الموساد و انكشافه في سوريا

أشارت الاستخبارات الإسرائيلية لمدة تقرب من عقد من الزمان إلى حزب الله باعتباره "جيشًا إرهابيًا"، وليس جماعةً إرهابية مثل "تنظيم القاعدة". كان هذا تحولًا مفاهيميًا أجبر إسرائيل على دراسة حزب الله عن كثب وعلى نطاقٍ واسع كما فعلت مع الجيش السوري، على سبيل المثال[٢].

ومع نمو قوة حزب الله، بما في ذلك نشر قواته في سوريا لمساعدة الأسد في قمع الانتفاضة المسلحة ضد دكتاتوريته عام ٢٠١٢، ظهر لإسرائيل "صورة استخباراتية" كثيفة -من كان مسؤولًا عن عمليات حزب الله، ومن كان يحصل على ترقية، ومن كان فاسدًا، ومن عاد للتو من رحلةٍ غير مفسرة[٣].

فثمة ما يُشبه الإجماع بين المحللين على أن توسّع حزب الله في سوريا أتاح لـ "الإسرائيليين" منجمًا من البيانات والمعلومات الثرية، هذه البيانات، التي تم جمعها على مدار فترةٍ طويلة، كانت ذات قيمة كبيرة للاستخبارات الإسرائيلية والأمريكية، خاصةً مع انخفاض مستوى الحذر الأمني بين عناصر حزب الله خلال حرب نظام الأسد وحلفائه على الشعب السوري، والذي يعود إلى حقيقة أن الحزب لم يكن مستهدفًا من قبل الإسرائيليين في غالب مدة انخراطهم بهذه الحرب. على العكس من ذلك، تركت إسرائيل عناصر الحزب يدخلون سوريا ويُنفّذون مهامهم دون مضايقة، ومع دخول دماء جديدة للحزب نتيجة استنزاف عناصره البشرية، بدأ الحزب يبرمج محاذيره الأمنية بناءً على واقع قدرات فصائل المعارضة السورية، لا واقع إسرائيل، وزاد بالتالي التراخي الأمني وقلة الانضباط، خاصةً مع شيوع الحالة "المليشياوية" لعموم مليشيات المشروع الإيراني المنتشرة على الجغرافيا السورية. هذا التراخي الأمني فتح الباب أمام الاستخبارات الإسرائيلية لتحليل نشاطات الحزب بشكلٍ أعمق وتطوير استراتيجيات استخباراتية طويلة الأمد، بالإضافة إلى القدرة على زرع الجواسيس من خلال العناصر الجديدة[٤].

قالت رندا سليم، مديرة البرامج في معهد الشرق الأوسط في واشنطن: "كانت سوريا بداية توسع حزب الله، وقد أدى ذلك إلى إضعاف آليات الرقابة الداخلية وفتح الباب للتسلل على مستوى كبير". كما خلقت الحرب في سوريا نافورة من البيانات، معظمها متاح للعامة من جواسيس إسرائيل وخوارزمياتهم- لكي يهضموها. وكان نعي القتلى، في هيئة "بيانات الشهداء" التي يستخدمها حزب الله بانتظام، واحدة من هذه القنوات المفتوحة للمعلومات، التي كانت تتخللها تفاصيل بسيطة لكنها هامة، بما في ذلك البلدة التي ينتمي إليها المقاتل، والمكان الذي قُتل فيه، ودائرة أصدقائه الذين ينشرون الأخبار على وسائل التواصل

(١) المرجع السابق.

(2) Mehul Srivastava, James Shotter,Charles Clover and Raya Jalabi, Op. cit.

(3) Ibid.

(٤) محمد سالم، تورط ميلشيا "حزب الله" في سوريا.. من التوظيف إلى الاختراق الأمني، مركز الحوار السوري، ١ أكتوبر ٢٠٢٤. تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: http://surl.li/uzgtbn

الاجتماعي. وكانت الجنازات أكثر كشفًا، حيث كانت تجتذب أحيانًا كبار القادة من الظل، ولو لفترةٍ وجيزة. وقال سياسي لبناني رفيع المستوى سابق في بيروت إن اختراق حزب الله من قبل المخابرات الإسرائيلية أو الأمريكية كان "ثمن دعمهم للأسد". وقال: "كان عليهم أن يكشفوا عن أنفسهم في سوريا"، حيث اضطرت المجموعة السرية فجأةً إلى البقاء على اتصال وتبادل المعلومات مع جهاز الاستخبارات السوري المكشوف لإسرائيل بشكلٍ كبير، أو مع أجهزة الاستخبارات الروسية، التي كانت تخضع لمراقبةٍ منتظمة من قبل الولايات المتحدة[١].

تقول صحيفة فايننشال تايمز إن إسرائيل جمعت الكثير من البيانات لدرجة أنها أنشأت مجموعة مخصصة، الوحدة ٩٩٠٠، والتي تكتب خوارزميات تغربل "تيرابايتات" من الصور المرئية للعثور على أدنى التغييرات، على أمل تحديد جهاز متفجر مرتجل على جانب الطريق، أو فتحة تهوية فوق نفق أو الإضافة المفاجئة لتعزيزات خرسانية، مما يشير إلى وجود مخبأ. وبمجرد تحديد هوية أحد عناصر حزب الله، يتم إدخال أنماط تحركاته اليومية في قاعدة بيانات ضخمة من المعلومات، يتم سحبها من أجهزة يمكن أن تشمل الهاتف المحمول لزوجته، أو عداد المسافات في سيارته الذكية، أو موقعه. إن هذه العمليات يمكن التعرف عليها من مصادر مختلفة مثل طائرة بدون طيار تُحلق في السماء، أو من خلال بث كاميرا مراقبة مخترقة يمر بها. إن أي انقطاع عن هذا الروتين يصبح بمثابة تنبيه لضابط الاستخبارات لفحصه، وهي التقنية التي سمحت لإسرائيل بتحديد القادة متوسطي المستوى لفرق مكافحة الدبابات المكونة من اثنين أو ثلاثة مقاتلين والتي ضايقت قوات جيش الاحتلال الإسرائيلي عبر الحدود.

وفي مرحلةٍ ما، راقبت إسرائيل جداول القادة الأفراد لمعرفة ما إذا كان قد تم استدعاؤهم فجأةً تحسبًا لهجوم، بحسب ما قصته فايننشال تايمز، لكن كل واحدة من هذه العمليات تتطلب الوقت والصبر للتطور. على مدى سنوات، تمكنت المخابرات الإسرائيلية من ملء بنك أهداف ضخم لدرجة أنه في الأيام الثلاثة الأولى من العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان، حاولت طائراته الحربية تدمير ما لا يقل عن ٣٠٠٠ هدف مشتبه به لحزب الله، وفقًا لتصريحات عامة صادرة عن جيش الاحتلال[٢].

خاتمة: تداعيات نجاح إسرائيل في اختراق حزب الله

لا شك أن إسرائيل نجحت في تكبيد حزب الله خسائر فادحة للغاية في عام ٢٠٢٤، بغض النظر عن مدى صدق روايات الاختراق الاستخباراتي المتعددة. ففي النهاية، تم اغتيال الأمين العام للحزب وقائده العسكري وعدد كبير من قيادات الصف الأول. هذا إن لم نأخذ في الحسبان تدمير البنى التحتية التي تزعم إسرائيل نجاح استهدافها مثل مقر استخبارات حزب الله وعدد كبير من مستودعات الأسلحة.

ربما يكون الأثر الأكثر أهمية في الآونة الراهنة لتراجع نفوذ حزب الله، هو نجاح المعارضة السورية في إسقاط نظام بشار الأسد، الذي ظل حزب الله يدعمه لما يتجاوز عقد من الزمان. إلا أنه لا يمكن الجزم بأن ذلك التراجع قد حدث بسبب ما خسره الحزب وما تعرض له خلال الفترة الأخيرة، لكن المؤكد أن سوريا كانت محطة هامة في انكشافه الاستخباراتي والعملياتي. وبدوره، كان للحزب بالغ الأثر في قمع المعارضة السورية وتوطيد دعائم نظام الأسد تحت المظلة الإيرانية، ثم سقط الأسد وغاب حزب الله عن سوريا.

تتعالى أصوات الأمين العام الحالي لحزب الله نعيم قاسم، وأصوات القادة الإيرانيين، بأن حزب الله أعاد بناء نفسه بالفعل، فحتى وقت اتفاق وقف إطلاق النار بين حزب الله وإسرائيل، ظلت صواريخ الحزب تمطر الأراضي الفلسطينية التي تحتلها إسرائيل مُوقعة خسائر في صفوف الاحتلال. هذا إلى جانب ما أعلنه الحزب في عدة مناسبات من اختراقه هو الآخر لإسرائيل، ودرايته بمواقع حساسة ومعلومات عسكرية

(1) Mehul Srivastava, James Shotter, Charles Clover and Raya Jalabi, Op. Cit.

(2) Ibid.

تفصيلية هدد بها نصر الله غير ذات مرة. إلا أنه لم يستخدم هذه المعلومات أو ينفذ تهديداته، في حين فعلت إسرائيل الكثير.

الأمر المؤكد أيضًا، أن تفجيرات البيجر كانت حدثًا فارقًا في المنطقة، وربما في العالم بأسره. لا يبدو أن ما أُذيع من تفاصيل حول هذا الهجوم قد لاقى التصديق الذي ترجوه إسرائيل، حيث لا زالت على الرغم من مرور أشهر على الهجوم تخرج عملاء من الموساد ومسؤولين ليدعوا إفشاء تفاصيل، ما هي إلا تأكيد للرواية ذاتها. فهل تصرف إسرائيل أنظار العالم عن هجوم سيبراني مخيف؟ إذا ما صحت روايته، فإننا أمام عدو يملك كمًا هائلًا من البيانات والقدرات التكنولوجية التي يمكن له أن يستخدمها وقتما شاء ضد أي طرف يعده عدوًا، أو حتى يصفه صديقًا لكنه يحتاج لبعض الضغط كي يظل على المسار الذي يُناسب إسرائيل.

الداخل اللبناني بين الاصطفاف والاختلاف السياسي

محمد علي إسماعيل*

مقدمة:

أدَّت الضربات العنيفة التي تلقَّاها حزب الله من قوات الاحتلال الإسرائيلي، إلى تقويض قدرته العسكرية بشكل كبير وحوَّلته من فاعل إقليمي ومتحكِّم بالقرار السياسي في لبنان إلى فاعل محلي فقط مشكوك في قدراته على الهيمنة على النظام السياسي اللبناني، حيث أدَّت سلسلة من الأحداث الدراماتيكية إلى انكفاء الحزب في الجنوب اللبناني والتراجع عن استراتيجية وحدة الساحات خاصةً عقب اتفاق وقف إطلاق النار مع إسرائيل، وأيضًا بعد عملية ردع العدوان التي أطلقتها الفصائل المسلحة السورية ضد النظام والتي نتج عنها الإطاحة بنظام بشار الأسد وبالنفوذ الإيراني ونفوذ حزب الله من سورية.

وتناقش هذه الورقة مواقف القوى السياسية اللبنانية من فتح جبهة المساندة ولاحقًا من العدوان الإسرائيلي على لبنان، وتستعرض محددات الاصطفاف والاختلاف السياسي بين النخب السياسية، وأخيرًا مستقبل النظام السياسي اللبناني عقب إضعاف حزب الله ومحور المقاومة بعد الضربات الإسرائيلية التي أطاحتْ بقيادة حزب الله السياسية والعسكرية وبقيادة الحرس الثوري في سورية ولبنان.

أولًا- مواقف القوى السياسية اللبنانية من العدوان الإسرائيلي

عانى لبنان من سلسلة من الأزمات السياسية والاقتصادية والصحية، بدأت بالانهيار الاقتصادي في أكتوبر ٢٠١٩، وتفاقمت مع جائحة كورونا في عام ٢٠٢٠، ثم جاء انفجار مرفأ بيروت في أغسطس ٢٠٢١، والفراغ الرئاسي في أكتوبر ٢٠٢٢ مع انتهاء ولاية الرئيس السابق ميشال عون، هذا فضلًا عن حكومات تصريف الأعمال التي تقود لبنان منذ ٢٠١٩ وحتى الآن.

في هذه الأجواء انخرط حزب الله في صراع عسكري منخفض ومناوشات مع جيش الاحتلال في الجنوب اللبناني وشمال فلسطين المحتلة منذ ٨ أكتوبر ٢٠٢٣، متمسِّكًا بمبدأ "وحدة الساحات" الذي تمَّ التوافق عليه بين أطراف محور المقاومة، ويقتضي انخراط كامل جبهات المحور في الجهود العسكرية ضدَّ أعداء أي طرف من أطرف هذا التحالف. وهو ما تحقَّق بالفعل بانخراط حزب الله وأنصار الله والميليشيات العراقية في ضربات ضد إسرائيل والقوات الأمريكية والبريطانية المتحالفة معها.

في الداخل اللبناني مَثَّلَ فتح حزب الله لجبهة الجنوب نقطة خلاف سياسي جديدة زادت من تعقيد المشهد وتفاقم الخلافات بين الأطراف السياسية اللبنانية خاصةً القوى المحسوبة على حزب القوات اللبنانية التي اعتبرت أن هذه الحرب "ليست حرب لبنان"، مشيرة إلى ما قد تسبِّبه من آثار كارثية على الشعب اللبناني بكلِّ طوائفه، في ظل الأزمات التي تعصف بالبلاد[١].

منذ عام ٢٠٠٥، تمَّ تأطير القوى السياسية والشعبية ضمن تحالفين سياسيَّين كبيرَيْن انضوت تحتهما القوى السياسية اللبنانية[٢]. الأول هو تحالف "**الثامن من آذار**"، الذي انضوى تحته حزب الله بزعامة حسن نصر الله، وحركة أمل بزعامة نبيه

---

* باحث في العلوم السياسية.

(١) نجية دهشة، هكذا تقرأ الأطراف السياسية اللبنانية الحرب مع إسرائيل، الجزيرة نت، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/zYIdjWAw

(2) Fadi Nicholas Nassar, The Roots of the Lebanese Protests and the Path Forward, the global observatory, October 28, 2019, Accessed: 27 December 2019, 11: 20, Available at: https://cutt.us/3CEEa

بري والتيار الوطني الحر بزعامة ميشيل عون. والثاني تحالف "**الرابع عشر من آذار**"، والذي انضوى تحت لوائه تيار المستقبل بزعامة سعد الحريري، والحزب الاشتراكي التقدُّمي بزعامة وليد جنبلاط، وحزب القوات اللبنانية بزعامة سمير جعجع وأحزاب مسيحية وسُنِّيَّة أخرى أقل حجمًا ومستقلِّين.

منذ ذلك الوقت جَرَتْ في نهر السياسة اللبنانية مياه كثيرة، خاصةً لجهة تفكُّك وضعف تحالف الرابع عشر من آذار على الرغم من بداياته القوية، وأيضًا لجهة اختلاف أحزابه في السياسات الداخلية والخارجية وهو ما سوف يتَّضح فيما يلي. ولكن لأغراض التصنيف واختزال المشهد السياسي اللبناني يتم إلى الآن التعاطي مع التحالفين كأنهما معطى دائم أو خصيصة أساسية من خصائص النظام السياسي اللبناني.

برزت ثلاثة مواقف للقوى السياسية اللبنانية من فتح جبهة الإسناد ثم من العدوان الإسرائيلي على لبنان، هي:

الموقف الأول: يرفض العدوان الإسرائيلي على لبنان ويدعو لاصطفاف القوى السياسية خلف المقاومة ضد أي اعتداء خارجي، وظهر هذا الموقف من "قوى الثامن من آذار" حزب الله وحركة أمل والتيار الوطني الحر. وعلى الرغم من ذلك تباينت مواقفهم من مسألة فتح جبهة الإسناد ففي الوقت الذي بررها الأمين العام السابق لحزب الله وغيره من قيادات الحزب بأسباب شتى، فإن التيار الوطني الحر رفض فتح جبهة الإسناد[١].

الموقف الثاني: وهو موقف الحزب التقدمي الاشتراكي، الذي ثَمَّنَ فتح جبهة الإسناد، ولكنه دعا إلى وقف إطلاق النار وتطبيق القرار (١٧٠١) وانتشار الجيش اللبناني، وشدَّد على أن إسرائيل تستمر في عدوانها الذي يطال المدنيين بشكل واضح.

الموقف الثالث: موقف حزب القوات اللبنانية، الذي اعتبر أنه لا يحقُّ لحزب الله إعلان الحرب على إسرائيل؛ كون إعلان الحرب من صلاحيات الدولة اللبنانية وحدها وليس الحزب. وفيما يتعلَّق بالموقف من العدوان الإسرائيلي على لبنان فإن متابعة ما يصدر عن مسؤول الإعلام في الحزب توضِّح أنه يرى في الحرب الإسرائيلية على لبنان فرصة بل ".. ومصلحة لبنانية قبل أن تكون إسرائيلية أو أمريكية، من مبدأ استحالة قيام دولة فعلية في ظلِّ سلاح خارجها، وهذا ما أثبتته الوقائع منذ ٣٤ سنة حتى اليوم"[٢]. مشددًا على أن "ما يحدث منذ ذلك التاريخ حتى اليوم من دمار وخراب وموت هو نتيجة مباشرة لقرار حزب الله، فهو اتخذ هذا القرار رغم معرفته بأن أغلب اللبنانيين لا يريدون الحرب، وذلك ما جعلهم عالقين بين نيران إسرائيل وإيران"[٣].

ثانيًا- محددات الاصطفاف السياسي في النظام السياسي اللبناني

هناك مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي تحدد عملية الاصطفاف أو الافتراق بين الفصائل السياسية اللبنانية، هذه المحددات تنقسم إلى محددات داخلية وأخرى خارجية:

١- المحددات الداخلية

تتشابك مجموعة من المحدِّدات الداخلية المؤثِّرة على الاصطفاف السياسي، أبرزها ما يلي:

أ) المحدد الطائفي

نشأ النظام السياسي اللبناني على تقسيمات ديمجرافية حادة، بهدف تحقيق تمثيل سياسي لكافة المكونات الطائفية اللبنانية. فعندما نال لبنان استقلاله في عام ١٩٤٣، تم العمل على دمج هذه التقسيمات الطائفية في اتفاق سياسي شامل غير مكتوب، وجاءت "وثيقة الوفاق الوطني" المعروفة باتفاق الطائف عام ١٩٨٩ الذي أنهى الحرب الأهلية اللبنانية، والتي

(١) أسعد درغام، في بلا قيود: رفضنا منذ البداية جبهة الإسناد ووحدة الساحات، بي بي سي عربي، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/599NXF9u

(٢) شارل جبور، لماذا انتقل المجتمع الدولي من الـ١٧٠١ إلى الـ١٥٥٩؟، الجمهورية، ١٤ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/xetEgxHI

(٣) نجية دهشة، مرجع سابق.

تعدُّ بمثابة نص مكتوب لـ "ميثاق عام ١٩٤٣" كنص مستحدث عمل على دسترة الطائفية السياسية، بتخصيصه مناصب حكومية، وإدارية ومقاعد برلمانية، لجميع الطوائف الدينية اللبنانية بحسب أعدادها السكَّانية[١].

وعلى الرغم من اشتمال "وثيقة الوفاق الوطني" على بند إلغاء "الطائفية السياسية"، حيث إن إلغاءها وفقًا لهذا الاتفاق "هدف وطني أساسي يقتضي العمل على تحقيقه وفق خطة مرحلية"، وتشديدها على إلغاء "قاعدة التمثيل الطائفي واعتماد الكفاءة والاختصاص في الوظائف العامة... إلخ"[٢]. ما زال لبنان يدور في فلك المحاصصة الطائفية التي أنتجت كافَّة المشكلات البنيوية التي تشهدها الدولة اللبنانية التي ينتج عنها الفشل المتلاحق الذي ينتج بدوره الاحتجاجات الشعبية، وتلك المحاصصة لا تتوقَّف على المناصب الرئيسية (رئيس الدولة مسيحي ماروني، ورئيس الوزراء مسلم سني، ورئيس البرلمان مسلم شيعي)، بل تمتد لتشمل نواب البرلمان التي يحدِّد لكلِّ طائفة عدد مقاعد معين تتصارع عليها الطائفة، وكذلك الوظائف الإدارية التي تخضع هي كذلك للتوازن الطائفي[٣].

ب) المحدد المؤسسي

يبرز هذا المحدد في الصراع المستمر بين الرئاسات الثلاث وعدم قدرتها على التعاون فيما بينها بشكل فعال. فكثيرًا ما يشهد لبنان فترات طويلة من الشغور الرئاسي، أو تعطُّل عمل البرلمان، أو تأخُّر تشكيل الحكومات وتزايد فترات حكومات تصريف الأعمال. كما تُعاني المؤسسات العامة من هيمنة القوى السياسية والطائفية عليها، حيث تتحوَّل من مؤسسات تخدم المصلحة العامة إلى أدوات في يد الزعامات السياسية لتحقيق مصالحها الخاصة وتعزيز نفوذها.

وهو ما يؤشِّر إلى ضعف المؤسسات الدستورية وتأثُّرها بالتجاذُبات السياسية بين قوى ٨ آذار وباقي مكونات الطيف السياسي اللبناني، التي تتفاقم إلى حالات شلل سياسي سواء بشغور منصب الرئيس أو باستمرار كثير من الحكومات اللبنانية كحكومات تصريف أعمال غير قادرة على الإنجاز أو أخذ قرارات حاسمة؛ حيث تصر الكتل الرئيسية المنضوية ضمن تحالف "٨ آذار" أو الأحزاب التي كانت منضوية ضمن تحالف "١٤ آذار" على وصول حليفها الماروني إلى القصر الرئاسي أو الحصول على الثلث المعطِّل في الحكومة أو إصرار حزب الله وحركة الأمل على احتكار حقيبة المالية.

ج) محدد الاقتصاد السياسي

يمثل هذا المحدد أبرز ملامح الاصطفاف والتعاضد بين النخب السياسية اللبنانية، حيث إن طبيعة الاقتصاد السياسي في لبنان تقوم على سيطرة "الطبقات الحاكمة اللبنانية الطائفية النيوليبرالية" على القطاعات الاقتصادية الرئيسية. ففي دراسة جوزيف ضاهر أوضح أنه في الوقت الذي تهيمن فيه البرجوازية المسيحية على قيادة العديد من المصارف وقطاع الاستيراد والتصدير، فإن البرجوازية السُّنية تهيمن على قطاع الإنشاءات وتشارك في مجال البنوك، حيث تقدَّر ثروة عائلتين من العائلات البرجوازية السُّنية بحوالي ١٥٪ من إجمالي الثروة الخاصة في لبنان. كما أن البرجوازيتين المسيحية والسُّنية تهيمنان على الهيئات الاقتصادية الرئيسية؛ جمعيات (تجار بيروت، والمصارف، والصناعيين) إلى جانب سيطرتهما على غرف (الصناعة، والتجارة، والزراعة)[٤]. في الوقت عينه، يتمحور نفوذ البرجوازية الشيعية في نشاطين اقتصاديين رئيسيين، هما الإنشاءات والاستيراد والتصدير، مع حضور ضعيف في قطاع المصارف[٥].

---

(١) أديد داويشا، الصحوة العربية الثانية.. الثورة والديمقراطية والتحدي الإسلامي من تونس إلى دمشق، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٩)، ص ٢٢٦.

(٢) سعيد سلمان، لبنان والطائف.. آثاره.. ردود الفعل حوله.. نتائجه.. إمكانيات تطبيقه، (بيروت: وكالة المطبوعات اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠)، ص٢٣٩.

(٣) محمد علي إسماعيل، الطائفية وأزمة السياسة والاقتصاد في لبنان، فصلية قضايا ونظرات، العدد ٢٩، أبريل ٢٠٢٣، متاح على موقع مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٢٨ أبريل ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/AskQfHIL

(٤) جوزيف ضاهر، الاقتصاد السياسي لحزب الله اللبناني، ترجمة: علاء بريك هنيدي، (الجيزة: دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٢)، ص ص ١٠٢-١٠٣.

(٥) المرجع السابق، ص ص ١١٠-١١٥.

إن أي محاولة لتغيير النظام المحاصصي الطائفي، أي الانقلاب على كامل المنظومة الطائفية تُجابه بشدَّة ولا يُتسامح مع الحركات الفاعلة في هذا الشأن من قبل الطبقات الحاكمة اللبنانية، وإن جاءت تلك التحركات على هيئة حراك شعبي عابرة للطوائف كـ"انتفاضة ١٧ أكتوبر ٢٠١٩"، والتي فشلت في تحقيق أهدافها نتيجة التفاف القوى السياسية على مطالب الحراك وإنهاكه مع الوقت، وحَرْفِ مساره بمناوشات الشوارع، وهو السيناريو المتَّبع مع الحركات الاحتجاجية السابقة[١].

في مقالة ثاقبة، استشرف مهدي عامل في ثمانينيات القرن الماضي ما سيؤول إليه الحراك الاجتماعي الناشئ وسط الطبقات الكادحة الشيعية الحانقة على النظام المحاصصي بين الموارنة والسُّنَّة. جازمًا بأن الحل الذي ستطرحه النخب البرجوازية المسيطرة سوف يتمثل في توسيع رقعة مقاعد السلطة عبر إعطاء مقعد للبرجوازية الشيعية وهو مجلس النواب مع احتفاظ الموارنة بالمقعد الرئاسي واحتفاظ السُّنة بمقعد رئاسة الوزراء في إشارة إلى اتفاق عام ١٩٤٣[٢]. وقد أثبتت مجريات الأحداث صحة استشراف عامل، فالفئات الشيعية تم تطييفها عبر سيطرة ممثلين على حراكها (حزب الله وحركة أمل). واللذين بالرغم من بداياتهما الرافضة لصيغة المحاصصة ومجمل النظام الطائفي، فإنهما سرعان ما اندمجا في بنية الاقتصاد السياسي باعتبارهما طرفًا سياسيًّا مرتبطًا بالبرجوازية الطائفية.

٢- المحددات الخارجية

تتشابك مجموعة من المحددات الخارجية المؤثرة على الاصطفاف أو الاختلاف السياسي، أبرزها ما يلي:

أ) المحدد الإقليمي

يمثِّل المحدد الإقليمي أحد أبرز العوامل المؤثِّرة في النظام السياسي اللبناني، حيث يعكس مدى تأثُّر لبنان بمحيطه الجغرافي والسياسي وتداخل قضاياه مع الصراعات الإقليمية.

(١) محمد علي إسماعيل، الطائفية وأزمة السياسة والاقتصاد في لبنان، مرجع سابق.

تاريخيًّا، تتصارع الرياض وطهران على النفوذ في بيروت، ولكل عاصمة حلفاؤها. دأبت طهران على دعم حزب الله اللبناني، في الوقت الذي دعمت فيه الرياض تيار المستقبل سواء بالدعم السخي للحريري الأب ثم في فترة لاحقه للحريري الابن، لكن هذا الدعم السعودي لتيار المستقبل تم تخفيضه بشكل حاد، ردًّا على تحالف الحريري مع حزب الله والتيار الوطني الحر الذي نتج عنه ما سُمِّي بـ"العهد".

وشكَّلت العلاقة مع سورية عاملًا محوريًّا في هذا المحدد، خاصةً بعد سنوات الوصاية السورية على لبنان وما تبعها من انقسام سياسي حول طبيعة العلاقة مع دمشق، إضافة إلى تداعيات الأزمة السورية وملف اللاجئين. أما إسرائيل فيأتي تعاطيها مع لبنان من مدخل إضعاف النفوذ الإيراني وإضعاف حزب الله الذي يمثل تهديدًا للأمن القومي الإسرائيلي خاصةً في ظل التنامي الواسع لنفوذ الحزب في المشهد السياسي والعسكري اللبناني، فضلًا عن ملفات ترسيم الحدود البحرية ووحدة الساحات.

نتيجة لهذا المحدد، يجد لبنان نفسه في موقع صعب يؤثِّر على قدرته على اتخاذ قرارات مستقلة، ويجعله عرضة للتجاذبات الإقليمية التي تنعكس على استقراره السياسي والاقتصادي. يؤدِّي هذا المحدد إلى تعقيد عملية صنع القرار السياسي في لبنان وتعميق الانقسامات الداخلية، مما يجعل أي محاولة للإصلاح مرتبطة بشكل وثيق بالتوازنات الإقليمية والتفاهمات بين القوى المؤثرة في المنطقة.

ويتعاطى هؤلاء الفاعلون الإقليميُّون مع الشأن اللبناني بدرجات متفاوتة، ففي الفترة الأخيرة انخرطت إسرائيل وإيران في الشأن اللبناني وتراجع دور المملكة العربية السعودية بعد إحجامها عن ممارسة دور الوصي على السُّنة وتراجع دور القيادة السُّنية السياسية مع اعتزال سعد الحريري للعمل السياسي. لكن عملية طوفان الأقصى وما تبعها من زلزال إقليمي تمثَّل في إسقاط نظام بشار الأسد وإضعاف محور المقاومة في

(٢) مهدي عامل، في الدولة الطائفية، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

لبنان وسورية ينذر بتغيُّر خريطة الفاعلين الإقليميّين المؤثّرين على المشهد اللبناني بإعطاء أدوار أكبر لفواعل جدد أبرزهم تركيا وتراجع نفوذ فواعل قدامى أبرزهم إيران وسورية التي يرجَّح أن تنكفئ داخليًّا خلال الفترة القادمة.

ب) المحدد الدولي

هناك عدة أطراف دولية تتعاطى مع الشأن اللبناني، وسنركز هنا على الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، لكونهما من أبرز الفاعلين الدوليين في الساحة اللبنانية. نستطيع أن نقول إن نهج باريس وواشنطن في التعاطي مع لبنان خاصةً خلال الحرب الأخيرة يظهر اختلافًا في التعاطي. فباريس تعمل على احتواء الملف اللبناني وإدارته بتعقيداته ما يسمح لها بممارسة دور تراه تاريخيًّا في لبنان وذلك على الرغم من محدودية هذا الدور وفاعليَّته على الأطراف السياسية اللبنانية الفاعلة[١]. أما واشنطن فنهجها أحادي عمل خلال الفترة الماضية على تحييد قوة حزب الله وإضعافه بشكل كامل حتى تضمن لحليفتها في المنطقة الاستقرار وممارسة دور المهيمن في السياسة الإقليمية[٢].

في هذا الإطار دعت فرنسا إلى وقف إطلاق النار، بعد أن اقترحت هدنةً لمدة ثلاثة أسابيع في سبتمبر ٢٠٢٤، والتي رُفضت بسرعة من قبل أصحاب إسرائيل[٣]. في الأثناء كان المبعوث الأمريكي إلى لبنان آموس هوكشتاين يقوم بجولات في المنطقة بهدف تقديم مبادرة لوقف إطلاق النار، أتت جهود هوكشتاين أكلها بعد الضرر الكبير الذي تعرَّض له الحزب عقب مقتل أمينه العام وغالبية مجلسه الجهادي، ثم الضغط الكبير بالعملية البرية الإسرائيلية في الجنوب اللبناني، حيث قبل الحزب بوقف إطلاق النار بشروط لم يكن يقبلها في السابق[٤].

استند اتفاق وقف إطلاق النار بين إسرائيل ولبنان إلى القرار ١٧٠١، ولكنه صيغ بطريقة تفتح مجالًا واسعًا للتأويل، متضمنًا تنفيذ قرارات سابقة مثل القرار ١٥٥٩ الداعي لنزع سلاح الجماعات المسلَّحة، والقرار ١٦٨٠ بشأن ترسيم الحدود مع سوريا. ونص الاتفاق على انسحاب تدريجي للقوات الإسرائيلية جنوب الخط الأزرق، مقابل انسحاب حزب الله شمال نهر الليطاني، مع نشر الجيش اللبناني لعشرة آلاف عنصر في الجنوب. وتضمَّن أيضًا التزامات تتعلَّق بتفكيك البنى التحتية غير الحكومية ومصادرة الأسلحة غير المصرح بها. كما أكَّد الاتفاق على حق البلدين في الدفاع عن النفس، مما أتاح لإسرائيل مجالًا للعمل ضد حزب الله بالرغم من بدأ سريان الاتفاق، في حين أحجم الحزب عن الرد -سوى مرة واحدة- خوفًا من تصعيد المواجهة وانتهاء وقف إطلاق النار[٥]. وتعهَّدت الولايات المتحدة وفرنسا بتقديم الدعم للقوات اللبنانية وضمان تنفيذ الاتفاق، مع بدء مفاوضات غير مباشرة لترسيم الحدود البرية بين البلدين بوساطة أمريكية.

ثالثًا- القضايا الخلافية المطروحة

شكَّل اتفاق وقف إطلاق النار بين إسرائيل و"حزب الله" نقطة تحول في مجرى الأمور في لبنان والمنطقة، ليس فقط لأنه وضع حدًّا لحرب مدمِّرة، وإنما لأنه فتح الباب أمام قوى مختلفة للتحرك مستفيدةً من الضربة الكبيرة التي تلقَّاها حزب الله ومحور المقاومة. استفادت الفصائل السورية المسلَّحة من حالة

(1) Fadi Nicholas Nassar, There is no alternative to Hezbollah's disarmament, Middle East Institute, 29 October 2024, Available at: https://2u.pw/SFla2aun

(٢) سهير مديني، تقييم التعاون الأمريكي - الفرنسي بعد عام من السابع من تشرين الأول/أكتوبر، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ١٨ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/BogTHgtH

(٣) إسرائيل ترفض مقترح فرنسا لمنع حرب في لبنان: تظهر عداءً ضدنا، الشرق، ١٤ يونيو ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/MraBPlvK

(4) Josephine Deeb, Full text of the ceasefire agreement between Israel and Lebanon, Middle East eye, 27 November 2024, Available at: https://2u.pw/zi2gbwGR

(٥) اتفاق وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله: الدوافع والتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/rsfgqeT2

الضعف التي يعيشها الحزب وأطلقت عملية عسكرية واسعة في اليوم التالي لعملية وقف إطلاق النار وهي العملية التي تُوِّجَتْ بالإطاحة بحكم البعث والرئيس السوري بشار الأسد[١]. أيضًا يفتح وقف إطلاق النار وإضعاف حزب الله الباب أمام الأصوات المناهضة للحزب وهيمنته وحلفائه على السياسة اللبنانية، خاصةً فيما يتعلَّق بالقضايا الخلافية بين الفرقاء السياسيِّين.

توجد على الأقل ثلاث قضايا أساسية تشكِّل خلافًا بين الفرقاء السياسيين اللبنانيين والقوى الإقليمية والدولية الفاعلة على الساحة اللبنانية في المرحلة الراهنة، هي:

١- سلاح المقاومة والقرارات الأممية:

تتباين مواقف القوى السياسية اللبنانية بشكل حادٍّ تجاه سلاح حزب الله والقرارات الدولية ١٧٠١ و١٥٥٩، حيث تنقسم إلى ثلاث اتجاهات رئيسية: مؤيد ومعارض ووسطي.

الموقف الأول المؤيد: يمثِّله حزب الله وحركة أمل، حيث يعتبرون سلاح المقاومة شرعيًّا وضروريًّا لحماية لبنان من التهديدات الإسرائيلية، ويرون في القرار ١٧٠١ إطارًا لوقف العمليات العسكرية دون المساس بحق المقاومة في الاحتفاظ بسلاحها. وتدعم حركة أمل والحزب معادلة "الجيش والشعب والمقاومة"، مع تأييدهم لتطبيق القرار ١٧٠١ بما لا يتعارض مع حق المقاومة، ويربطون مصير سلاح حزب الله باستمرار التهديدات الإسرائيلية.

الموقف الثاني المعارض: يتبنَّاه تيار المستقبل وحزب القوات اللبنانية، حيث يطالبون بحصر السلاح بيد الدولة وتطبيق القرار ١٧٠١ بشكل كامل، ويرفضون وجود سلاح خارج إطار الشرعية. ويشدد حزب "القوات اللبنانية" على رفض المساومة مع السلاح غير الشرعي مؤكِّدًا على أن الأساس هو نزع سلاح الحزب بدءًا من جنوب الليطاني كمبدأ دستوري.

الموقف الثالث: يتَّخذ الحزب التقدمي الاشتراكي موقفًا أكثر تركيبًا، حيث يدعو لمعالجة قضية السلاح من خلال حوار وطني، مع تأييده لتطبيق القرار ١٧٠١ ورفضه استخدام السلاح في النزاعات الداخلية، ومساندته للمقاومة ضد الاعتداءات الإسرائيلية. ويتَّفق التقدمي الاشتراكي مع التيار الوطني الحر في التمسُّك بحصر السلاح في يد الدولة ضمن استراتيجية دفاعية يُتَّفق عليها بعد انتخاب رئيس للجمهورية[٢].

أمَّا على الصعيد الإقليمي والدولي فتركز إسرائيل والولايات المتحدة على تطبيق القرار الأممي ١٥٥٩، الذي يهدف إلى نزع سلاح حزب الله بالقوة. تشير التحركات الإسرائيلية إلى سعي دولة الاحتلال إلى نزع سلاح الحزب بالقوة في مناطق جنوب الليطاني. فعلى الرغم من بدء سريان وقف إطلاق النار في الجنوب اللبناني، فإن القوات الإسرائيلية تقوم بعمليات دهم لمقرات ومواقع الحزب في الجنوب اللبناني وتفجير مستودعات الأسلحة التي تجدها[٣].

٢- الانتخابات الرئاسية:

شهد لبنان فراغًا سياسيًّا في موقع رئاسة الدولة لثلاث مرات، الأولى استمرت ٦ أشهر عقب مغادرة **إميل لحود** قصر بعبدا في نوفمبر ٢٠٠٧[٤]. أما الثانية فكانت عقب رحيل "**ميشيل سليمان**" في ٢٥ مايو ٢٠١٤ واستمرت لما يناهز العامين قبل انتخاب العماد "**ميشيل عون**" في أكتوبر ٢٠١٦. أما الفراغ الثالث والمستمر منذ نحو ٢٦ شهرًا، فبدأ منذ ٣١ أكتوبر ٢٠٢٢ بمغادرة عون للقصر الرئاسي، وذلك على الرغم من انعقاد مجلس النواب لثلاث عشرة جلسة خلال العامين الماضيين من

(١) محمد علي إسماعيل، عملية "ردع العدوان" الفاعلون والسياقات، مركز رواق بغداد، ٧ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/FCD0PeeW

(٢) دنيز رحمة فخري، كيف قرأ سياسيو لبنان اتفاق وقف النار وهل يسلم "حزب الله" سلاحه؟، إندبندنت عربية، ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://linksshortcut.com/eZVcZ

(٣) مايكل يونغ، إلى أين تتَّجه حرب لبنان المفتوحة على جميع الاحتمالات؟، مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، ١٦ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://linksshortcut.com/wBQuy

(٤) لحود يضع لبنان في قبضة الجيش، البيان، ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٧، تاريخ الاطلاع: ١٠ مارس ٢٠٢٣، ١٠:٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://cutt.us/EBpAA

أجل اختيار الرئيس دون جدوى[١]، وذلك نتيجة إصرار حزب الله على إيصال حليفه الماروني زعيم تيار المردة سليمان فرنجية إلى مقعد الرئاسة. لقد أدَّى النظام السياسي اللبناني القائم على المحاصصة الطائفية أو ما يعرف بـ "الديمقراطية التوافقية"، إلى تتابع عمليات الشلل السياسي، حيث إنه من شبه المستحيل اتخاذ أي قرارات كبرى دون توافق جميع الفرقاء السياسيين الموزعين على أساس طائفي.

ستعقد الجلسة الرابعة عشر في ٩ يناير ٢٠٢٥، في بداية دور الانعقاد الأخير لمجلس النواب الحالي، وهناك مُتغيرات أبرزها إضعاف الحزب بشكل كبير نتيجة الضربات العسكرية التي تعرَّضت لها قيادته السياسية والعسكرية، الأمر الذي من المرجَّح أن يدفع بالحزب في اتجاه محاولة التوافق مع باقي القوى على اسم الرئيس الجديد، خاصةً في ظلِّ حاجة الحزب إلى إعادة إعمار المناطق الشيعية التي تهدَّمت نتيجة العدوان الإسرائيلي.

٣- ملف النزوح وإعادة الإعمار:

شهد ملف النزوح في لبنان سجالات داخلية ومحاولة استغلال وتقليب من قبل أطراف إقليمية وخارجية. فعقب أن وسَّعت إسرائيل هجومها البري على الجنوب اللبناني، قامت بقصف مبنى في بلدة أيطو في قضاء زغرتا ذات الغالبية المسيحية بشمال لبنان، وكان المبنى يؤوى نازحين من بلدة "عيترون الجنوبية"[٢]. أثارت هذه العملية سجالات بين القوى السياسية اللبنانية، حيث طالب النائب ميشال معوض مؤسس حزب حركة الاستقلال السياسي بعدم دخول عناصر عسكرية أو حزبية منتمية إلى حزب الله إلى المنطقة. على الجانب الآخر، شَنَّ السياسي اللبناني وزعيم تيار المردة سليمان فرنجيه هجومًا على صاحب البناية متهمًا إياه بالانتماء لحزب القوات اللبنانية المتعاطف مع العدوان الإسرائيلي[٣].

أمَّا ملف إعادة الإعمار فيتم طرحه من قبل الأطراف الدولية كورقة ضغط على الحزب، بمعنى أنه في حالة التزام الحزب بالاتفاقات الدولية وبمسار سياسي لا يكون مهيمنًا فيه، سوف يسمح للمانحين الدوليين والإقليميين بضخ أموال في هذا الإطار للقيام بإعادة الإعمار. يذهب مايكل يونج الباحث المختص في الشأن اللبناني إلى أن "الولايات المتحدة ومعظم دول الخليج العربي، ولا سيما السعودية والإمارات، ستراقب عن كثبٍ تصرُّف الحكومة المقبلة. ستنتظر هذه الدول أيضًا مآل صيغة "الجيش والشعب والمقاومة" من أجل الحكم على ما إذا كان الساسة في لبنان على استعداد للتحرُّر من سيطرة حزب الله. وسيكون ردُّ الفعل اللبناني حاسمًا في تحديد النتائج حيال مسألتَين أساسيَّتين للبلاد، هما: تنفيذ القرار ١٧٠١، وإعادة إعمار المناطق الشيعية"[٤].

خاتمة- مستقبل النظام السياسي اللبناني عقب إضعاف قوة حزب الله

ترى بعض الأطراف السياسية اللبنانية والإقليمية والدولية في حالة الضعف الحالية التي يمر بها حزب الله والتراجع الإيراني في الإقليم عقب الضربات الإسرائيلية والأمريكية لمحور المقاومة، فرصة لتغيير الواقع في المشهد السياسي اللبناني الذي هيمنَ عليه الحزب وحلفاؤه خلال الفترة الماضية. وبالتالي، ففي ظل تعاطي القوى السياسية اللبنانية، والقوى الإقليمية والدولية مع هذه الفرصة، فيتوقع أن يسير المشهد السياسي اللبناني باتجاه أحد السيناريوهات التالية:

السيناريو الأول: يفترض أنه نتيجة ضغوط المكونات السياسية من خارج تحالف "٨ آذار" والضغوط الدولية خاصةً

(١) كارين طربيه، لماذا يعود الحديث عن انتخاب رئيس للجمهورية بقوة في لبنان؟، بي بي سي عربي، ٩ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/YFZUixYf

(٢) هجوم صاروخي على تل أبيب و٢١ قتيلا بغارة على شمال لبنان، النهار العربي، ١٤ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/e8VtftKn

(٣) بالفيديو: فرنجية «يُشيطن» صاحب منزل أيطو.. ومعوض «يحسب» المستأجر على الحزب، جنوبية، ١٤ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/y8A5tm3r

(٤) مايكل يونغ، مستقبل لبنان متوقّف على ثلاث كلمات، مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، ١٨ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://n9.cl/ci3ad

من الولايات المتحدة وفرنسا أن يتراجع حزب الله خطوة إلى الوراء عن التمسُّك بإيصال مرشَّحه زعيم تيار المردة إلى المقعد الرئاسي؛ الأمر الذي سوف يؤدِّي إلى حلحلة الوضع وإنهاء الفراغ الرئاسي المستمر منذ أكثر من عامين.

هذا السيناريو تواجهه عوارض كثيرة أبرزها الفيتو المسيحي أساسًا على ترشيح المسلمين نيابة عن المسيحيّين لأي شخص لمنصب الرئاسة، ظهر هذا في الاعتراضات الصادرة عن رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل على الخطوات التي أخذها الزعيم الدرزي وليد جنبلاط لمحاولة طرح اسم قائد الجيش العماد جوزاف عون إلى الرئاسة بحسبانه يحظى بدعم دولي أمريكي فرنسي[١].

السيناريو الثاني: يفترض هذا السيناريو فشل الضغوط في تحقيق أهدافها، سواء في ملف الرئاسة أو في ملفات إعادة الإعمار وحصر السلاح في يد الدولة؛ وذلك نتيجه التفاف الحزب على تلك الضغوط، سواء من جهة التأكيد على أن القرار ١٧٠١ ينطبق على المناطق الواقعة جنوب الليطاني وحدها، ومن ثم يحتفظ الحزب بسلاحه الاستراتيجي خارجها إلى حين انتهاء الضغط الإسرائيلي الأمريكي. أو من جهة المماطلة في ملف انتخاب رئيس لا يرضى عنه الحزب أو يكون محسوبًا على تيارٍ مضادٍّ له واستمرار الفراغ الرئاسي إلى حين، وأخيرًا فيما يخص ملف إعادة الإعمار يبدو أن الحزب عازم على التخلُّص من الضغوط التي يتمُّ طرحها من خلال قيامه بنفسه بإعادة الإعمار، ومن الواضح أن مسألة إعادة الإعمار وعودة النازحين على رأس أولويات قيادة الحزب التي أعلنت عن مساعدات مالية مقدَّمة من الحزب ومن إيران للأسر المتضرِّرة[٢].

ويرجح الباحث حدوث السيناريو الثاني، على الرغم من الضغوط الدولية والإقليمية الهائلة على الحزب وقوى الثامن من آذار، وذلك لعدم بروز زعامات محلية تستطيع قيادة عملية التغيير تلك. فلبنان الذي يشهد حاليًا تغيرات في موازين القوى السياسية مع تراجع نسبي للنُّفوذ الإيراني، الأمر الذي يثير تساؤلات حول إمكانية ملء هذا الفراغ من قبل قوى إقليمية أو محلية.

على الصعيد الإقليمي يبدو الدور التركي في لبنان محدودًا ومقتصرًا على المشاريع الإنمائية والنفوذ الثقافي، دون مؤشِّرات جِدِّيَّةٍ في الوقت الحالي على قدرة أنقرة أو رغبتها في ملء أي فراغ إيراني، خاصة مع غياب العمق التاريخي للنفوذ التركي في لبنان المعاصر وعدم وجود قوى سياسية لبنانية مرتبطة عضويًّا بأنقرة. أما المملكة العربية السعودية فمنذ إحجامها عن دعم تيار المستقبل منذ نهاية عام ٢٠١٧، إبان إرغام الحريري على تقديم استقالته من الرياض[٣]، لا تتفاعل الرياض مع الشأن اللبناني وتركت الساحة من حينها على الرغم من استثماراتها التاريخية في الصراع الداخلي اللبناني[٤].

داخليًّا، تعيش القوى السياسية اللبنانية حالة من الضعف وعدم القدرة على بلورة حلول. ففيما يتعلق بالمكون السُّنِّي فإنه يعيش حالة من التشتُّت غير المسبوق بعد انسحاب سعد الحريري من المشهد السياسي، حيث لا تبرز أي شخصية سُنِّيَّةٍ قادرة على توحيد الصف أو حيازة إجماع يؤهِّلها لملء فراغ القيادة. وتتعمَّق هذه الأزمة مع انقسام القواعد السُّنِّيَّةِ بين تيارات وشخصيات متعدِّدة، في ظل غياب الدعم المالي والسياسي الذي كان متوفِّرًا سابقًا للقيادات السُّنِّيَّةِ التقليدية من قبل دول الخليج، خاصَّةً المملكة العربية السعودية.

---

(١) ندى أندراوس، ترشيح جنبلاط لعون.. هل يوحِّد الثنائي والمعارضة؟، جريدة المدن الإلكترونية، ١٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/mPUfz2c1

(٢) كلمة الأمين العام لحزب الله نعيم قاسم بعنوان "حملة إعادة الإعمار وعد والتزام"، قناة الميادين، ٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/18H4xG4w

(٣) هادي عمرو، استقالة الحريري وسبب عودة التوتُّر إلى الشرق الأوسط، مركز بروكنجز الدوحة، ٧ نوفمبر ٢٠١٧.تاريخ الاطلاع ٢٩ ديسمبر ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Rc9ANujX

(4) Donna Abu-Nasr, Fiona MacDonald, and Alaa Shahine, Saudi Arabia Isn't Rushing to Bail out Beirut. The Reason Is Iran, Bloomberg, 25 October 2019, Accessed, 29 December 2019, 03:30, Available at: https://2u.pw/e4yzExxj

أمَّا على صعيد القوى السياسية الأخرى، فتبدو القوى التقليدية سواء حزب القوات اللبنانية أو التيار الوطني الحر منشغلة بصراعاتها الداخلية، في حين تفتقر القوى الجديدة التي يمثلها نواب التغيير المعبّرين عن حراك ١٧ أكتوبر ٢٠١٩، للقدرة على قيادة المرحلة خاصةً عقب التفاف القوى السياسية على مطالب الحراك وإنهاكه[١]. كما تُعاني الشخصيات المستقلة من غياب التنظيم والموارد اللازمة لتشكيل بديل قيادي فعال، مما يجعل من الصعب عليها اقتناص الفرصة السياسية الراهنة. الأمر الذي يؤشر على أن المرحلة المقبلة ستشهد استمرار حالة الفراغ والتشتُّت في المشهد السياسي اللبناني، دون وجود مؤشِّرات واضحة على قدرة أي طرف، سواء كان إقليميًّا أو محلِّيًّا، على ملْء الفراغ المحتمل في المدى المنظور.

(١) هؤلاء هم النواب الـ١٦ التغييريون في البرلمان اللبناني، العربي الجديد، ١٨ مايو ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/mIudDhhb

فتح جبهة لبنان والأوضاع في غزة: بين وحدة الجبهات وفك الارتباط

زين العابدين محمد*

مقدمة**:

أعلن محمد الضيف القائد العسكري لحركة حماس في كلمته المسجلة بعد هجمات السابع من أكتوبر: "يا إخوتنا في المقاومة في لبنان وسورية والعراق وإيران، هذا اليوم الذي ستلتحم فيه الجبهات"[(١)]، مُنذ ذلك الحين وفي ٨ أكتوبر ٢٠٢٣ انخرط حزب الله في حرب مقيدة الأهداف ضد إسرائيل تمثلت في إسناد يهدف إلى تخفيف الضغط عن المقاومة في غزة وذلك في إطار قواعد الاشتباك المعمول بها منذ حرب عام ٢٠٠٦.

إلا أنه ومُنذ شهر يوليو ومع وقوع حادثة مجدل شمس أخذت الأحداث تتجه ناحية التصعيد؛ فاغتالت إسرائيل رئيس أركان حزب الله فؤاد شكر في ٣٠ يوليو الماضي في أكبر عملية اغتيال لقيادي عسكري لحزب الله بعد اغتيال عماد مغنية عام ٢٠٠٨، ثم جاءت تفجيرات البيجر في ١٧ سبتمبر وما تزامن معها من نقل إسرائيل ثقل قواتها للشمال وإعلان مجلس الحرب إضافة هدف جديد ضمن الأهداف الاستراتيجية للحرب الدائرة في غزة وهو إعادة سكان الشمال لموطنهم، ليمثل ذلك ذروة التصعيد وكسر قواعد الاشتباك بين الطرفين وفاتحة لجبهة الشمال.

وبالرغم من تمسك حزب الله بالتزامه اتجاه إسناد غزة وعدم فصل الجبهتين حتى في ظل الضربات القوية التي وجهت له في عملية البيجر إلا أن ذلك الموقف شهد تراجعًا في ظل اغتيال حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله وتولي نعيم قاسم خلفًا له، والذي أبدى استعداده لفصل الجبهة اللبنانية عن غزة والسير في طريق المفاوضات، وتمخض عن تلك المفاوضات توصُّل الطرفين الإسرائيلي واللبناني لاتفاق وقف إطلاق النار في ٢٧ نوفمبر الماضي.

وفي خضم استمرار العدوان الإسرائيلي الغاشم على غزة والتوصل لوقف إطلاق النار في لبنان تعددت وتباينت الآراء ما بين نجاح إسرائيل في تحقيق هدفها الاستراتيجي في فصل الجبهتين للانفراد بغزة، وبين فشل المخطط الإسرائيلي في فصل الجبهات معللين ذلك بعدم عودة سكان الشمال إلى منازلهم وأن اتفاق وقف إطلاق النار لا يعني انتهاء الدعم بشكل كامل. وبين هذا وذاك يبرز التساؤل الرئيسي والمتمثل في: **كيف أثر فتح الجبهة الشمالية على الأوضاع في غزة؟** ويسعى هذا التقرير للإجابة عن ذلك التساؤل الرئيسي في إطار العلاقة بين الحرب والسياسية لتحديد درجة التأثير بين الجبهتين، وعليه ينبثق سؤالان فرعيان هما:

١- كيف أدرات إسرائيل حروبها في لبنان وغزة؟ وما انعكاس ذلك على الجبهتين؟

٢- ما أثر المسار التفاوضي على العلاقة بين لبنان وغزة؟ وما مدى تأثير العلاقة بين نتيناهو والمؤسسة الأمنية وعلى رأسها الجيش على ذلك المسار التفاوضي؟

المحور الأول- إسرائيل وإدارة الحروب في غزة ولبنان

إن إجراء تقييم لأي عملية إدارة للحروب -warfare- يتطلب النظر في ثلاث مستويات، وهي:

---

* باحث في العلوم السياسية.

** يتقدم الباحث بالشكر إلى كل من الزميل/ أحمد عبد الرحمن خليفه. لقيامه بعرض بعض الأفكار والمقترحات حول البحث، والأستاذ/ البدوي عبد القادر البدوي. الباحث بالدراسات الأمنية النقدية بمعهد الدوحة للدراسات العليا بشأن إبداء الملاحظات حول المحور الأول من التقرير.

(١) أدهم صولي، بين الهوية والقلق والحرب: حزب الله وتراجيديا غزة، عمران، المجلد الثالث عشر، العدد ١٣، صيف ٢٠٢٤، ص٦٨.

١- المستوى الاستراتيجي (ماكرو).

٢- المستوى العملياتي (ميزو).

٣- المستوى التكتيكي (ميكرو).

تلك المستويات الثلاثة تتضافر فيما بينها وتؤثر في بعضها البعض، مما ينتج عنها تداعيات وعواقب حيث يؤثر المستوى الاستراتيجي للحرب –المستوى الأعلى– في المستويين الأدنى منه –العملياتي والتكتيكي- والعكس صحيح[١]. وقد لخَّص المُنظِّر العسكري الشهير صن تزو ذلك في مقولته "الاستراتيجية بدون تكتيكات هي أبطأ طريق للنصر، أما التكتيكات بدون استراتيجية فهي ضجيج ما قبل الهزيمة"[٢].

وفي هذا الصدد، يعالج هذا المحور كيفية إدارة القوات الإسرائيلية لحروبها في جبهة لبنان وغزة بالتوازي وانعكاس ذلك على الجبهتين، وذلك في إطار المستويات الثلاثة السالف بيانها؛ حيث ينظر المستوى الاستراتيجي إلى جُملة الأهداف السياسية أو الأمنية التي تحددها الدولة وكيفية استخدام وتسخير الموارد الوطنية لتحقيق تلك الأهداف، أما المستوى العملياتي فهو يرتبط بمسارح العمليات وتنفيذ الحملات العسكرية فيها وتبرز أهميته في كونه يُعد الضامن للتماسك بين الأهداف والمتطلبات التي تأتي من المستوى الاستراتيجي وما يتم القيام به على المستوى التكتيكي من قِبل العناصر العسكرية[٣]، وبالنسبة للمستوى التكتيكي فهو يشير إلى فن استخدام القوة وتنظيمها أثناء الاشتباك مع الخصم في ميدان المعركة؛ ويكون الهدف ترجمة المهارات والموارد القتالية لميزة أو انتصار في المعركة[٤].

أولا- جبهة لبنان

مُنذ الثامن من أكتوبر ٢٠٢٣ تصاعدت الاشتباكات بين حزب الله وإسرائيل بسرعة من حيث الشدة والحجم والمدى، فعلى سبيل المثال مُنذ منتصف فبراير ٢٠٢٤ تجاوز عدد الهجمات الصاروخية التي أُطلِقت من جنوب لبنان تلك التي أُطلقت من غزة ليصل معدلها خلال مارس وأبريل ٢٠٢٤ إلى ١٠٠ صاروخ في بعض الأيام وهو عدد قريب من المعدل اليومي البالغ ١٢٠ صاروخًا في حرب عام ٢٠٠٦[٥].

كان لتلك الهجمات أثر عسكري على الجانب الإسرائيلي من حيث الإشارات الاستراتيجية والحرب النفسية واستنزاف الأنظمة الدفاعية الجوية الإسرائيلية وتثبيت فِرق إسرائيلية في الشمال وبناء خطوط دفاع ثابتة في العمق تحسبًا لأي غارات برية محتملة من حزب الله في شمال فلسطين، لكن ما لبث أن تحول ذلك التمركز الدفاعي إلى تمركز هجومي[٦].

يأتي ذلك التحول الدراماتيكي من التمركز في وضع الدفاع إلى هجوم مع رفض حزب الله الدخول في تسوية منفردة لوقف التصعيد في الجبهة الشمالية لإسرائيل تأكيدًا على استراتيجية "وحدة الساحات"، وتزايد الضغوط من قِبل سكان الشمال لرفضهم العودة إلى الشمال في حال أُعلنت تسوية مع لبنان بدون حسم عسكري ضد حزب الله، فضلا عن الرغبة المتزايدة للأوساط اليمينية في حكومة نتنياهو في فتح مواجهة عسكرية واسعة على الجبهة اللبنانية كونها فرصة للاستيلاء على جنوب لبنان[٧]، كلتلك العوامل جعلت من مسألة فتح جبهة الشمال

---

(1) Christopher Tuck, Understanding Land Warfare, (New York: Routledge, 2022), Second Edition, p 22.

(٢) عمر عاشور، الأداء القتالي للقوات الإسرائيلية في غزة ولبنان: ملاحظات على المستوى العملياتي (٢٠٢٣-٢٠٢٤)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٧ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3Zm1tWu.

(3) Christopher Tuck, Understanding Land Warfare, Op. cit, pp. 3-4.

(٤) عمر عاشور، كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟ التكتيكات العسكرية في العراق وسورية وليبيا ومصر، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢)، ص ص ٤٩-٥٠.

(٥) عمر عاشور، الأداء القتالي للقوات الإسرائيلية في غزة ولبنان: ملاحظات على المستوى العملياتي (٢٠٢٣-٢٠٢٤)، مرجع سبق ذكره.

(٦) المرجع السابق.

(٧) شيماء منير، حسابات إسرائيل تجاه الحرب المحتملة مع حزب الله، ملفات: ماذا لو اندلعت الحرب الشاملة بين إسرائيل وحزب الله، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٦ يوليو ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/xb5XVmpo

مسألة وقت حتى أعلنت الحكومة الإسرائيلية في ١٧ سبتمبر توسيع أهدافها لحرب غزة لتشمل هدفًا رابعًا وهو إعادة سكان شمال إسرائيل إلى منازلهم[١].

تزامن توسيع الهدف الاستراتيجي مع تحول على المستويين العملياتي والتكتيكي؛ فمن حيث المستوى العملياتي اتسعت مسارح عمليات الجيش الإسرائيلي لتشمل الجبهة الشمالية حيث قام الجيش الإسرائيلي بنشر مجموعة كبيرة من القوات في الشمال بما في ذلك ألوية من الفرقة ٣٦ النظامية التابعة للقيادة الشمالية وفرقة المظليين النخبوية ٩٨ وفرقة المدرعات الاحتياطية ١٤٦ ليمثل حجم المجموعات القتالية الحالية التي تم حشدها في الشمال ما يتجاوز حجم أربع فرق، وهو أضعاف حجم القوات الإسرائيلية الغازية للبنان عام ٢٠٠٦[٢].

بالتوازي مع ذلك وعلى المستوى التكتيكي تم تنفيذ عملية تفجيرات أجهزة البيجر التي تستخدمها عناصر حزب الله في يوم ١٧ سبتمبر ٢٠٢٤ والتي مثلت أولى خطوات التصعيد الحقيقي ونقل مركز ثقل العمليات العسكرية شمالا حسبما صرح به وزير الدفاع آنذاك غالانت ورئيس الوزراء نتنياهو[٣]؛ أعقب ذلك غارة جوية يوم ٢٠ سبتمبر أسفرت عن مقتل ٤٥ شخصًا على الأقل منهم اثنان من كبار قادة حزب الله. وعقب ثلاثة أيام في ٢٣ سبتمبر نفذت مئات الغارات الجوية وأكثر من ألف طلعة جوية استهدفت ١٦٠٠ موقع يُعتقد أنها تابعة لحزب الله، وضمن عملية سهام الشمال استهدفت إسرائيل من خلال سلسلة من الغارات مستودعات الصواريخ الموجهة وغير الموجهة ومخازن الذخيرة ومواقع منصات الإطلاق والمسيرات الخاصة بالاستطلاع والهجوم، وفي خطوة تصعيدية قام سلاح الجو الإسرائيلي باغتيال الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله بتاريخ ٢٧ سبتمبر وذلك بإلقاء أكثر من ٨٠ قنبلة خارقة للتحصينات[٤].

ما تجدر الإشارة إليه أنه وبالرغم من الحشد الهائل للقوات من جانب إسرائيل إلا أن العملية البرية ظلت محدودة، وبدلا من ذلك اعتمدت إسرائيل -في إطار تكتيك "جز العشب"*- على تفوقها من ناحية سلاح الجو في ضرب أهدافٍ للحزب مثل المواقع العسكرية وتخزين الأسلحة[٥] بقصد إضعاف قدرات الحزب العسكرية؛ لا سيما ما عُرف بـ"ثورة الصواريخ" المكونة من أربع ركائز رئيسية هي: الدقة (الصواريخ الموجَّهة وحِزم التوجيه)، الاتصالات (بين وحدات المدفعية الصاروخية والمسيرات)، الاستطلاع/ أجهزة الاستشعار (طائرات الاستطلاع قصيرة ومتوسطة المدى التي يمكنها رصد المواقع العسكرية والأمنية الإسرائيلية)، المدى (الصواريخ المتوسطة المدى مثل صواريخ فاتح ١١٠ الموجَّهة وصواريخ زلزال ٢ غير الموجهة)[٦].

ومن ناحية أخرى، وإدراكًا من إسرائيل لأهمية قضية ولاء السكان في نجاح المقاومة ودعمها[٧]، عملت من خلال الاعتماد

---

(١) الحكومة الإسرائيلية تقرر إضافة هدف جديد من الحرب في الشمال، العربية نت،١٧ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3CFoSJB

(2) Omar Ashour, Israel's war on Lebanon: Lethal tactics, no endgame, Middle East Eye, 27 September 2024, accessed at: 25 November 2024, available at: https://bit.ly/4g2piI2.

(٣) وحدة الدراسات السياسية، "مجزرة" تفجير شبكة اتصال حزب الله: الدلالات والتداعيات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٢ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/495AQYS.

(٤) عمر عاشور، الأداء القتالي للقوات الإسرائيلية في غزة ولبنان: ملاحظات على المستوى العملياتي (٢٠٢٣-٢٠٢٤)، مرجع سبق ذكره.

* يشير مفهوم "جز العشب" إلى تقبل إسرائيل بعدم قدرتها القضاء على حركات المقاومة وبدلا من ذلك تعمل على استهداف قادة تلك الحركات بشكل دوري مع استخدام القوة الكافية لردع تلك الجماعات دون الإطاحة بها بشكل مطلق.

(٥) شيماء منير، حسابات إسرائيل تجاه الحرب المحتملة مع حزب الله، مرجع سبق ذكره، ص٨.

(٦) عمر عاشور، الأداء القتالي للقوات الإسرائيلية في غزة ولبنان: ملاحظات على المستوى العملياتي (٢٠٢٣-٢٠٢٤)، مرجع سبق ذكره.

(٧) عمر عاشور، كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟ التكتيكات العسكرية في العراق وسورية وليبيا ومصر، مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٢-٣٣.

مرة أخرى على تفوقها الجوي في مُعاقبة المدنيين بسبب احتضانهم لمقاتلي المقاومة في إطار ما يعرف بـ"عقيدة الضاحية"؛ حيث يتم ضرب البنية التحتية العسكرية والمدنية في المنطقة المستهدَفة وذلك بغية خلق بيئة مدنية معادية للمقاومة[١].

يمكن القول إنه على المستوى التكتيكي والعملياتي قد نجحت إسرائيل في إحراز تقدم في هذا الشأن من حيث إضعاف موارد الحزب العسكرية وضرب هيكله القيادي فضلا عن نجاحه في إرهاب المدنيين وفقًا لعقيدة الضاحية المشار إليها آنفًا، لكن وبالرغم من ذلك فإنه يجب الأخذ في الاعتبار أن "للطرف المقابل صوتًا دائمًا". وعليه يبقى التساؤل الأساسي في ذلك الشأن عما إذا كان لدى حزب الله القدرات اللازمة لتنفيذ ضربات نوعية من حيث المدى والدقة والقوة التفجيرية، أم أن القوات الإسرائيلية قد نجحت بالفعل في تقليص تلك القدرات بحيث باتت محدودة التأثير عمليًا[٢]؟

في سياق الإجابة عن ذلك السؤال يمكن القول إنه بالرغم من الضربات التي تعرض لها الحزب فإنه استطاع امتصاص الصدمة الناتجة عن تلك الضربات؛ فتركيز القوة النارية الساحقة وتوجيه ضربات عميقة لقطع رأس خلايا حزب الله لا معنى لها إذا كانت موجهة ضد شبكة لا مركزية[٣]؛ حيث أشارت تقارير الاستخبارت العسكرية الإسرائيلية إلى أن قوات الحزب على الخطوط الأمامية ما زالت منضبطة ومحافظة على تسلسل عسكري صارم فضلا عن تمتع وحدات حزب الله على الأرض بقدر كبير من الاستقلال لمواجهة القوات الإسرائيلية، فهي تعرف المهمة المُكلفة بها وتستطيع تنفيذها دون الحاجة إلى وجود اتصال دائم بسلسلة القيادة. يضاف إلى ذلك أن الحزب كثف من استخدامه للصواريخ غير الموجهة لمنع الحكومة الإسرائيلية من إعادة مواطنيها لديارهم في الشمال[٤].

على المستوى الاستراتيجي، وبالرغم من توصل الطرفين لاتفاق وقف إطلاق النار في ٢٧ نوفمبر؛ ما يعني ظاهريًا أن النجاحات التكتيكية والعملياتية التي حققها الجيش الإسرائيلي قد آتت أُكلها على المستوى الاستراتيجي، إلا أنه يرجَّح أن إسرائيل قبلت بذلك إدراكًا منها بأن التقدم الذي أحرزته في جنوب لبنان قليل جدًا وأن ما تم تحقيقه بالفعل جاء بتكلفة باهظة للغاية وبتحول الجبهة إلى حرب استنزاف لا تستطيع إسرائيل الفوز بها[٥]، وهو الأمر الذي ظهر جليًا في تصريح نتنياهو حول أسباب وقف إطلاق النار بأنه فرصة لإنعاش الجيش[٦].

يضاف إلى ذلك أنه ما زال من المبكر الحكم على نجاح إسرائيل من الناحية الاستراتيجية بمجرد توصلها إلى وقف إطلاق النار؛ كونه مرهونا بمدى التزام الطرفين بتلك الاتفاقية، لا سيما في ظل توعد نتيناهو باتخاذ إجراءات عسكرية ردًا على أي خرق، وهو ما قد يشعل فتيل الصراع من جديد[٧]. ففي

---

(١) عمر عاشور، ما مدى فاعلية حزب الله القتالية؟ تقييم عسكري، المركزالعربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٨ أغسطس ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4g68Fv8.

(٢) عمر عاشور، الأداء القتالي للقوات الإسرائيلية في غزة ولبنان: ملاحظات على المستوى العملياتي (٢٠٢٣-٢٠٢٤)، مرجع سبق ذكره.

(٣) أندرياس كريغ، نموذج الشبكات يظهر متانة وسط اتساع الصدام بين إسرائيل وإيران، أمواج ميديا، ١٥ يوليو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4eK9kl2.

(4) Nicholas Blanford, Israel versus Hezbollah: Not a full-scale war- yet, Atlantic Council, 22 October 2024, Accessed at: 26 November 2024, available at: https://bit.ly/3Zn9Cd0.

(5) Tom Hussain, As Israel's war with Lebanon intensifies, US-brokered ceasefire talks hang by a thread, South China Morning Post, 25 november 2024, Accessed: 27 november 2024, available at: https://bit.ly/4i6axGc.

(٦) إسرائيل تصدق على اتفاق وقف إطلاق النار مع لبنان، الجزيرة نت، ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4g8IELF.

(٧) ما الذي نعرفه عن اتفاق وقف إطلاق النار في لبنان؟ وهل سيؤثر على حرب غزة؟، سي إن إن بالعربية، ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3OtGtqi

أعقاب سريان الهدنة الحالية أصدر وزير الدفاع أوامر للجيش الإسرائيلي "للتحرك بقوة ودون تنازلات" لمواجهة أي تقدم لحزب الله في جنوب لبنان تزامنا مع إطلاق الجيش الإسرائيلي النار على عدة مركبات في كفر كلا يشتبه أن تكون تابعة لعناصر الحزب[١]، يضاف إلى ذلك أن إسرائيل ما زالت مترقبة من مدى التزام الحزب بوقف إطلاق النار وآية ذلك أن الحكومة الإسرائيلية لم تدعُ المستوطنين والسكان –حتى وقت كتابة هذه السطور– إلى العودة الشمال إلا لحين ثبوت الهدنة[٢].

ثانيًا- جبهة غزة

تزامن مع التصعيد التدريجي في شهر يوليو الماضي بين إسرائيل وحزب الله ونقل الثقل العملياتي إلى الشمال إعلان الجيش الإسرائيلي دخول الحرب في غزة المرحلة الثالثة، التي شملت على المستوى العملياتي تخفيض قوات الجيش في القطاع بسحب القوات من داخل المدن والأحياء مع إبقاء السيطرة على محور نتساريم الذي يفصل الشمال عن الجنوب فضلا عن إنهاء الجيش عملياته العسكرية الكبرى في رفح جنوبي القطاع وسحب القوات من هناك وإبقاء السيطرة على محور فيلادليفيا[٣]. ومن الناحية التكتيكية، ركزت المرحلة الثالثة على الملاحقة الأمنية لحركة حماس كمجموعة خلايا متمردة من خلال جمع أوسع وأدق للعلومات وتوجيه نيراني دقيق للغاية ومساحة أكبر لخنق القدرة على المناورة المرنة التي أظهرتها حماس عسكريًا منذ بداية الحرب[٤].

تتفق المرحلة الثالثة من الحرب في قطاع غزة مع طرح نتنياهو لرؤية استراتيجية تتمثل في إقامة حكم عسكري في قطاع غزة، والتي نُشرت في وثيقة في ٢٣ فبراير الماضي وأشارت إلى أنه "بعد القضاء على حكم حماس وقوتها العسكرية في قطاع غزة" تأتي مرحلة انتقالية غير محددة زمنيًا يخضع فيها القطاع للسيطرة الأمنية الإسرائيلية تمامًا كما في الضفة الغربية[٥].

بدأت تتشكل ملامح تلك الرؤية على أرض الواقع أولا مع تعيين مسؤول عسكري إسرائيلي عن إدارة الوضع الإنساني في قطاع غزة مطلع سبتمبر الماضي ثم جاءت حملة جباليا لتؤسس أركان ذلك الحكم العسكري[٦]؛ حيث سعت إسرائيل من خلال تكتيكات القصف العشوائي والأحزمة النارية وتدمير المباني، إضافة إلى حصار السكان وتجويعهم، إلى ضرب مركز ثقل المقاومة الفلسطينية والأكبر من حيث الكثافة؛ مما يؤدي إلى إجبار المقاومين على الاستسلام وإطلاق سراح الأسرى، أو الموت من الجوع[٧].

في المقابل، فإن حماس استطاعت إطالة أمد مقاومتها للقوة النارية المتفوقة لدى إسرائيل من خلال استغلالها لشبكة الأنفاق في قطاع غزة. وليس ذلك فحسب، بل استطاعت من خلال صمودها فرض تكاليف اقتصادية وعسكرية واجتماعية كبيرة على إسرائيل، يضاف إلى ذلك أن حماس استطاعت التكيف مع الحصار المفروض عليها من خلال اكتساب الذخيرة الإسرائيلية غير المنفجرة لتجديد ترسانتها. بالإضافة إلى قدرتها

---

(١) هدنة لبنان... وزيردفاع إسرائيل يدعو قواته لـ "التحرك بقوة ودون تنازلات" ضد عناصر حزب الله، سي إن إن بالعربية، ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4g4u5sL.

(٢) ٩ آلاف مبنى دمر.. ولا عودة قريبة لمستوطني شمال إسرائيل، العربية نت، ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3OtdUtd.

(٣) المرحلة الثالثة من الحرب الإسرائيلية على غزة... ما شكلها وما هي أهدافها؟، العربي، ٢ يوليو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3ZgBfDA.

(٤) ساري عرابي ومحمود هدهود، ما وراء جباليا: الاستراتيجية الاستطلاعية لإسرائيل من غزة إلى بيروت، مدى مصر، ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع:٢٨ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/494YEfr

(٥) وحدة الدراسات السياسية، هل تفجر الخلافات حول رؤية اليوم التالي للحرب في غزة حكومة نتنياهو؟، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٦ مايو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4i8CfC8.

(٦) ساري عرابي ومحمود هدهود، ما وراء جباليا: الاستراتيجية الاستطلاعية لإسرائيل من غزة إلى بيروت مرجع سبق ذكره.

(٧) شيماء منير، المقاومة الفلسطينية في غزة.. فعالية التكتيكات ومآلات حرب الاستنزاف، الملف المصري، العدد ١٢١، أكتوبر ٢٠٢٤، ص ٣٤.

على تجنيد مقاتلين[١]، ونرى أن قدرة حماس في حشدها للمقاتلين هي نتاج سياسة إسرائيل ذاتها في إطار ما يسمى بعقيدة الضاحية التي تمت الإشارة إليها آنفًا؛ فوفقًا لأدبيات مكافحة التمرد فإن وحشية تعامل القوات النظامية مع السكان تؤثر في ولائهم، ومن ثم تساعد تلك الوحشية في تجنيد الأفراد وجلب الموارد وإضفاء الشرعية؛ وهو ما أطلق عليه الجنرال ستانلي ماكريستال القائد السابق للقوات الأمريكية في أفغانستان اسم "حساب المتمردين"؛ فكل مدني بريء تقتله القوات النظامية يولد عشرة مقاتلين جدد ضدهم[٢].

انعكس ذلك كله بالإيجاب على أداء المقاومة، سيما في إطار انتهاجها لتكتيكات الدفاع المرن من خلال تنفيذ العديد من الغارات والهجمات المضادة وإعداد الكمائن المركبة؛ فعلى سبيل المثال استطاعت المقاومة تنفيذ كمين نوعي في يوم ١٠ أكتوبر الماضي استهدف بنجاح سَرية للجيش الإسرائيلي مكونة من ١٢ مركبة عسكرية وشاحنة محملة بالجنود، فضلا عن كمين وقع في ٢٠ من نفس الشهر وأسفر عن مقتل ٤ ضباط إسرائيليين، ومن بين المؤشرات المهمة كذلك على نجاح المقاومة في عملياتها في صد الهجوم: تراجع "أيلاند" العقل المدبر وراء خطة الجنرلات عنها وتحذيره من مخاطر مواصلة الحرب في غزة[٣].

صفوة القول في شأن ما تقدم، أنه يلاحظ على أداء الجيش الإسرائيلي في إدارته لحروبه بجبهتي غزة ولبنان أن جبهة غزة ظلت هي الأولوية بالنسبة لإسرائيل عن جبهة الشمال. فالهدف السياسي أو الاستراتيجي من حملة الشمال، وهو إعادة مستوطني الشمال، حمل دلالة على محدودية العمل العسكري؛ حيث كان الهدف منه إبعاد خطر حزب الله وتحييده فقط دون الانخراط في عملية برية موسعة على غرار تلك التي حدثت في عام ١٩٨٢ على سبيل المثال، وكل ذلك بقصد التركيز على جبهة غزة؛ وآية ذلك تصريح نتنياهو نفسه عقب الموافقة على اتفاق وقف إطلاق النار أن الهدف منه فصل الجبهات وعزل حماس مما سيزيد من الضغوط على الحركة[٤]. يضاف إلى ذلك أن جبهة غزة لم تهدأ حتى في ظل التصعيد في الشمال، بل عملت إسرائيل -كما سبق القول- على ضرب المقاومة في أحد أهم معاقلها وهو الشمال، والذي تجلى في تنفيذ خطة الجنرالات. ومن ثم يمكن القول إن تأثير التصعيد في جبهة لبنان على غزة من حيث المستوى العسكري كان محدودًا لم يعمل على تخفيف حدة العمليات في القطاع.

المحور الثاني: الداخل الإسرائيلي وانعكاسه على المسار التفاوضي

لا ينفصل الوجه القاسي للحرب عن الوجه الآخر وهو السياسة؛ أي التحرك السياسي والدبلوماسي على كافة الأصعدة: الثنائي والجماعي والأممي، من أجل وقف الحرب وإيجاد تسوية سلمية[٥]. وفي هذا الإطار يتناول هذا المحور مسار مفاوضات وقف الحرب في كل من لبنان وغزة في محاولة لرصد العلاقة بينهما ومدى تأثير كل منهما على الآخر. ومن ناحية أخرى، وانطلاقًا من أهمية العلاقة بين الداخل والخارج، فإن هذا المحور سيعالج كذلك على المستوى السياسي الخلافات بين المؤسسة العسكرية وحكومة نتنياهو حول مسألة اليوم التالي في غزة وكذا حول فتح جبهة الشمال وأثر ذلك على الجبهتين.

---

(1) Harrison Morgan, A Year Since October 7: Three Key Lessons from the War in Gaza, Modern War Institute, 7 October 2024, Accessed at: 28 November 2024, available at: https://bit.ly/4g56c4e.

(٢) عمر عاشور، كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟ التكتيكات العسكرية في العراق وسورية وليبيا ومصر، مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٣-٣٤.

(٣) شيماء منير، المقاومة الفلسطينية في غزة.. فعالية التكتيكات ومآلات حرب الاستنزاف، مرجع سبق ذكره، ص٣٧.

(٤) لماذا وافقت إسرائيل على وقف إطلاق النار في لبنان؟ نتنياهو يوضح، سي إن إن بالعربية، ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3CN6QVL

(٥) نادية مصطفى، ما بعد عام كامل من الطوفان والعدوان والمقاومة: جديد الدوائر المفرغة بين الحرب والسياسة، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٧ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢ ديسمبر٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي:https://bit.ly/3CT6SLH .

أولا- مسار مفاوضات لبنان وغزة

تتكرر المفاوضات التي تسعى للتوصل لاتفاق وقف إطلاق النار في غزة برعاية أمريكية، لكن ما يُلاحظ بشكل جلي أن تلك المفاوضات يغلب عليها مشهد عبثي لا يمت للواقع بصلة، ففي حين يدَّعي وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن أن إسرائيل توافق على المقترحات الأمريكية وأن حماس هي من ترفض الوصول لاتفاق مع الجانب الإسرائيلي يتضح العكس تمامًا[١]؛ فمنذ بداية الحرب سعت إسرائيل ومن ورائها شركاؤها الغربيون من خلال المفاوضات إلى توفير غطاء وتبرير للاستمرار في العدوان حتى تحقق أهدافها المعلنة والحقيقية منها؛ فإسرائيل لا تريد وقف الحرب حتى يتم تفريغ قطاع غزة وتمهيد الطريق لإعادة تشكيله دون وجود حماس في الصورة بشكل نهائي[٢].

تجلى ذلك في عدة مؤشرات؛ فمن ناحية إسرائيل يلاحَظ دائمًا أنها عملت على وضع عُقد في المنشار لعرقلة الاتفاقات التي توافق عليها حماس، وكان أبرزها وضع شروط تعجيزية على مبادرة بايدن التي أُطلقت في يونيو، ومن ضمن تلك الشروط عودة إسرائيل للقتال بعد الهدنة، وتقييد عودة النازحين لشمال غزة، والاستمرار في احتلال محور صلاح الدين والإفراج عن أكبر عدد ممكن من الأسرى الإسرائيليين[٣].

ولم تكتفِ إسرائيل بعرقلة المفاوضات بوضع مثل تلك الشروط، بل عملت كذلك على اغتيال المفاوضين أنفسهم في إشارة واضحة منها أنها لا تنوي المُضي قُدمًا بجدية في المفاوضات؛ فاغتالت إسماعيل هنية –رحمه الله– في قلب العاصمة الإيرانية طهران في ٣١ يوليو الماضي وكان الهدف من وراء ذلك توجيه ضربة قاصمة للمرونة التي تبديها حماس في المفاوضات بقبولها أكثر من مرة بمقترحات أمريكية وأمريكية مصرية قطرية في شهري مايو ويوليو، وبالفعل أفضى ذلك إلى تعقد مسار التفاوض بل وتوقفه[٤]. وبالرغم من أن استشهاد يحيى السنوار -خليفة إسماعيل هنية في المنصب- في ١٦ أكتوبر الماضي كان من المفترض أن يوفر "فرصة لتحقيق السلام في غزة" -على حد تعبير الرئيس الأمريكي جو بايدن- بما يتضمنه ذلك من استئناف المفاوضات إلا أن ذلك لم يتحقق؛ كون نتنياهو يريد تحقيق "نصر شامل" يتمثل في القضاء على حماس واستيطان غزة، وبالتالي لم ترَ إسرائيل في مقتل السنوار فرصة لإنهاء الحرب على غزة[٥].

على الجانب الآخر، اتسم موقف الولايات المتحدة بالدعم الكامل لإسرائيل في المسار الدبلوماسي والسياسي؛ ففي كل مرة تعمد الحكومة الإسرائيلية إلى إضافة شروط ومطالب جديدة سرعان ما تتبناها الإدارة الأمريكية وهو ما يضعها في موقف الخصم وليس الوسيط الساعي للتهدئة[٦]، فضلا عن أن الولايات المتحدة لا تضغط على إسرائيل بشكل حقيقي بل نرى أنها توافق على ممارساتها الرافضة لأي اتفاق لوقف الحرب، والعمل على توفير الأعذار والمبررات لها لاستمرار الحرب[٧].

لعل من أبرز المواقف الدالة على ذلك قيام إسرائيل بعملية عسكرية في رفح، والتي جاءت متزامنة مع إعلان حماس موافقتها على مقترح الهدنة الذي قدمته مصر وقطر بالتنسيق مع

(١) مروان المعشر، أنتوني بلينكن والمفاوضات العبثية، مركز مالكوم كير كارنيجي للشرق الأوسط، ٢ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3VjJnSB.

(٢) نادية مصطفى، ما بعد عام كامل من الطوفان والعدوان والمقاومة: جديد الدوائر المفرغة بين الحرب والسياسة، مرجع سبق ذكره.

(٣) ساري عرابي ومحمود هدهود، ما وراء جباليا: الاستراتيجية الاستطلاعية لإسرائيل من غزة إلى بيروت، مرجع سبق ذكره.

(٤) حسن صالح أيوب، مسار الحرب على قطاع غزة بعد السنوار: اندفاع إسرائيل وتصلب المقاومة، مركز الجزيرة للدراسات، ٢١ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٣ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4itpnXA.

(٥) هـ.هيلير، اغتيال السنوار لن يغير في المعادلة، مركز مالكوم كير كارنيجي للشرق الأوسط، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٣ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4fUfPCZ.

(٦) حسن صالح أيوب، سياسات التفاوض الأمريكي في غزة... كسب الوقت وهيمنة إسرائيل في الإقليم، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٥ أغسطس ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع:٣ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3CYRWMf.

(٧) نادية مصطفى، ما بعد عام كامل من الطوفان والعدوان والمقاومة: جديد الدوائر المفرغة بين الحرب والسياسة، مرجع سبق ذكره.

واشنطن، وقد جرى ذلك في ظل وجود تفاهم بين حكومة نتنياهو وبايدن على قيام إسرائيل بعملية عسكرية محدودة في رفح بهدف الضغط على حماس لتقديم مزيد من التنازلات في مفاوضات تبادل الأسرى مما أدى إلى انهيار المفاوضات[١]. وهو الأمر الذي يتفق ورؤية إسرائيل في اتخاذها من العمليات والتهديدات العسكرية وسيلة للضغط على مسار المفاوضات سعيًا لإجبار المقاومة على قبول تنازلات[٢]، ثم جاءت زيارة نتنياهو لأمريكا وخطابه في الكونجرس الأمريكي في ٢٥ يوليو الماضي ليؤكد قوة التحالف الأمريكي الإسرائيلي باعتبارهما كيانًا واحدًا لا يمكن تجزئته يواجه نفس الخطر والمصير والمنفعة المتبادلة، فضلا عن منح نتنياهو فرصة من خلال ذلك الخطاب لتبرير الممارسات الإسرائيلية بل وتعزيز السردية الإسرائيلية حيال أحداث السابع من أكتوبر[٣].

وعلى نفس المنوال انتهجت كل من إسرائيل والولايات المتحدة ذات النهج التفاوضي السابق فيما يتعلق بلبنان؛ فالبرغم من أن جبهة لبنان كانت على وشك أن تهدأ في ٢٥ سبتمبر الماضي نتيجة جهود فرنسية أمريكية مشتركة إلا أن الجبهة ما لبثت أن اشتعلت مرة أخرى بتصعيد من قِبل إسرائيل باغتيال الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله وتحول موقف البيت الأبيض على أثر ذلك التصعيد من الدعوة لوقف إطلاق النار إلى دعم كامل لعمليات إسرائيل داخل لبنان[٤]. فالبتزامن مع شن إسرائيل لحملة جوية واسعة عبر لبنان شملت عشرات الأهداف تابعة لحزب الله، جاءت زيارة هوكشتاين للبنان في ٢١ أكتوبر الماضي ليعرض فيها شروط إسرائيل للتوصل إلى حل دبلوماسي لإنهاء الحرب في لبنان والمتمثلة في السماح للقوات الإسرائيلية بالمشاركة النشطة للتأكد من عدم إعادة تسليح حزب الله أو إعادة بناء قدراته العسكرية بالقرب من الحدود فضلا عن حرية عمل قواتها الجوية في المجال الجوي اللبناني؛ وهو ما يعد محاولة للضغط على حكومة لبنان للرضوخ للشروط الإسرائيلية[٥].

وبالرغم من توصل كل من إسرائيل وحزب الله لاتفاق لوقف إطلاق النار في ٢٧ نوفمبر الماضي إلا أنه يُلاحظ أن الاتفاق حمل في مضمونه تحيزًا واضحًا من الجانب الأمريكي لصالح إسرائيل؛ فخلافًا لما قيل من أن الاتفاق الجديد جاء ليطبق القرار ١٧٠١ بحذافيره؛ بما يعني عدم تواجد أي قوات أجنبية، إلا أننا نجد أن الاتفاق الجديد تم تعديله بما يتوافق مع ما طرحته إسرائيل سابقًا؛ فالانسحاب التدريجي للقوات الإسرائيلية من الشريط الحدودي خلال مدة ستين يومًا يعني أن إسرائيل حصلت على بند "حرية الحركة"[٦]، فضلا عن وجود تفاهم بين الولايات المتحدة وإسرائيل حول السماح لإسرائيل بالاستمرار للتصدي لأي تهديد يصدر من لبنان وتعهد أمريكي بالتعاون الاستخباراتي مع إسرائيل لحمايتها من أي تهديد مستقبلي من الجانب اللبناني[٧].

---

(١) وحدة الدراسات السياسية، خلفيات الهجوم الإسرائيلي على رفح وحدوده، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٤ مايو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٤ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3ZCbs9Z.

(٢) نادية مصطفى، ما بعد عام كامل من الطوفان والعدوان والمقاومة: جديد الدوائر المفرغة بين الحرب والسياسة، مرجع سبق ذكره.

(٣) آية محمود عنان، خطاب نتنياهو في الكونجرس الأمريكي يوليو ٢٠٢٤: أبعاد ودلالات، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ١٠ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٤ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4igTuBf.

(4) Daniel E.Mouton, How American diplomacy can stabilize Lebanon-and the Middle East, Atlantic Council, 3 October 2024, Accessed at: 4 December 2024, available at: https://bit.ly/3ZjqC2Q.

(٥) وحدة الدراسات السياسية، التحرك الأمريكي نحو لبنان: التفاوض تحت النار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٥ ديسمبر ٢٠٢٤ ، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/49rv0kL.

(٦) رابحة سيف علام، هدنة لبنان: نهاية للحرب أم التقاط أنفاس قبل جولة قتال أخرى؟، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4g0aVEC.

(٧) وقف النار في لبنان: الردع الهش والمخاطر المحتملة، مركز الجزيرة للدراسات، ٣ ديسمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر

وفرت تلك الضمانات الأمريكية فرصة لإسرائيل لخرق الاتفاق في الساعات الأولى من تنفيذه؛ حيث استهدف الجيش الإسرائيلي المدنيين وشن غارات جوية على مناطق لبنانية بما في ذلك الواقعة شمال نهر الليطاني، فضلا عن قيامه بمنع سكان أكثر من ٦٠ بلدة من العودة لمنازلهم، وعلى أثر ذلك رد حزب الله باستهداف موقع رويسات العلم التابع للجيش الإسرائيلي في تلال كفرشوبا المحتلة[١].

على الجانب الآخر، كان لنجاح المسار التفاوضي في لبنان – بغض النظر عن الخروقات التي حدثت فيما بعد- والذي تكلل بالتوصل لوقف إطلاق النار بين حزب الله وإسرائيل أثر إيجابي تمثل في تحريك المياه الراكدة فيما يتعلق بمفاوضات غزة والتي شهدت جمودًا وتعثرات عدة، فعقب الإعلان عن اتفاق وقف إطلاق النار أبدت حركة حماس للوسطاء رغبتها في إبرام اتفاق مع إسرائيل بشأن هدنة في غزة[٢]، أعقب ذلك تحرك دبلوماسي كثيف من مصر وبدعم من الولايات المتحدة وقطر لصياغة اقتراح وقف إطلاق النار. ويُلاحظ أن هذا الاقتراح شبيه بذلك الذي تم إبرامه في لبنان؛ حيث ينسحب الجيش الإسرائيلي جزئيًا خلال ٦٠ يوما من القطاع يتم خلالها التفاوض على إنهاء الحرب بين الطرفين[٣].

ثانيًا: الخلاف بين المؤسسة الأمنية الإسرائيلية ونتنياهو

تستدعي قراءة المشهد الإسرائيلي من الداخل وفهمه بشكل صحيح الانطلاق من المقاربة القائلة بأن الدولة مفهوم ديناميكي وغير متجانس، ومن ثم فإن ما تصدره الدولة من قرارت إنما هو محصلة صراعات اللاعبين السياسيين ضمن إطار الدولة نفسها[٤]؛ وفي هذا الصدد سيتم تناول "مسألة اليوم التالي" لغزة و"ملف الأسرى الإسرائيليين" باعتبارهما أهم نقاط الصراع بين المؤسسة الأمنية الإسرائيلية -لا سيما الجيش- وحكومة نتنياهو، في محاولة لفهم أثر ذلك على مسارات التفاوض ذاتها في كل من لبنان وغزة، ومن ثم تشكيل رؤية كلية فيما يتعلق بالمستوى السياسي.

مثلت عملية السابع من أكتوبر صدمة كبرى لإسرائيل، تلك الصدمة تطلبت حلا تكتيكيًا عاجلا وردًا سريعًا على هجمات المقاومة حتى قبل وضع تصورات واضحة حول مستقبل قطاع غزة، تجسدت معضلة وضع تلك التصورات في مقولة "اليوم التالي" التي أطلقتها الولايات المتحدة في بداية الحرب حول ما ينبغي فعله اتجاه القطاع[٥]. وبالرغم من أن حكومة نتنياهو وضعت أهدافًا للحرب تمثلت في: **أولا-** تحرير الرهائن المحتجزين في غزة، **ثانيًا-** القضاء على حركة حماس، **ثالثًا-** ضمان أن غزة لن تشكل تهديدًا مستقبليًا على أمن إسرائيل، إلا أن تحقق تلك الأهداف يعني حدوث تغيرات جذرية وكلية في منظومة الحكم في قطاع غزة، الأمر يستدعي ضرورة وضع رؤية واضحة لتساؤل "ماذا بعد؟"[٦].

وفي هذا الصدد نجد أن نتنياهو رفض تقديم رؤية كلية عن كيفية انتهاء الحرب أو تحديد الفترة التي ستستغرقها لإطالتها، أملا في تحسين شعبيته والحفاظ على ائتلافه الحكومي[٧]. تجلى ذلك الرفض في عدة مظاهر، منها رفض نتيناهو لمبادئ طوكيو الخمسة المقدمة من الولايات المتحدة، ولجوئه لاستراتيجية منع

الرابط التالي: https://bit.ly/3ODnz0r.

(١) نجية دهشة، خروقات إسرائيل تضع وقف إطلاق النار في لبنان على المحك، الجزيرة نت، ٤ ديسمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4fYB9aI.

(٢) حماس: مستعدون لاتفاق جاد يوقف النار في غزة، العربية.نت، ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://shorturl.at/vaDlt.

(٣) صحيفة إسرائيلية تكشف تفاصيل الاقتراح الجديد لوقف إطلاق النار بغزة، الجزيرة نت، ٥ ديسمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٥ ديسمبر ٢٠٢٤، متوفر من خلال الرابط التالي: https://bit.ly/3ZJj5eW.

(٤) ساري عرابي ومحمود هدهود، ما وراء جباليا: الاستراتيجية الاستطلاعية لإسرائيل من غزة إلى بيروت، مرجع سبق ذكره.

(٥) المرجع السابق.

(٦) عمر شعبان، الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة: سيناريوهات ما بعد الحرب، مبادرة الإصلاح العربي، ٣٠ أبريل ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٦ ديسمبر ٢٠٢٤، متوفر من خلال الرابط التالي: https://bit.ly/3BqdmkM.

(٧) وحدة الدراسات السياسية، هل تفجر الخلافات حول رؤية اليوم التالي للحرب في غزة حكومة نتنياهو؟، مرجع سبق ذكره.

عقد اجتماعات بين قاد الجيش والمخابرات ووزير الدفاع يوآف غالانت لمناقشة العمليات العسكرية وجهود إنقاذ الرهائن، فضلا عن امتناعه عن مناقشة الطلبات المقدمة من رؤساء الأجهزة الأمنية حول ترتيبات ما بعد الحرب[١].

على أثر ذلك تفجر خلاف حاد بين نتنياهو وأنصاره من اليمين المتطرف من جهة والمؤسسة العسكرية والأمنية من جهة أخرى بشأن ضرورة توفير بديل حقيقي عن حكم حماس في القطاع، كون عدم توافر ذلك يفتح مجالا واسعًا لعودة سيطرة حماس في كل مرة ينسحب فيها الجيش الإسرائيلي[٢]؛ الأمر الذي دعا يوآف غالانت وزير الدفاع الإسرائيلي وقتها بطرح مبادرته الخاصة في ٤ يناير الماضي للإجابة عن مُعضلة "اليوم التالي"، والتي رسمت الخطوط العريضة لكيفية حكم غزة وركزت بشكل أساسي على تولي هيئات مدنية فلسطينية غير معادية لإسرائيل إدارة القطاع مع احتفاظ السلطات الإسرائيلية بالحق في السيطرة على حدود قطاع غزة والقيام بعمليات عسكرية متى اقتضت الحاجة؛ وتتماشى تلك الرؤية مع الرؤية الأمريكية. وتجدر الإشارة إلى أن تلك الخطة تضمنت استبعاد مسألة توطين الإسرائيليين في القطاع، وهو ما أغضب المسؤولين الإسرائيليين ومن ضمنهم وزير المالية سموتريش وكذا وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير اللذين كررا الدعوة لضرورة عودة المستوطنين الإسرائيليين لغزة بعد الحرب وتهجير مواطني غزة خارج القطاع[٣].

في المقابل، تبنى نتنياهو -نتيجة الضغوط المستمرة من الإدارة الأمريكية والمؤسسة الأمنية- اقتراح العميد رومان غوفمان بإقامة حكم عسكري إسرائيلي مؤقت في قطاع غزة، وهو الأمر الذي رفضه غالانت بشدة في بيان له صدر في ١٥ مايو ٢٠٢٤؛ حيث طالب نتنياهو باستبعاد خيار تولي إسرائيل الحكم العسكري في غزة كونه يستنزف قدرات إسرائيل العسكرية والأمنية، فضلا عن الكُلفة الاقتصادية الهائلة التي سيتطلبها مثل ذلك السيناريو[٤]. ولم يكن غالانت الوحيد في المؤسسة العسكرية الذي انتقد نتيناهو علنًا، فقد انتقد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي هرتزل هاليفي غياب استراتيجية "اليوم التالي" في رؤية نتيناهو، ما يجعل من الجهود الحربية التي تقوم بها إسرائيل في مهب الريح. ويعكس كل ما سبق حالة الإحباط السائدة في المؤسسات الأمنية حيال سياسات نتيناهو المترددة - كما وصفت-[٥] لا سيما في ملف الأسرى الإسرائيليين في قطاع غزة؛ حيث كشف تحقيق استقصائي لصحيفة يديعوت أحرنوت أن نتنياهو له سلطة شبه مطلقة على المفاوضات ويديرها بشكل منفرد دون إشرك مؤسسات أمنية حيوية مثل الجيش الإسرائيلي؛ وهو ما كان يرفضه غالانت[٦].

لم تبقَ تلك الخلافات محصورة في تراشق الاتهامات والبيانات بل امتد أثرها على أرض الواقع؛ ففي كل مرة تصل العمليات العسكرية في غزة إلى نهايتها وعدم وجود ما يمكن أن يقدمه الجيش الإسرائيلي والشروع في بدء عملية تفاوضية للوصول لاتفاق هدنة وصفقة تبادل مع حماس، نرى أن نتيناهو اتبع استراتيجية الهروب للأمام من خلال وضع شروط - كما سبق القول- يصعب تحقيقها في ظل ما حققته حماس، أو انتهاج سياسات تصعيدية تمثلت في فتح جبهة الشمال تزامنا مع سعي الجيش الإسرائيلي في منتصف يونيو الماضي للتفاوض مع حركة حماس، وهو ما ظهر ذلك بشكل واضح في إعلان المتحدث

---

(١) غاي زيف، حرب نتنياهو مع الجنرالات، معهد الشرق الأوسط، ٣١ مايو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٦ ديسمبر ٢٠٢٤، متوفر من خلال الرابط التالي:https://bit.ly/3BgdQKo .

(٢) وحدة الدراسات السياسية، هل تفجر الخلافات حول رؤية اليوم التالي للحرب في غزة حكومة نتنياهو؟، مرجع سبق ذكره.

(٣) أسماء رفاعي الشحري، سيناريوهات اليوم التالي للحرب في غزة، رئاسة الوزراء-مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، ١٣ مارس ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٦ ديسمبر ٢٠٢٤، متوفر من خلال الرابط التالي: https://bit.ly/3Be8LCn.

(٤) وحدة الدراسات السياسية، هل تفجر الخلافات حول رؤية اليوم التالي للحرب في غزة حكومة نتنياهو؟، مرجع سبق ذكره.

(٥) غاي زيف، حرب نتنياهو مع الجنرالات، معهد الشرق الأوسط، مرجع سبق ذكره.

(٦) تحقيق استقصائي يكشف هيمنة نتيناهو على ملف الأسرى الإسرائيليين في غزة، الجزيرة نت، ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٦ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي:https://bit.ly/41q9qeI .

العسكري باسم الجيش الإسرائيلي دانيال هاجاري أنه من غير الممكن القضاء على حماس كفكرة في إشارة إلى أن الجيش فعل كل ما يمكن القيام به للقضاء على حماس وأن الأمور باتت في انتظار خطوة سياسية[١]، وتريث غالانت لإعطاء فرصة إضافية للوساطة قبل شن هجوم قد يتحول لحرب شاملة[٢].

وقد وصل الصراع بين المؤسسة العسكرية ونتنياهو ذروته عندما تمت إقالة غالانت في ٥ نوفمبر الماضي وتعيين وزير الخارجية يسرائيل كاتس محله، فنتيناهو لم يتخلص من عدو لدود فحسب بل حل محله شخص منسجم كليًا مع رؤيته ومواقفه، سواء كان ذلك في صراع نتيناهو مع المؤسسة العسكرية والأمنية أو في مجمل سياساته بما في ذلك الحرب في غزة وأزمة المحتجزين الإسرائيليين[٣].

إجمالا، ومن خلال استقراء واقع المشهد الإسرائيلي الداخلي فيما يخص ملف الأسرى و"اليوم التالي" لغزة، وعلاقة ذلك بما يخص الصراع بين المؤسسات الأمنية وعلى رأسها الجيش في مقابل نتيناهو وائتلافه المتطرف؛ فإنه يلاحظ أن هناك اتجاهين فيما يخص الحرب: **أولا**- اتجاه المؤسسة الأمنية في ظل وجود يوآف غالانت، والذي يتمثل في ضرورة التفاوض مع حماس وسرعة إبرام صفقة فيما يخص الأسرى حتى لا يذهب المجهود الحربي سُدى، **ثانيًا**- اتجاه نتيناهو ومن ورائه ائتلافه المتطرف الذي يمثل النهج التصعيدي لإطالة أمد الحرب في غزة تجنبًا للمساءلة السياسية فيما يتعلق بأحداث السابع من أكتوبر وهو ما يمثل نهاية تراجيدية لمستقبله السياسي وانتهائه بشكل كامل.

انعكس كل ما سبق بدوره على مسار المفاوضات فيما يتعلق بغزة؛ حيث اتضح أن الغلبة كانت لنتنياهو بحكم خضوع المؤسسات الأمنية لرئيس الوزراء، ومن ثم اتسمت المفاوضات بالتعثر المتكرر وعدم الرغبة الجدية في الوصول لمفاوضات حقيقة مع حماس، بل وفي سبيل التأكد من عدم إحراز تقدم بخصوص مفاوضات غزة اتبع نتيناهو استراتيجية التصعيد من خلال فتح جبهة لبنان وتوسيع الحملة هناك على عكس ما كان يريده غالانت.

خاتمة وسيناريوهات:

من خلال العرض السابق نستطيع القول إن العلاقة بين جبهة لبنان وجبهة غزة علاقة طردية؛ ففي حين كان يتوقع البعض أن تهدأ جبهة غزة وتتحول إلى جبهة ثانوية حال دخول إسرائيل في مواجهة مفتوحة مع حزب الله، لم يحدث ذلك بل تم التصعيد كذلك في جبهة غزة لا سيما بتطبيق خطة الجنرالات في شمال القطاع الحاضنة للمقاومة. وعلى الجانب الآخر نرى أن الوصول لاتفاق وقف إطلاق النار في لبنان أعقبه تحرك دبلوماسي نحو صياغة اتفاق مماثل في غزة بين حماس وإسرائيل.

وفي هذا الإطار نتوقع سيناريوهين بهذا الصدد:

أولا- تعطيل إسرائيل للمفاوضات واستمرار العمليات العسكرية:

وهو ما تُخبرنا به خبرة نتيناهو في تعامله مع المفاوضات، كون همه الأول والأخير ضمان بقائه في السلطة، وفي ظل وجود وزير دفاع موالٍ لسياساته، وانتظار نيتناهو وصول ترامب في بداية العام القادم إلى السلطة، سيما مع إسناد الأخير السياسة الخارجية إلى شخصيات موالية لحرب إسرائيل وسياستها التوسيعة فضلا عن انتهاجها سياسات الصدام في العلاقات

---

(١) ساري عرابي ومحمود هدهود، ما وراء جباليا: الاستراتيجية الاستطلاعية لإسرائيل من غزة إلى بيروت مرجع سبق ذكره.

(٢) وسط خلافات مع الجيش.. نتنياهو يتجه للتصعيد في الشمال، دي بليو، ١٦ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٦ ديسمبر ٢٠٢٤، متوفر من خلال الرابط التالي:https://bit.ly/4gpn59T .

(٣) وحدة الدراسات السياسية، إقالة غالانت وتوسيع ائتلاف حكومة نتنياهو: التدعايات والتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٢ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٧ ديسمبر ٢٠٢٤، متوفر من خلال الرابط التالي:https://bit.ly/3ZSQiox .

الخارجية[١]، وهو ما يتفق مع نهج نتيناهو ذاته.

والشواهد حتى قبل تولي ترامب على السياسات التصعيدية كثيرة؛ منها استمرار الخروقات الإسرائيلية لاتفاق وقف إطلاق النار مع لبنان، وكذا إلغاء اتفاق فض الاشتباك مع سوريا والتوغل في الجولان السوري؛ وهو ما نرى معه انعكاس ذلك بالسلب على مسار مفاوضات غزة الحالية.

ثانيًا- قبول الجلوس على طاولة المفاوضات:

فعقب التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار أبدا الشارع الإسرائيلي إحباطه من الوصول لاتفاق مع حزب الله بدلا من التوصل لصفقة إطلاق سراح الرهائن مع حماس كأولوية، وهو ما مثَّل ضغطًا متزايدًا على نتيناهو أدى إلى إبداء استعداده الوصول إلى صفقة تحرير رهائن مع حماس. تزامن ذلك مع ضغط من الولايات المتحدة سعيا من الإدارة الحالية لجو بايدن إلى تحقيق مكاسب دبلوماسية قبيل خروجه من الرئاسة، ومن ناحية أخرى توعد ترامب بتحويل الشرق الأوسط إلى جحيم إذا لم تتم صفقة.

(١) الحواس تقية، مفترق حرج: استراتيجية ترامب الشرق أوسطية، مركز الجزيرة للدراسات، ٨ ديسمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://shorturl.at/Py6vd

إيران داخل الحرب ضد إسرائيل وتوجه عدم التصعيد

محمود مجدي فاضل*

مقدمة:

تُعد القضية الفلسطينية قضية مركزية في السياسة الخارجية الإيرانية في إطار مبدأ حماية المستضعفين في الأرض، وللقضاء على النفوذ الأمريكي والإسرائيلي في الشرق الأوسط، ولا ينفصل ذلك عن دعم أهداف مشروع طهران الإقليمي -كما سيأتي التناول. وقد أعلنت إيران دعمها ومساندتها للمقاومة الفلسطينية ولعملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، ولحق الشعب الفلسطيني في تحرير كامل أراضيه. ولدعم غزة في ظل الإبادة الجماعية التي يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي بحق المدنيين، اعتمدت إيران استراتيجية الدفاع الأمامي التي تبنتها بعد الحرب العراقية الإيرانية عبر الجماعات الحليفة لها في لبنان واليمن والعراق وسوريا، فشكلوا **"محور المقاومة"** لإسناد غزة. وقد نجحوا في تكبيد الاحتلال الإسرائيلي خسائر كبيرة. ولكن في الوقت ذاته، اعتمدت إيران توجه عدم التصعيد تجنبًا لحرب شاملة تستهدفها بشكلٍ مباشر وتجعل المواجهة على أرضها. **فيما يلي نناقش:** أبعاد الرؤية الإيرانية لطوفان الأقصى ضمن الثورة الإيرانية. مبدأ عدم التصعيد الإيراني بين الفكر والواقع. إيران وجهات إسناد غزة: بين الدعم السياسي والعسكري. تكلفة إيران من الحرب الإسرائيلية على غزة. الهجمات الإيرانية على دولة الاحتلال في ميزان نظرية الردع وعدم التصعيد. نتائج المواجه: خسائر دولة الاحتلال بين الخسائر المادية والمعنوية.

أولًا- أبعاد الرؤية الإيرانية لطوفان الأقصى ضمن الثورة الإيرانية:

رسخت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ المبادئ والأسس التي تحكم عمل النظام السياسي في إيران وسياساته الخارجية. ويتجلى البعد الديني بشكل واضح في السياسة الخارجية لإيران كما نص الدستور الإيراني، وذلك في إطار **مساندة المستضعفين ودعم حركات المقاومة** ماليًا وعسكريًا في العالم الإسلامي، وعلى رأسها فصائل المقاومة الفلسطينية في مقاومتها لدولة الاحتلال الإسرائيلي. ويمثل ذلك جزءًا مهمًا من المشروع الإيراني الذي يأتي في مقدمة أولوياته **الاستقلالية الذاتية وعدم الخضوع لأية قوة دولية (مبدأ لا شرقية ولا غربية) ومواجهة النفوذ الغربي الأمريكي والإسرائيلي في الشرق الأوسط**، ما تعتبره إيران حربًا ضد قوى الاستكبار العالمي(١).

في سياقٍ متصل، تأتي مساندة فصائل المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حماس تحت مظلة مبدأ آخر ينظم السياسة الخارجية الإيرانية، ألا وهو **تصدير النموذج الثوري الإيراني خارج حدود إيران**، إذ أكد الخميني على أن شرعية الثورة الإيرانية وصلاحيات الولي الفقيه مستقاة من عدم الانحصار داخل الحدود الجغرافية الإيرانية بل تصدير ونشر مبادئ الثورة والدعوة لوحدة المسلمين وتجاوز الحدود الفاصلة والخلاف السني الشيعي، ومساعدة الدول الإسلامية على التحرر من وطأة الاستعمار، وعدم الاعتماد على الغرب. وبالتالي، فإن الخطاب الإيراني غير موجه فقط لأتباع المذهب الشيعي والجماعات الموالية لإيران في الدول المحيطة بها، بل أيضًا يحرص على إنشاء روابط مع حركات تنتمي للمذهب السني كدعم حركة حماس ماليًا وعسكريًا وإعلاميًا(٢)، **وهو ما يؤكد على محورية ومركزية القضية الفلسطينية كركيزة أساسية في السياسة الخارجية الإيرانية.**

---

* باحث في العلوم السياسية.

(١) عبد العال الديربي، محمد عبد المحسن حسين، أحمد جلال محمود، المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الإيرانية في عصر ما بعد الثورة الإيرانية، مجلة الدراسات السياسية والاقتصادية - كلية السياسة والاقتصاد جامعة السويس، العدد الثاني، أكتوبر ٢٠٢٤، ص ص ١٩٧-١٩٨.

(٢) سماح عبد الصبور عبد الحي، القوة الذكية في السياسة الخارجية: دراسة في أدوات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه لبنان منذ ٢٠٠٥، رسالة ماجستير،

المبادئ السابق ذكرها تصب في نظرية أعم وأشمل صاغها "محمد لاريجاني" تسمي "نظرية أم القرى"[١]، ويُقصد بها أن تصبح إيران مركز الإسلام في العالم وأن يصبح للولي الفقيه اليد العليا في إدارة شئون الأمة الإسلامية من خلال ولايته وسلطاته وصلاحياته الواسعة، ويعني ذلك اتحاد الدول الإسلامية ووجود حكومة واحدة تمثل الأمة الإسلامية جمعاء. وتنص النظرية على وجود ثلاث مراحل لحدوث ذلك: المرحلة الأولى وهي نشر التشيع، والثانية مساعدة الشعوب الإسلامية على إنشاء حكومات إسلامية شيعية، والمرحلة الأخيرة هي تكوين حكومة واحدة تقود الأمة الإسلامية مركزها إيران[٢].

يتضح في ضوء ما سابق حضور **مرتكز المصلحة** إلى جانب الدور المحوري للدين في السياسة الخارجية الإيرانية. وقد أثار ذلك جدلًا واسعًا حول ما إذا كانت السياسة الخارجية الإيرانية براجماتية تهدف لتحقيق مصالح قومية بالأساس، أم أيديولوجية تدافع عن مصالح الأمة الإسلامية. من الواضح أن المبادئ الثورية التي تحكم السياسة الخارجية الإيرانية يتم توظيفها لتحقيق المصالح الإيرانية، وكسب الدور القيادي الذي تطمح إليه. **لذا، يمكن القول إن خطاب السياسة الخارجية لإيران خطاب أيديولوجي عقدي في توجهاته ومصلحي براجماتي في تحركاته**[٣]. اختصارًا، يمكن إجمال المشروع الإيراني الإقليمي في نقل -بل وفرض- نموذج الثورة ومذهبها على دول الجوار وذلك في إطار نظرية أم القرى، وهو ما دفعها للتدخل في الشئون الداخلية لتلك الدول من خلال التحالف مع أطراف داخلية الأمر الذي جعلها في وضع التصادم مع قوى إقليمية ودولية[٤].

وبالتطبيق على عملية طوفان الأقصى، ظهرت المبادئ السابقة جليةً في خطابات القادة الإيرانيين. وأيدت إيران عملية طوفان الأقصى، وأكدت على أن ما قامت به المقاومة في مستوطنات غلاف غزة أفشل المخطط الأمريكي والصهيوني في الشرق الأوسط. إذ ذكر **المرشد الأعلى الإيراني** أن **"عملية طوفان الأقصى حصلت بلحظةٍ كان العدو يسعى فيها لتطبيق مخطط السيطرة على المنطقة" وأنها "أفشلت محاولات التطبيع"**[٥]. وفي مناسبةٍ أخرى، أكد أن **"على الجميع أن يساعد المقاومة... مساعدة المقاومة واجب، ومساعدة الكيان الصهيوني جريمة وخيانة"**[٦]. وفي تصريحٍ بارز للمرشد الأعلى في يوم التعبئة ٢٠٢٣ أوضح **"صحيح أن حادثة طوفان الأقصى ضد الكيان الصهيوني لكنها اجتثاث لأمريكا، فقد استطاعت أن تبعثر مشروع أمريكا في المنطقة"**[٧] وشدد على **"لم تكن إسرائيل لتقدر على ارتكاب المجازر دون أمريكا"**[٨]، ويؤكد ذلك على أن دعم المقاومة الفلسطينية يأتي في إطار مشروع وهدف إيراني أعم وأشمل وهو القضاء على النفوذ الأمريكي والوجود الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط وترسيخ

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، ٢٠١٣، ص ص ١٠٤-١٠٦.

(١) عباس شريفة، المشروع الإيراني في المنطقة العربية كما تؤسسه نظرية أم القرى، مجلة رواء، العدد الخامس والعشرون مارس ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢١ /٢٠٢٤/١١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/vqbAd2tm

(٢) عبد العال الديربي وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٠١.

(٣) سماح عبد الصبور، مرجع سابق، ص ص ٩٤-٩٦.

(٤) شيماء بهاء الدين، المشروع الإقليمي الإيراني في ضوء الطوفان والحرب على غزة.. هل من مسار لتوازن القوى بين العرب وإيران؟، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ص ١٠، ٢٠ مايو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٤/١٢/١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/fFFgasoR

(٥) خامنئي: عملية طوفان الأقصى أفشلت محاولات التطبيع، sky news عربية، ٣ يونيو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٤/١١/٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Jr0anUpO

(٦) النص الكامل لكلمة الإمام الخامنئي في لقاء مع جمع من أهالي محافظتي خوزستان وكرمان، الموقع الرسمي لآية الله علي خامنئي بالعربية، ٢٠٢٣/١٢/٢٥، متاح عبر الرابط التالي: https://arabic.khamenei.ir/news/7881

(٧) محمد حمدان، "اجتثاث أمريكا": تفكيك النفوذ الأمريكي في غرب آسيا، الموقع الرسمي لآية الله علي خامنئي بالعربية، ٢٠٢٣/١٢/٣١، متاح عبر الرابط التالي: https://arabic.khamenei.ir/news/7900

(٨) النص الكامل لكلمة الإمام الخامنئي في لقاء التعبويين بمناسبة "أسبوع التعبئة"، الموقع الرسمي لآية الله علي خامنئي بالعربية، ٢٠٢٣/١١/٢٩، متاح عبر الرابط التالي: https://arabic.khamenei.ir/news/7817

النفوذ الإيراني.

في سياقٍ متصل، جاءت تصريحات **الرئيس الإيراني الأسبق إبراهيم رئيسي** في أعقاب عملية طوفان الأقصى لتؤكد على المبادئ الثورية للسياسة الخارجية الإيرانية ودعم المقاومة الفلسطينية وطوفان الأقصى. إذ أكد على أن **"دعم إيران للشعب الفلسطيني يأتي ضمن إطار الدستور وما ينص عليه بشأن دعم المظلومين وكجزء من مبادئ السياسة الخارجية الإيرانية"**[١]. وأوضح أن **"عملية طوفان الأقصى كسرت هيمنة الكيان الصهيوني" و"كانت نتيجة لاستمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، والاعتداءات المتكررة على الفلسطينيين"** مؤكدًا أنهم **"مستمرون في دعم فلسطين"**[٢]. ويؤكد ذلك على مركزية القضية الفلسطينية في السياسة الخارجية الإيرانية وعلى الدعم الإيراني للمقاومة الفلسطينية ولحق الشعب الفلسطيني في التخلص من الاحتلال واستعادة كامل أراضيه.

يمكن القول إن **دعم إيران للقضية الفلسطينية، منذ الثورة الإيرانية وحتى الآن في ظل عملية طوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، يؤكد على الترابط بين الأيديولوجي العقدي والبراجماتي المصلحي في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية.** إذ تهدف إيران خاصةً في ظل تواطؤ وخذلان الحكومات العربية إلى كسب دعم وتعاطف الرأي العام العربي والإسلامي، وهو ما يساعد إيران على مشروعها الإقليمي. أما الجانب العقدي المذهبي، يتمثل في أن تحرير فلسطين يمثل تمهيدًا لاستقبال الإمام الغائب ويهيئ الظروف لظهوره[٣].

ثانيًا- مبدأ عدم التصعيد الإيراني بين الفكر والواقع:

لقد انعكست المبادئ الثورية على العقيدة العسكرية الإيرانية؛ إذ تتبنى إيران "عقيدة الدفاع الأمامي" ونهج نقل المواجهة مع العدو إلى المحيط أو الفضاء الإقليمي ومواجهة أي تهديدات خارجية قبل دخولها حدود الدولة. تجمع استراتيجية الدفاع الأمامي بين **الردع التقليدي وسياسة إنكار التدخلات**، وتمثلت في انتهاج أساليب **إرباك**، تعزز من قدرتها على بسط نفوذها عن طريق الجماعات المسلحة غير النظامية وجماعات المجتمع المدني ووسائل الإعلام والطائرات المسيرة والقوات الصاروخية. يُطلق على عقيدة الدفاع الأمامي **"العقيدة الهجينة"**؛ إذ تجمع بين مختلف أدوات القوة والإكراه بأسلوب يتفاعل فيه النظامي مع غير النظامي مع الحرص على جعل أراضي الدولة بعيدة عن مناطق الصراع المباشر. وهو ما يدفع إيران لجعل فضائها الإقليمي مجال لإدارة وتنفيذ عمليات عسكرية، وتعزيز نفوذها دون تعريض أرضها وشعبها لحرب مباشرة أي أنها تعتبر فضاءها الإقليمي كحائط صد[٤].

تعتمد إيران في إطار استراتيجية الدفاع الأمامي على عقيدة "الدفاع الفسيفسائي" ونهج الحرب غير المتكافئة[٥]، ويُقصد بها أسلوب الكر والفر والعمل على استنزاف قوة العدو ويتم ذلك من خلال عدد كبير من الجماعات المسلحة غير النظامية الموالية لإيران. لذا، **فإن أهم عنصرين في عقيدة إيران العسكرية هما: المجموعات الشيعية في الدول المجاورة** والتي تعمل إيران على كسب ولاءهم وجعلهم وكلاء لها في المنطقة (كما في لبنان والعراق واليمن وسوريا) وتسليحهم لتحقيق أهدافها الاستراتيجية، **ووجود منظومة صواريخ متطورة تحقق الردع** ومن أهم الصواريخ التي تملكها إيران

(١) رئيسي: مستمرون في دعم فلسطين.. وتطورات الأوضاع لن تؤثر في سياستنا الخارجية، رأي اليوم، ٢٠٢٣/١٢/٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/BFXjgmKl

(٢) رئيس الجمهورية: عملية "طوفان الأقصى" حطمت هيمنة الكيان الصهيوني، وكالة الجمهورية الإسلامية للأنباء (ارنا)، ٢٠٢٣/١١/٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/VWbp7iTH

(٣) سماح عبد الصبور، مرجع سابق، ص ١٤٨.

(٤) نويد أحمد، عقيدة الدفاع الأمامي الإيرانية: برامج الصواريخ والفضاء، رصانة - المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، ١١ أكتوبر ٢٠٢٠، ص ص ٥-٦، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qXldcDrb

(٥) المرجع السابق، ص ص ٧-٨.

الصواريخ الباليستية وصواريخ كروز وكلاهما قادر على حمل رؤوس حربية نووية[١].

في إطار توازن القوى على المستوى الإقليمي والدولي حرصت إيران على تبني تلك الاستراتيجية وتحقيق الردع. **إقليميًا:** حيث تُحاط بأنظمة مختلفة عنها وعليها وشبه معادية لها، الموقع الجغرافي الاستراتيجي لإيران ووجودها في الشرق الأوسط حيث نفوذ ومصالح القوى العظمي ومنها أمريكا. **عالميًا:** حيث الثورة الإيرانية والتغير الأيديولوجي الذي جعلها بموقف عداء مع الغرب، موازين القوى التي تميل لصالح أعدائها، والعقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران والقيود على شراء الأسلحة[٢].

بالتطبيق على أحداث طوفان الأقصى، برز اعتماد إيران على استراتيجية الدفاع الأمامي ونقل المواجهة خارج حدودها والحرص على **عدم تصعيد** الصراع مع إسرائيل؛ منعًا لوقوع حرب شاملة وللحفاظ على "قبضة النظام" ومشروع الجمهورية الإسلامية الذي يتضمن الحرص على اكتمال المشروع النووي الذي سيمنحها الردع النووي، فضلا عن أولوية طهران في حماية قدراتها العسكرية والصناعية التي ستساعدها على تنفيذ مشروعها الثوري بل وتعظيم تلك القدرات من خلال الدخول في تحالفات واتفاقيات أمنية وعسكرية وصناعية مع روسيا والصين كمنظمة "شنغهاي للتعاون" ومجموعة "البريكس"[٣].

إضافة إلى ذلك، سبق طوفان الأقصى تفاهمات ومشاورات بين الجانبين الإيراني والأمريكي حيث اتفاقية تحرير الأسرى الأمريكيين الخمسة لدى طهران مقابل تحرير ستة مليارات دولار إيرانية بالولايات المتحدة، كما شهدت صادرات النفط الإيرانية زيادة كبيرة في ٢٠٢٣. لذا تحرص إيران في ظل سعيها للتخلص من القيود الاقتصادية المفروضة عليها على الحفاظ على الاتصالات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة ومكتسباتها جراء تلك التفاهمات، في الوقت ذاته تحرص إيران على دعم المقاومة الفلسطينية في إطار مشروعها الثوري، ونتيجة لذلك وللحفاظ على كلا المكتسبات تحرص إيران على عدم الدخول في مواجهة مباشرة مع أمريكا وإسرائيل، ودفع ذلك إيران للتأكيد على عدم مشاركتها في عملية طوفان الأقصى[٤]. ويؤكد ما سبق على وجود حالة من الردع بين إيران وإسرائيل؛ إذ يعد كل فعل ورد فعل يتخذه كلا الطرفان محسوبًا بدقة كبيرة (تصعيد محدود) حتى لا تنشب حرب شاملة بينهما.

تتفوق إسرائيل عسكريًا وتكنولوجيًا واستخباراتيًا على إيران؛ نظرًا للدعم الضخم الذي تتلقاه من الدول الغربية وخاصةً الولايات المتحدة، وهو ما يمكنها من القيام بعمليات عسكرية وسيبرانية دقيقة لاستهداف البنية التحتية لإيران وأذرعها العسكرية في الدول المجاورة –كما سنرى- وذلك لبسط نفوذها واستنزاف قوة إيران تدريجيًا مع تجنب الانزلاق لحربٍ شاملة مع إيران قد تؤدي لاستنزاف مواردها (نظرًا لتعدد الجبهات الحليفة لإيران)، وتضر بصورتها دوليًا خاصةً في ظل رفض الولايات المتحدة الأمريكية لأي تصعيد إسرائيلي غير محسوب قد يشعل حربًا شاملةً مع إيران[٥].

وفي هذا الإطار، تعتمد إيران على نفوذها السياسي ووكلائها في المنطقة، والرد على هجمات إسرائيل بشكلٍ انتقائي منضبط (لتؤكد على صمودها) منعًا لوقوع حرب شاملة ستظهر التفوق العسكري والتكنولوجي والاستخباراتي لإسرائيل[٦]. وتلعب

---

(١) محمد أشقر، تغير العقيدة العسكرية الإيرانية خلال الحرب السورية، سلسلة تحليلات استراتيجية - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٦ ديسمبر ٢٠٢١، ص ص ١-٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/mHGj2FxW

(٢) نويد أحمد، مرجع سابق، ص ص ٤-٥

(٣) محمد السعيد إدريس، علاقات إيران مع محور المقاومة في ضوء تحديات طوفان الأقصى، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، دورية الملف المصري، العدد ١١٦، مايو ٢٠٢٤، ص ١٩.

(٤) شيماء بهاء الدين، مرجع سابق، ص٥.

(٥) نبيل عودة، تحليل الصراع بين إيران وإسرائيل باستخدام الذكاء الاصطناعي ونظرية الألعاب، الجزيرة، ٢٠٢٤/١٠/٢٩، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/KydOVgUn

(٦) المرجع السابق.

الولايات المتحدة دورًا محوريًا في ضبط التصعيد لحماية استقرار المنطقة ومصالحها الاستراتيجية.

ثالثًا- إيران وجبهات إسناد غزة: بين الدعم السياسي والعسكري:

منذ طوفان الأقصى، ترتكب إسرائيل جرائم إبادة جماعية بحق مئات الآلاف من الفلسطينيين في قطاع غزة. لذا، تعددت جبهات الإسناد الموالية لإيران نصرةً للقطاع ولحقوق الشعب الفلسطيني. وفيما يلي نذكر جبهات الإسناد لغزة أو ما أسمته إيران "محور المقاومة"[١]، وهو تحالف متقارب طائفيًا يجمع بين إيران وعدد من الجماعات المسلحة في لبنان واليمن والعراق وسوريا، رافض للنفوذ الأمريكي وللوجود الإسرائيلي في الشرق الأوسط ويؤمن بمركزية القضية الفلسطينية ويتبنى شعار "الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام":

١) جبهة الإسناد في جنوب لبنان:

في بداية الثمانينيات وفي ظل الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، دعمت إيران حركة أمل والمجموعات الشيعية الأخرى المقاومة للاحتلال الإسرائيلي بالمال والسلاح والتدريب العسكري[٢]، وقد جمعت إيران تلك المجموعات وأنشأت حزب الله الذي قاوم الاحتلال الإسرائيلي خلال التسعينيات وأجبره على الانسحاب من لبنان عام ٢٠٠٠ وفي الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦. وبهذا أصبح الحزب فاعلًا سياسيًا أساسيًا في لبنان وفي الصراع العربي الإسرائيلي[٣].

وفي إطار عملية طوفان الأقصى، أكد حزب الله دعمه ومساندته للمقاومة الفلسطينية من بداية المعركة، مؤكدًا حق الشعب الفلسطيني في تحرير كامل أراضيه وشرعية عملية طوفان الأقصى التي جاءت نتيجة لاستمرار الاحتلال والمخطط الاستيطاني للضفة الغربية والانتهاكات بحق الشعب الفلسطيني في غزة والضفة والأسرى بسجون الاحتلال ومقدسات الأمة. وقد ذكر رئيس الحزب السابق حسن نصر الله في خطابٍ ألقاه في نوفمبر ٢٠٢٣ أنه **"لو أردنا أن نبحث عن معركة كاملة الشرعية، فلا معركة مثل القتال ضد الصهاينة"** مشددًا على أن ما يقوم به الحزب في الجبهة اللبنانية **"غير مسبوق في تاريخ الكيان الإسرائيلي، وأجبر العدو على أن يُبقي قواته عند الحدود وحشد المزيد منها، مما يخفف الضغط عن غزة"**. وبخصوص الولايات المتحدة أكد نصر الله على أن **"أمريكا هي المسئول الأول عما يجري في غزة، وهي التي تمنع وقف العدوان"**. كما أشاد نصر الله بجبهة اليمن والعراق، وحث الدول العربية على وقف العدوان على غزة ودعا لقطع النفط والغاز عن الاحتلال الإسرائيلي[٤].

تعد جبهة لبنان أهم جبهات الإسناد لغزة، ويتمثل إسناد حزب الله لغزة في شن هجمات بالصواريخ على المستوطنات الإسرائيلية شمال الأراضي الفلسطينية المحتلة (لتخفيف العبء على غزة) والجولان السوري المحتل، وكذلك أجهزة المراقبة والتجسس القريبة من الحدود الإسرائيلية مع لبنان، بجانب استهداف معسكرات وقواعد عسكرية إسرائيلية وشركات صناعات عسكرية. **بالنسبة لمستوطنات الشمال**، أعلنت إسرائيل إخلاء ٢٨ مستوطنة ونقل أكثر من ٦٠ ألف مستوطن داخل الأراضي المحتلة[٥]، ونتيجة لعمليات حزب الله اتسعت المواجهة بين جيش الاحتلال وحزب الله على الحدود اللبنانية واستهدفت إسرائيل مجمعات عسكرية ونقاط مراقبة لحزب الله في مزارع شبعا وعدة قرى جنوب لبنان مما أدى لنزوح

(١) محور المقاومة.. تحالف إقليمي لمواجهة إسرائيل، الجزيرة، ٢٠٢٤/٧/١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/L5ECFpJE

(٢) محمد السعيد إدريس، مرجع سابق.

(٣) كيف نشأ حزب الله اللبناني وما دور حسن نصر الله فيه، BBC NEWS عربي، ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://linksshortcut.com/vJWjR

(٤) نصر الله: انخرطنا في الحرب من البداية ومستمرون فيها، الجزيرة، ٢٠٢٣/١١/٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/tv52T33t

(٥) سجود عوايص، ما الذي تفكك بالفعل؟ ما لا يُحكى عنه في مستوطنات الشمال، شبكة الميادين، ١٩ أبريل ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/iF39UTfb

عدد كبير من سكان قرى جنوب لبنان. وقد أعلن الجيش الإسرائيلي في أول أسبوعين من المواجهة عن مقتل عدد من الجنود، وملازم ورقيب أول، ونائب لواء ٣٠٠ في فرقة الجليل[١].

أما بالنسبة للقواعد العسكرية، استهدف حزب الله ثلاثة مواقع عسكرية للجيش الإسرائيلي بمزارع شبعا في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣: قصف مركز قيادة كتيبة تابعة للواء الغربي، استهداف قاعدة ميرون أربع مرات منذ يناير ٢٠٢٤ ردًا على اغتيال صالح العاروري، استهداف قاعدة عين زيتيم التي تضم مقر قيادة الفيلق الشمالي ولواء المشاة الثالث التابع للفرقة ٩١ الإسرائيلية. وقد جاء استهداف قيادة لواء المشاة الثالث في أبريل ٢٠٢٤ بسب الهجوم الإسرائيلي على قرى جنوب لبنان، بينما جاء استهداف قيادة الفيلق الشمالي في أغسطس ٢٠٢٤، وتم استهداف قواعد وثكنات أخرى وهم: ثكنات راموت نفتالي، كيلع، يوآف، برانيت. وقواعد يردن، إيلانيا نفح بالجولان المحتل، وتسنوبار. وقد كان استهداف ثكنة كيلع ويوآف وقاعدة نفح ردًا على اغتيال فؤاد شكر[٢]. وعلى مدار ستة أشهر من طوفان الأقصى، بلغ عدد الهجمات المتبادلة بين حزب الله وإسرائيل منذ السابع من أكتوبر ٤٧٣٣ هجمة منها ٣٩٥٢ إسرائيلية و٧٨١ من حزب الله[٣]. وقد أدى الإسناد القوي من حزب الله لغزة إلى قيام إسرائيل في الأول من أكتوبر ٢٠٢٤ بالإعلان عن عملية برية في جنوب لبنان لتدمير قدرات حزب الله، ويخوض الحزب معارك ضارية مع الاحتلال الإسرائيلي لمنع توغله داخل الأراضي اللبنانية.

(١) بين "قواعد الاشتباك" وحافة الحرب.. قراءات في تكتيكات حزب الله، الجزيرة، ٢٠٢٤/١٠/٢٥، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/2K4aEg5G

(٢) القواعد العسكرية الإسرائيلية التي استهدفها حزب الله منذ طوفان الأقصى، الجزيرة، ٢٠٢٤/٨/٢٥، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/aRjSwgRF

(٣) جنى الدهيبي، محمد حسين، محمد الحداد، محمد العلي، حزب الله وإسرائيل.. ٤٧٠٠ هجوم عبر الحدود في ٦ أشهر، الجزيرة، ٢٠٢٤/٤/٩، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/gmWwaDO

(٤) محمد السعيد إدريس، مرجع سابق، ص ١٧

٢) جبهة الإسناد في اليمن:

شهدت الثمانينيات توطيد في العلاقة بين إيران وجماعة أنصار الله الحوثي، وقد اتجهت أعداد كبيرة منهم لمدينة قم بإيران لتحصيل العلم الديني، واتبعوا المذهب الجعفري الاثنا عشري بدلًا من المذهب الزيدي. وقد منح ذلك إيران فرصة لتدريبهم عسكريًا وإمدادهم لوجستيًا وماليًا لخدمة المبادئ الثورية الإيرانية[٤]، حتى أنهم نجحوا عام ٢٠١٤ في السيطرة على صنعاء. ويمتلك الحوثيون قدرات عسكرية كبيرة نتيجة السيطرة على ترسانة أسلحة الجيش اليمني بعد قتل علي عبد الله صالح، وإمدادات إيران من الصواريخ المتطورة وخبراء في التعامل مع الصواريخ[٥].

في أعقاب عملية طوفان الأقصى أعلن الحوثيون تأييدهم ومساندتهم للمقاومة الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني. وقد تبنوا خطابًا دينيًا يستند إلى آياتٍ من القرآن الكريم[٦]. إذ ذكر عبد الملك الحوثي في بيانه في أكتوبر ٢٠٢٣ أن طوفان الأقصى **"أتت في إطار الحق المشروع للمجاهدين وللشعب الفلسطيني"** مستشهدًا بالآية الكريمة **{أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير}**، وشدد على أن **الشعب اليمني "حاضر لفعل كل ما يستطيع في أداء واجبه المقدس"**[٧].

لقد تمثل إسناد الحوثيين للقضية الفلسطينية في استهداف السفن الإسرائيلية وسفن الشحن المتجهة نحو موانئ إسرائيل عن طريق البحر الأحمر (قرب باب المندب) وخليج عدن، وكذلك

(٥) بسمة سعد، ما بين التصعيد والتهدئة: تطور التكتيكات القتالية لجماعة الحوثي في البحر الأحمر، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢٤/٤/١٧، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/QqzM96QV

(٦) نصر رشدي، طوفان الأقصى ومعركة الفتح الموعود: كيف يحشد الحوثيون الدعم الشعبي، منتدى سلام اليمن، ٢٤ أبريل ٢٠٢٤، https://2u.pw/8Z9HOXeU

(٧) النص الكامل لكلمة عبد الملك الحوثي حول "طوفان الأقصى" والرد الإسرائيلي، CNN بالعربية، ١١ أكتوبر ٢٠٢٣م، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/EnJwQrik

استهداف السفن الأمريكية والإنجليزية بسبب الضربة الجوية التي نفذتها كلتا الدولتين في اليمن. لم يقتصر إسناد الحوثيين على العمليات البحرية فقط، بل شمل عمليات جوية استهدفت الأراضي الفلسطينية المحتلة[١]. وقد أكد عبد الملك الحوثي أن الحوثيين على مدار عام منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ قد استهدفوا ١٩٣ سفينة مرتبطة بالاحتلال الإسرائيلي وأمريكا وبريطانيا. وذكر أنه **"في جبهة اليمن، قصفنا على مدى عامٍ بأكثر من ألف صاروخ ومسيرة، واستخدمنا الزوارق في البحار إسنادًا لغزة"** وأوضح أنه **"تم إسقاط ١١ طائرة مسيرة أمريكية من نوع إم كيو ٩ خلال عام".**

ومن أبرز العمليات البحرية التي نفذها الحوثيون: **السيطرة على سفينة "جلاكسي ليدر"** التي يشارك في ملكيتها رجل أعمال إسرائيلي واحتجاز طاقمها في نوفمبر ٢٠٢٣، **استهداف سفينة "روبيمار"** التابعة للمملكة المتحدة بالصواريخ الباليستية مباشرةً في خليج عدن في فبراير ٢٠٢٤، **استهداف سفينة "مادو" الأمريكية** في البحر الأحمر في مارس ٢٠٢٤ وقد أعلنت الولايات المتحدة غرق السفينة بالفعل، **استهداف سفينة "توتور" اليونانية** التي كانت متجهة إلى الأراضي المحتلة عن طريق البحر الأحمر في يونيو ٢٠٢٤ وذلك بالطائرات المسيرة والصواريخ الباليستية وزورقين مسيرين وقد تم الإعلان عن غرق السفينة وفقدان أحد أفراد الطاقم، **استهداف سفينة "فيربينا" الأوكرانية والتي تُديرها بولندا** وكانت متجهة إلى الأراضي المحتلة عن طريق خليج عدن في يونيو ٢٠٢٤ بصاروخ باليستي مضاد للسفن، **واستهداف ناقلة النفط اليونانية "سونيون"** وكانت متجهة إلى الأراضي المحتلة في أغسطس ٢٠٢٤[٢].

أما بالنسبة للعمليات العسكرية الجوية التي استهدفت الأراضي المحتلة، فقد أعلن الحوثيون في نهاية أكتوبر ٢٠٢٣ استهداف إسرائيل بعددٍ كبيرٍ من الطائرات المسيرة والصواريخ وهي المرة الأولى التي يستهدف فيها الحوثيون إسرائيل، وقد تلاها عدد من الاستهدافات منها القيام بعملية نوعية لقصف هدف في تل أبيب في يوليو ٢٠٢٤ بالاعتماد على مسيرة "يافا" القادرة على تجاوز منظومات الدفاع الإسرائيلية، وقد أدت لمقتل إسرائيلي وإصابة عشرة، علمًا أن تلك العملية حملت رسالة لإسرائيل مفادها أن "تل أبيب غير آمنة". وفي سبتمبر ٢٠٢٤، أطلق الحوثيون صاروخ باليستي على تل أبيب لم تعترضه منظومات الدفاع لكنه لم يوقع ضحايا أو مصابين. وفي بداية أكتوبر ٢٠٢٤، استهدف الحوثيون هدفًا بتل أبيب بعدد من الطائرات المسيرة من نوع "يافا"[٣].

٣) جبهة الإسناد في العراق:

مثلت الفوضى السياسية والاجتماعية التي أحدثها الغزو الأمريكي للعراق فرصةً مواتية لإيران لبسط نفوذها في العراق، وهو ما دفعها لدعم وتمويل عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله بعد سقوط نظام صدام حسين، كما دفعها سقوط الموصل في يد تنظيم داعش ٢٠١٤ لدعم وتمويل قوات الحشد الشعبي[٤].

ظهرت "المقاومة الإسلامية في العراق" بعد عملية طوفان الأقصى والانتهاكات الصهيونية الجسيمة بحق الفلسطينيين في قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، وتضم مجموعة من الجماعات المسلحة العراقية المتحالفة (حزب الله العراقي، عصائب أهل الحق، تشكيل الوارثين، حركة النجباء، وكتائب سيد الشهداء) والتي تقوم إيران بدعمهم وتمويلهم. تساند المقاومة الإسلامية في العراق المقاومة الفلسطينية من خلال استهداف القواعد الامريكية في العراق وسوريا إذ أكدت على أن ذلك ردًّا على **"الجرائم التي يرتكبها الاحتلال الصهيوني في قطاع غزة بتوجيه أمريكي"**[٥].

---

(١) علي الذهب، انخراط الحوثيين في حرب غزة وتداعياته على أمن البحر الأحمر وعملية السلام في اليمن، تقييم حالة – المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٨ يناير ٢٠٢٤، ص ص ١-٢، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/QJ2lePLR

(٢) هذه أبرز هجمات الحوثيين المساندة لغزة خلال عام، الجزيرة، ٢٠٢٤/١٠/٧، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/AqiItssO

(٣) المرجع السابق.

(٤) محمد السعيد إدريس، مرجع سابق، ص ١٧.

(٥) صافيناز محمد أحمد، "طوفان الأقصى".. يضرب القواعد الامريكية في العراق وسوريا، مركز الاهرام للدراسات السياسية

لقد نفذت المقاومة الإسلامية في العراق أولى عملياتها إسنادًا لغزة في السابع عشر من أكتوبر ٢٠٢٣ إذ استهدفت القاعدة الأمريكية حرير الجوية في محافظة أربيل بكردستان العراق، وذلك باستخدام طائرة بدون طيار من نوع "قاصف ٢ كي". وتمثلت استهدافات المقاومة الإسلامية في العراق في قاعدة عين الأسد في محافظة الأنبار وقاعدة حرير في أربيل والسفارة الأمريكية في بغداد، وتمثلت استهدافات سوريا في عدد من القواعد العسكرية أيضًا. **وقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية في يناير ٢٠٢٤ تعرضها لمئة وسبعين استهدافًا منذ الثامن عشر من أكتوبر ٢٠٢٣.**

وفي أبريل ٢٠٢٤، بدأت المقاومة الإسلامية في العراق في شن هجمات ضد مطارات وموانئ ومحطات كهرباء ومواد كيميائية وقواعد عسكرية داخل دولة الاحتلال الإسرائيلي (في غور الأردن وبيسان والجولان المحتل وحيفا وبئر وإيلات وطبريا وتل أبيب). **ومن أبرز الهجمات التي نفذتها جبهة إسناد العراق:** استهداف السفارة الأمريكية في بغداد وقاعدة حربية مجاورة لها بثلاثة صواريخ في ديسمبر ٢٠٢٤ لكن العملية لم تسفر عن أضرارٍ مادية أو بشرية، استهداف قاعدة عسكرية أمريكية في الحدود الأردنية السورية بطائراتٍ مسيرة وقد أسفرت العملية عن مقتل ثلاثة جنود أمريكيين وعشرات الجرحى في يناير ٢٠٢٤، استهداف المقاومة الإسلامية تل أبيب لأول مرة في مايو ٢٠٢٤ حيث نفذوا هجومًا ضد قاعدة غليلوت التابعة للموساد باستخدام صواريخ الكروز، وفي أكتوبر ٢٠٢٤ نفذت المقاومة الإسلامية عملية استهداف لقاعدة إسرائيلية في شمال الجولان السوري المحتل وقد قُتل جنديين وأُصيب ٢٥ آخرون في هذه العملية[١].

٤) جبهة الإسناد في سوريا:

لقد كانت سوريا بقيادة حافظ الأسد هي الدولة العربية الوحيدة المؤيدة للثورة الإيرانية ١٩٧٩، ويرجع سبب التأييد إلى أن الثورة الإيرانية وما أرسته من مبادئ ترفض أيديولوجيًا اتفاقيات التطبيع مع الكيان الصهيوني (وخاصة اتفاقية كامب ديفيد المبرمة بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٨م). وترفض الثورة الإيرانية ومبادئها أي تسوية تتضمن بنودًا لإسرائيل تعطي لها الحق ولو على شبرٍ واحد في الأراضي الفلسطينية، لأن ذلك بمثابة تنازل عن القضية الفلسطينية وتصفيتها. وبالتالي، فإن التحالف بين إيران وسوريا مثل حجر الأساس للمعسكر الرافض للتطبيع ولتصفية القضية الفلسطينية، والمقاوم للنفوذ الأمريكي والوجود الإسرائيلي في المنطقة[٢].

في إطار طوفان الأقصى والعدوان على غزة، **تعد سوريا أقل جبهات محور المقاومة إسنادًا لغزة** سواء من خلال العمليات العسكرية أو حتى التغطية الإعلامية، وذلك بما لا يناسب موقعها الجغرافي المجاور لدولة الاحتلال والاستهدافات الإسرائيلية لمناطق عدة في سوريا أبرزها السفارة الإيرانية بدمشق وكذلك العملية البرية في جنوب لبنان ضد حزب الله الذي يُعد أبرز الداعمين للنظام السوري. **ويرجع ذلك لعددٍ من الأسباب:** أن **المصالحة بين حماس والنظام السوري ٢٠٢٢ لم تُعِد العلاقات كما كانت قبل الثورة السورية** في ٢٠١١، انشغال **النظام السوري بمحاولة تحسين علاقاته مع الدول العربية والإسلامية** كتركيا والسعودية **والتخلص من العقوبات المفروضة عليه، طالبت روسيا النظام السوري بعدم الانخراط في الصراع حفاظًا على مصالحها بسوريا** كما تهدف روسيا **لتحييد موقف إسرائيل تجاه الحرب الروسية الأوكرانية ومنعها من إمداد أوكرانيا، الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تعانيها سوريا، التهديدات التي بعثتها إسرائيل لبشار الأسد بإسقاط نظامه** إذا جعل من سوريا قاعدة لمحور المقاومة لتنفيذ عملياته وقد استهدفت إسرائيل مطاري

والاستراتيجية،٢٠٢٣/١٠/٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/LCmwfuVy

(١) المقاومة الإسلامية في العراق.. فصائل موالية لإيران تكتلت بعد طوفان الأقصى، الجزيرة، ٢٠٢٤/١١/١٧، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/FwNlXk7G

(٢) حسن نافعة، "محور المقاومة" في مرآة "طوفان الأقصى"، شبكة ميادين، سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ni06rjSW

"الثعلة" و"إزرع" وهما مطاران يستخدمهما محور المقاومة[١].

لقد اختارت سوريا عدم التفاعل النشط والمباشر عسكريًا مع جبهات الإسناد الأخرى، واقتصر إسنادها لمحور المقاومة على إمداد حزب الله عسكريًا بما يحتاجه، وقد استغل الحزب ذلك إذ حرص على إظهار تلك الأسلحة في مشاهده المصورة للإشارة إلى أن سوريا ما زالت على العهد مع محور المقاومة وهدفه في القضاء على النفوذ الأمريكي والإسرائيلي في المنطقة. وقد دفع ذلك إسرائيل لشن هجمات جوية على بعض المناطق بسوريا في أغسطس ٢٠٢٤[٢].

رابعًا- تكلفة إيران من الحرب الإسرائيلية على غزة إلى اجتياح لبنان

في إطار حرص إسرائيل والولايات المتحدة على عدم التصعيد العسكري المباشر ضد إيران منعًا لاندلاع حرب عسكرية شاملة، فإن إسرائيل إلى جانب المواجهة العسكرية بينها وبين جبهات الإسناد الموالية لإيران اتبعت استراتيجيتين غير مباشرتين لمهاجمة إيران بالإضافة لتنفيذ هجوم مباشر على إيران في أكتوبر ٢٠٢٤. ويمكن استعراض ذلك فيما يلي:

١- سياسة الاغتيالات:

يُقصد بسياسة الاغتيالات الترتيب لقتل شخصيات ذات نفوذ وتأثير في المجال السياسي، أو العسكري، أو الفكري الأيديولوجي، أو القيادي بشكل منظم ومتعمد، وتُنفذ الاغتيالات لدوافع وأسباب مختلفة قد تكون سياسية أو عقائدية أو اقتصادية أو بدافع الانتقام. ولقد عُرفت إسرائيل من خلال عمل جهازي الموساد خارجيًا والشاباك داخليًا -وحتى العصابات الصهيونية قبل ١٩٤٨- بسياسة الاغتيالات ضد أسماءٍ بارزة من الفلسطينيين والعرب والتي ترى إسرائيل أنهم يمثلون خطرًا عليها، ودائمًا ما تؤطر إسرائيل عمليات الاغتيالات التي تنفذها بالدفاع عن النفس والقضاء على الإرهاب[٣] لتجنب المسئولية القانونية وتستخدم إسرائيل في خطاباتها وإعلامها الرسمي منذ عام ٢٠٠٠ مصطلحات من قبيل "الإحباط الموضعي" الذي يحمل الطابع الوقائي بدلا من مصطلح "الاغتيال"[٤].

تتعدد أهداف إسرائيل من سياسة الاغتيالات التي تنتهجها، وهي: تعزيز الروح المعنوية في الداخل الإسرائيلي وتغذية الإحساس بأن دولة الاحتلال الإسرائيلي قوية استخباراتيًا وأمنيًا وقادرة على القضاء على كل ما يهدد أمنها، الحد من خطورة المقاومة في فلسطين والدول المجاورة وتقليل روح وحدة المقاومة؛ إذ تعتقد إسرائيل أن الاغتيالات بمثابة حربًا نفسية تضع المقاومة تحت ضغط الاستهداف في أي وقت وأي مكان مما يدفعهم لتقليل تفاعلاتهم واتصالاتهم ببعضهم البعض وحركتهم مما ينعكس سلبًا على فاعليتهم، كما تعتقد إسرائيل أن اغتيال القادة قد يقود إلى نزاعات داخل جماعات المقاومة خاصة إذا كان شخصية كاريزمية، تحقيق الردع وترهيب مجتمعات الدول المحيطة بدولة الاحتلال بشكلٍ خاص من القيام بفعل مقاوم لأن رد فعل إسرائيل سيكون انتقاميًا، إفقاد حركات المقاومة شخصيات مؤثرة ذات مهارات وقدرات عالية اكتسبتها عبر الزمن سواء كانت مهارات سياسية أو عسكرية أو فكرية مما يعصب تعويضها[٥].

عقب عملية طوفان الأقصى التي كشفت عن الفشل الاستراتيجي والأمني والاستخباراتي في إسرائيل، ومع فشل نتنياهو في تحقيق أهدافه من العدوان والإبادة الجماعية على

(١) فراس فحام، الإسناد البارد.. موقف النظام السوري من التصعيد الإسرائيلي، الجزيرة، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qa1hl1CF

(٢) أحمد الدرزي، سوريا بعد طوفان الأقصى: واقع جديد لمعادلات القوة، شبكة الميادين، ٢٧ أبريل ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/NiOrPflG

(٣) سياسة الاغتيالات الإسرائيلية نجاح تكتيكي وإخفاق استراتيجي، الجزيرة، ٢٠٢٤/١/٣١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Fitc6z49

(٤) هاجر أيمن، سياسة الاغتيالات في الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢٤/٨/٣، متاح عبر الرابط التالي: https://ecss.com.eg/47219/

(٥) المرجع السابق.

قطاع غزة والمتمثلة في القضاء على حماس وبنيتها التحتية والإفراج عن الأسرى، ومع تعدد جبهات إسناد غزة وما يقوم به محور المقاومة، وأيضًا مع عدم رغبة أمريكا وإسرائيل في تصعيد المواجهة مع إيران واستهدافها بشكلٍ عسكري مباشر منعًا لحرب عسكرية شاملة، مع هذه التطورات اتجه نتنياهو لاغتيال عدد من قيادات محور المقاومة والحرس الثوري الإيراني وحركة حماس. **لقد اغتالت إسرائيل عدد من قيادات حزب الله على رأسهم زعيم الحزب حسن نصر الله** في السابع والعشرين من سبتمبر ٢٠٢٤، **نبيل فاروق** وهو نائب رئيس المجلس المركزي في الحزب، **إبراهيم عقيل** رئيس العمليات وقائد قوة الرضوان النخبوية في الحرب، **رئيس الأركان فؤاد شكر** وهو أيضًا أحد أهم المستشارين العسكريين لنصر الله، **علي كركي** وهو قائد الجبهة الجنوبية وعضو مجلس الجهاد، **إبراهيم القبيسي** قائد وحدة الصواريخ في الحزب، **وسام الطويل** أحد قادة قوة الرضوان، **أحمد وهبي** قائد وحدة تدريب قوة الرضوان، **طالب عبد الله** قائد وحدة النصر في الجبهة الجنوبية، **ومحمد ناصر** قائد وحدة عزيز في الجبهة الجنوبية[١].

كما تم اغتيال بعض قادة حماس بعد السابع من أكتوبر، وهم: **أيمن نوفل** قائد لواء المحافظة الوسطى وعضو المجلس العسكري العام لكتائب القسام، **أحمد الغندور** وهو قائد لواء شمال قطاع غزة وعضو المجلس العسكري، **صالح العاروري** نائب رئيس المكتب السياسي لحماس ومؤسس كتائب عز الدين القسام والمسئول عن ملف الضفة الغربية في الحركة وقد تم اغتياله في هجوم استهدف مكتب حركة حماس في الضاحية الجنوبية ببيروت، **إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس ومرافقه وسيم أبو شعبان في إيران**[٢].

وبالنسبة للحرس الثوري الإيراني، فقد تم اغتيال **محمد رضا زاهدي** وهو عميد في فيلق القدس التابع للحرس الثوري، **ومحمد هادي حاج رحيمي** بالإضافة لخمسة ضباط آخرين في القصف الإسرائيلي لسفارة إيران بدمشق، **ورضا موسوي** وهو مسئول الإمداد لقوات الحرس الثوري في سوريا، **وحجت الله أميدوار** وهو مسئول استخبارات الحرس الثوري وفيلق القدس في سوريا، **ونيلفروشان** نائب قائد الحرس الثوري الإيراني[٣].

لقد بدأت عمليات الاغتيالات في وقتٍ بدأ فيه الحديث عن ضرورة التوصل لوقف إطلاق النار. لذا من المهم أن نشير لأهداف نتنياهو واليمين المتطرف من استراتيجية الاغتيالات في هذا التوقيت. وتتمثل أهداف نتنياهو في:

أ) الرغبة في عرقلة مفاوضات وقف إطلاق النار وصفقة تبادل الأسرى، خاصةً وأنه لم يحقق أهدافه من العدوان على غزة عقب طوفان الأقصى الذي أسقط الردع الإسرائيلي. وبالتالي، فإن التوصل لوقف إطلاق نار يعني خروج نتنياهو من المشهد السياسي وهو ما لا يريده. لذا؛ جاءت الاغتيالات لخلق انتصار استخباراتي وعسكري لنتنياهو يحسن من صورته داخليًا وإقليميًا، ولجعل حماس تعلق مفاوضاتها مع الوسطاء للتوصل لاتفاق وقف إطلاق النار ردًا على الاغتيالات.

ب) تؤدي الاغتيالات إلى زيادة التصعيد بين إسرائيل ومحور المقاومة وبالتالي إطالة أمد الحرب، وهو ما يسمح له بالبقاء في المشهد السياسي لفترةٍ أطول ومنحه فرصة لمعالجة الأزمات الداخلية. إضافة إلى ذلك، فإن تصعيد محور المقاومة الموالي لإيران هجماته ردًا على الاغتيالات قد يضطر بالولايات المتحدة للتدخل وهو ما سيُطيل أمد الحرب بصورةٍ أكبر[٤].

ج) قد تمنح الاغتيالات إسرائيل انتصارًا -عجزت عن تحقيقه داخل قطاع غزة- يحسن من موقفها التفاوضي مما يدفعها لمحاولة فتح مسار تفاوضي جديد، تهدف من خلاله

(١) الاغتيالات الإسرائيلية الأخيرة... فرض واقع جديد أم تكرار للماضي؟، الشرق الأوسط، ٣ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/zYzuTNEu

(٢) منذ بدء "طوفان الأقصى" ... تعرف على أبرز الاغتيالات الإسرائيلية، تليفزيون العربي، ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ABLSPiMB

(٣) أبرز الأسماء الإيرانية التي تم اغتيالها خلال السنوات الأخيرة، RT Arabic، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/1jrBy2z3

(٤) الدويري: هذه أهداف نتنياهو من الاغتيالات، الجزيرة، ٢٠٢٤/٨/٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/UTXs054j

لعقد صفقة تبادل الأسرى مع وقف مؤقت -وليس دائم- لإطلاق النار، مع التوقف عن اغتيال القيادات في الخارج أي استخدام القيادات في الخارج كورقة ضغط.. ويعني كل ذلك عدم الخضوع لشروط حماس.

د) ثمة محاولات لتوحيد الداخل الفلسطيني للتخطيط لمرحلة ما بعد الحرب، وقد تعرقل الاغتيالات تلك المحاولات وهو ما يريده نتنياهو، خصوصًا وأن العاروري هو من اجتمع بقيادات فتح والسلطة الفلسطينية لتوحيد الصف ومناقشة إمكانية دمج حماس في الهيكل السياسي للسلطة.

هـ) تعتبر إسرائيل اغتيال قيادات كبرى في حماس ومحور المقاومة كهنية والعاروري ونصر الله محاولة لردع حماس ومحور المقاومة[١].

في الأخير يمكن القول إن سياسة الاغتيالات التي تتبعها دولة الاحتلال الإسرائيلي منذ تأسيسها لم تقضِ على المقاومة ولم تبعدها عن هدفها، بل أدت لزيادة قوتها واتساع نطاقها وحرصها على الرد بقوة على تلك الاغتيالات، كما أن تلك السياسة تضر بصورة تل أبيب أمام الرأي العام العالمي. فاغتيال الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس لم ينهِ الحركة، بل جاء بعده من سار على نهجه وأكد على أهداف الحركة، وقد أصبحت الحركة أكثر قوةً مما كانت عليه. ولم يؤدِ اغتيال عباس الموسوي إلى انهيار حزب الله، بل جاء بعده حسن نصر الله وأصبح الحزب تحت قيادته أكثر قوة[٢]. إن المقاومة والجهاد منهج وفكر عقيدة راسخة لا تفنى بفناء الأفراد.

٢- الهجمات السيبرانية:

تختلف الحروب السيبرانية عن الحروب التقليدية لطبيعتها الرقمية، إذ تستهدف البنى التحتية الإلكترونية والبيانات والمعلومات. وتعرف الحرب السيبرانية بأنها صراعات حديثة تحدث في البيئة الرقمية الافتراضية، وتُستخدم فيها التكنولوجيا الرقمية والإنترنت والشبكات كأدوات للهجوم لاختراق وتعطيل الأنظمة والبنى التحتية الإلكترونية التابعة للدول والمؤسسات والشركات أو استهداف الأفراد، وذلك لتحقيق أهدافٍ سياسية واستراتيجية واقتصادية دون اللجوء للأدوات العسكرية التقليدية وتكلفتها البشرية والاقتصادية والعسكرية. تتعدد أنواع العمليات السيبرانية، وتشمل: **هجمات الإسقاط الخدمي** وهي أبسط الهجمات السيبرانية وتهدف لتعطيل الخدمات والمواقع عن طريق إرسال عدد كبير من الطلبات إلى الخوادم من جهازٍ واحد، **هجوم حجب الخدمة الموزعة** ويستهدف المواقع الكبرى لتعطيل الخدمة بها لفترة معينة ويعتمد على شبكة موزعة من الأجهزة في وقتٍ واحد وهو ما يجعل الاستهداف أكثر خطورة، **اختراق الأنظمة والشبكات** للوصول غير المصرح به للأنظمة والشبكات لسرقة البيانات وتعطيل العمليات التشغيلية، **التجسس السيبراني وسرقة معلومات وبيانات الأفراد والمؤسسات، والتلاعب بالمعلومات ومحاولة تغييرها**[٣].

يُعد الأمن السيبراني أحد أولويات السياسة الأمنية الإسرائيلية، وقد دفعت الهجمات السيبرانية على الكيان الصهيوني في ٢٠٢٢ الجيش والحكومة الإسرائيلية أواخر يونيو ٢٠٢٢ بالتعاون مع شركات تكنولوجية عالمية ومؤسسات محلية للإعلان عن بدأ إنشاء **"قبة سيبرانية"**، وذلك لتحقيق الردع السيبراني حيث رصد الهجمات السيبرانية ومحاولة إحباطها وشن هجمة سيبرانية انتقامية ضد منفذها[٤].

(١) مهاب عادل، السياسة الإسرائيلية خلال المرحلة القادمة من الحرب.. الاغتيالات وتسخين الجبهات، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، تقديرات استراتيجية، يناير ٢٠٢٤، ص ص ٢-٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/OQrj9yBs

(٢) هاجر أيمن، مرجع سابق.

(٣) علي مرعي، الحروب السيبرانية في معركة طوفان الأقصى، شبكة الميادين، ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ToWhdRrZ

(٤) رغدة البهي، القبة السيبرانية الإسرائيلية: السمات والدوافع، المركز المصري للفكر والدراسات الإستراتيجية، ٢٠٢٢/٨/٣، متاح عبر الرابط التالي: https://ecss.com.eg/20310/

لقد اعتادت إسرائيل شن هجمات سيبرانية على إيران ومن أمثلتها استهداف البرنامج النووي الإيراني بفيروس "ستكسنت" في عام ٢٠١٠، واستهداف مرفأ بيروت وتعطيل عمله في عام ٢٠٢٠[١]. **وفي ظل عملية طوفان الأقصى**، مثل المجال السيبراني ساحة للمواجهة بين إسرائيل المتفوقة في هذا المجال وإيران التي استثمرت في هذا المجال في السنوات الأخيرة، خاصةً مع استبعاد التصعيد العسكري المباشر من كلا الطرفين ضد الآخر.

بالنسبة للهجمات السيبرانية الإسرائيلية ضد حماس ومحور المقاومة، نجحت إسرائيل في السيطرة على ترددات الاتصالات وتدمير بنيتها التحتية في قطاع غزة، وعرقلة وصول حماس إلى الأنظمة والشبكات التي تعتمد عليها في إدارة عملياتها، وهذا من خلال هجمات حجب الخدمة الموزعة DDoS وقد أثر ذلك سلبًا على أعمال المقاومة وتواصل المقاومين ببعضهم البعض[٢]. كما تعد عمليات الاغتيالات التي نفذتها إسرائيل ضد حماس ومحور المقاومة الموالي لإيران نجاح سيبراني واستخباراتي لدولة الاحتلال؛ حيث نجح التتبع والتجسس السيبراني ومهد لنجاح عمليات الاغتيالات، وقد تم استخدام الطائرات بدون طيار المزودة بالذكاء الاصطناعي في بعض تلك الاغتيالات[٣].

كما قامت إسرائيل بتعطيل عمل ٧٠٪ من محطات الوقود في إيران. ويعد أبرز وأكبر هجوم سيبراني نفذته إسرائيل منذ طوفان الأقصى هو الهجوم السيبراني ضد حزب الله بلبنان في سبتمبر ٢٠٢٤، إذ استهدفت تفجير أجهزة الاتصال اللاسلكي (البيجر) التي يستخدمها مقاتلو حزب الله[٤]، وقد أدت تلك العملية لقتل ما لا يقل عن ٣٧ وإصابة أكثر من ٣٠٠٠ شخص بينهم الكثير من المدنيين[٥]. وفي محاولة لاستغلال البعد الناعم في الفضاء السيبراني ضغطت إسرائيل على شركات التكنولوجيا الرائدة لتقييد وصول المحتوى الداعم للقضية الفلسطينية[٦].

أما بالنسبة للعمليات العسكرية التي نفذها محور المقاومة وحماس ضد إسرائيل، تعد عملية طوفان الأقصى نجاح سيبراني واستخباراتي لحركة حماس إذ قامت **حماس** بتعطيل عدد من أجهزة المراقبة دون أن يتم التعرف على هذا التعطيل في أول العملية مما مكنها من إتمام عملية الطوفان، نجحت حماس في تعطيل عمل القبة الحديدية لأكثر من خمس ساعات قبل إطلاق أول رشقة صاروخية من القطاع، وقامت أيضًا باستهداف أبراج الاتصالات وكابلات الانترنت والتشويش السيبراني على الرادارات وقطع الاتصال بين أنظمة المراقبة والدفاع وساعد ذلك على تقليل قدرة الاحتلال على رصد أنشطة المقاومة، أيضًا التأثير النفسي على سكان دولة الاحتلال من خلال اختراق تطبيقات صفارات الإنذار ووظيفتها إعلام المواطنين بوجود هجمات صاروخية[٧]، كذلك اختراق الخوادم والسيرفرات والوصول لمراكز تخزين البيانات، والقيام بهجمات الحرمان من الخدمة على العديد من المواقع الحكومية الإسرائيلية لعدة دقائق، وتعطيل محطة إسرائيل للطاقة الكهرومائية والعديد من المواقع الإلكترونية الإسرائيلية، وقد شارك في تلك العمليات مجموعة سايبر طوفان الأقصى ومجموعة الطوفان الإيرانية ومجموعة أنونيموس السودانية وغيرهم من المجموعات[٨]. الجدير بالذكر أن ملايين الشباب

---

(١) إسرائيل تطور "قبة سيبرانية" للتصدي للهجمات الإيرانية، INDEPENDEDNT عربية، ٣ مايو ٢٠٢٤م، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/atlSjh9D

(٢) دينا إيهاب محمود، قراءة في التطور التكنولوجي العسكري الإسرائيلي: استراتيجيات وآفاق، مركز شاف ، ٢٢ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/SRGSjRlA

(٣) خالد المطلق، الحرب السيبرانية الإسرائيلية على أذرع إيران، إيلاف، ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/DhzjOFEx

(٤) دينا إيهاب، مرجع سابق.

(٥) ارتفاع حصيلة تفجير الأجهزة اللاسلكية في لبنان، sky news عربية، ١٩ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/VhmQBkgW

(٦) خالد وليد محمود، التحدي السيبراني.. كيف تتسابق المقاومة وإسرائيل لصناعة الحقيقة؟، الجزيرة، ٢٠٢٤/٤/١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/eB6NhefR

(٧) Omar Yoachimik, Jorge Pacheco ، الهجمات السيبرانية في الحرب الدائرة بين إسرائيل وحماس، CLOUDFLARE، ٢٠٢٤/١٠/٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qb5Jr3Ge

(٨) خالد وليد، مرجع سابق.

العرب والمسلمين والداعمين للقضية الفلسطينية حول العالم قد نفذوا حوالي ثلاثة مليارات هجوم سيبراني بشكلٍ غير منظم ضد دولة الاحتلال منذ السابع من أكتوبر. وقد دعا أبو عبيدة الناطق العسكري باسم كتائب القسام إلى **"أكبر هجوم سيبراني ضد العدو"**[١].

٣- الهجوم الإسرائيلي على إيران واستهداف قوتها الصاروخية أكتوبر ٢٠٢٤:

في السادس والعشرين من أكتوبر ٢٠٢٤ وردًا على الهجوم الإيراني الثاني على إسرائيل، أعلنت إسرائيل تنفيذ ثلاث موجات من الضربات الجوية "المحددة والدقيقة" ضد مواقع عسكرية في إيران باستخدام ١٠٠ طائرة مقاتلة إسرائيلية. وأوضح الجيش الإسرائيلي أنه نفذ ضربات ضد عشرين هدفًا منها منشآت تصنيع الصواريخ الباليستية وصواريخ أرض جو، بالإضافة لمواقع عسكرية أخرى. وأعلنت إيران عن استهداف إسرائيل لمواقع عسكرية بطهران وخوزستان وعيلان، مشيرةً إلى أنها تصدت للهجوم وأنه أسفر عن أضرار محدودة كما أعلن الجيش الإيراني عن مقتل أربعة ضباط أثناء التصدي للضربات بالقذائف[٢].

خامسًا- الهجمات الإيرانية على دولة الاحتلال في ميزان نظرية الردع وعدم التصعيد

في الثالث عشر من أبريل عام ٢٠٢٤ شنت إيران عملية **الوعد الصادق** وهي أول هجوم مباشر لها على إسرائيل من خلال إطلاق ٣٠٠ طائرة مسيرة وصاروخ باليستي ومن نوع "كروز"، لم يصل الأراضي المحتلة سوى عدد قليل من الصواريخ الباليستية. وجاء هذا الهجوم ردًا على قصف السفارة الإيرانية بدمشق، والذي راح ضحيته عدد من قيادات الحرس الثوري الإيراني أبرزهم محمد رضا زاهدي مسئول الإمدادات لحزب الله. وقد صرح المتحدث باسم جيش الاحتلال أنه تم اعتراض ٩٩٪ من الصواريخ سواء خارج المجال الجوي الإسرائيلي، أو داخل المجال الجوي الإسرائيلي.

لم تسفر الضربة عن وقوع أي ضحايا أو أضرار كبيرة، واقتصر الأمر على أضرارٍ طفيفة بمنشأة نيفاتيم ومقر الموساد. لم تهدف إيران من الوعد الصادق إلى تحقيق ضربات فعلية وإلحاق الضرر بإسرائيل (حيث أعلنت عن الضربة قبل تنفيذها)، بل أرادت توصيل رسالة للحكومة الإسرائيلية مفادها أن إيران قادرة على استهداف الأراضي الفلسطينية المحتلة بشكلٍ مباشر إذا اتجهت إسرائيل لتصعيد المواجهة[٣].

وفي الأول من أكتوبر ٢٠٢٤، شنت إيران عملية **الوعد الصادق ٢** وهي الهجوم المباشر الثاني على إسرائيل بإطلاق ٢٠٠ صاروخ، وأكدت إيران أن العملية أصابت ٩٠٪ من الأهداف التي حددتها. وقد تم تنفيذ تلك العملية ردًا على عمليات اغتيال القادة التي قامت بها إسرائيل وعلى رأسها اغتيال إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس وحسن نصر الله الأمين العام لحزب الله ومعه عباس نيلفروشان نائب قائد الحرس الثوري الإيراني[٤].

اختلف الهجوم الإيراني الثاني عن الأول الذي افتقد لعنصر المباغتة والسرية. إذ شهدت الضربة الثانية اتساع نطاق الاستهدافات؛ حيث ضمت مناطق كبيرة من شمال وجنوب ووسط الأراضي المحتلة. وبخلاف الضربة الأولى التي سبق تنفيذها إعلان عنها، والتي لم تكن تهدف إيران من خلالها إلى

(١) بعد دعوة أبو عبيدة: اختراق سيبراني لعدة مواقع إسرائيلية، أثير، ٢٠٢٤/١٠/٨، متاح عبر الرابط التالي: https://www.atheer.om/2024/10/08/002536/

إسرائيل تعرضت لـ٣ مليارات هجوم سيبراني منذ حرب ٧ أكتوبر، الشرق الأوسط، ١٢ يوليو ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/loD4VdFu

(٢) توم بينيت، ما الذي نعرفه عن هجوم إسرائيل على إيران؟، BBC NEWS عربي، ٢٠٢٤/١٠/٢٦، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/VGJorIFw

(٣) ما الرسالة التي أرادت إيران إيصالها من خلال هجومها على إسرائيل؟، BBC NEWS عربي، ١٤ أبريل ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Fby4hk1v

(٤) طه خليفة، رسائل الوعد الصادق الإيراني، الجزيرة – مقالات، ٢٠٢٤/١٠/٢، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Y3igK8mZ

إلحاق ضرر حقيقي بإسرائيل، جاءت الضربة الثانية بشكل مفاجئ للقيام بضربات فعلية واستهداف مواقع معينة كالقواعد الجوية وإلحاق الضرر بإسرائيل. هدفت إيران من خلال الضربة الثانية إلى استعادة توازن الردع الذي اختل بشكل واضح لصالح إسرائيل نتيجة التصعيد الكبير في المواجهة مع محور المقاومة، وخاصةً المواجهة على الحدود اللبنانية الإسرائيلية مع حزب الله، فضلا عن عمليات الاغتيالات والهجمات السيبرانية الإسرائيلية، بالإضافة إلى إعلان إسرائيل عن بدء العملية البرية بجنوب لبنان.

لقد رأت إيران أن الردع قد اختل وأن إسرائيل قد تجاوزت الحدود بالدرجة التي تستلزم الرد لاستعادة توازن الردع مرة أخرى، وتأمين جبهات الاسناد واستراتيجية الدفاع الأمامي حيث رأت إيران أن الاستمرار في عدم الرد قد يمنح إسرائيل فرصة لتخطي الدفاع الأمامي عماد العقيدة العسكرية الإيرانية ونقل المعركة للمجال الحيوي لإيران، وهو ما يتعارض مع مبادئ الثورة الإيرانية وأيديولوجية المقاومة. وبالتالي، فإن تأخير الرد كان من الممكن أن يؤثر سلبًا على شرعية النظام السياسي والحالة المعنوية للإيرانيين حيث تعميق الشعور بالانهزام في الداخل[١].

في المقابل، أثرت عملية الوعد الصادق ٢ سلبًا على الحالة المعنوية للإسرائيليين وعلى مكاسب نتنياهو واليمين المتطرف من الاستهدافات والعمليات السابق الإشارة إليها، وهو ما ينذر بتعميق الأزمة الداخلية في إسرائيل. لذا ولتجنب ذلك، عمد نتنياهو وأعضاء حكومته في خطاباتهم إلى الترويج لفكرة أن العملية الإيرانية لم تكن فعالة، خاصة وأن إيران أعلنت أنها استهدفت قواعد جوية وبالتالي فإن العمليات الجوية ستكون بمثابة تأكيد لفكرة أن العملية الإيرانية لم تكن فعالة، إضافة إلى البدء الفعلي للعملية البرية جنوب لبنان في اليوم التالي للعملية.

يحاول نتنياهو توريط الولايات المتحدة في مواجهة مباشرة مع إيران من خلال رغبته في التصعيد الواسع والرد على إيران عبر استهداف المنشآت النووية ومنشآت الطاقة الإيرانية، وهو ما رفضته الإدارة الأمريكية[٢] حفاظًا على مصالحها بالمنطقة وأكدت على أن الرد يجب أن يكون متناسب[٣]، وهو ما حدث بالفعل حيث استهدفت إسرائيل ٢٠ موقعًا عسكريًا بإيران باستخدام ١٠٠ طائرة مقاتلة[٤].

يمكن القول إن الهجمات الإيرانية المباشرة على إسرائيل (تصعيد محدود منضبط) لا تتناقض مع استراتيجية وتوجه عدم التصعيد. إذ إن الهجمات الإيرانية كان هدفها استعادة توازن الردع، وهو المبدأ الحاكم لتوجه عدم التصعيد في لحظة اختل فيها الردع لصالح إسرائيل.

سادسًا- نتائج المواجهة: إسرائيل بين الخسائر المادية والمعنوية

تكبدت إسرائيل خسائر كبيرة في مواجهة إيران ومحور المقاومة، خاصةً جبهتي لبنان واليمن، خلال ما يزيد على عام منذ طوفان الأقصى، كما تكبدت جبهات الإسناد هي الأخرى الكثير من الخسائر.

١) خسائر ناجمة عن المواجهة المباشرة مع حزب الله: بدأ حزب الله مساندته لغزة في الثامن من أكتوبر ٢٠٢٣، اتسمت المواجهة بين إسرائيل وحزب الله في بادئ الأمر بالتصعيد المحدود واتسع نطاق المواجهة فيما بعد مما جعل المواجهة شبه

(١) مهاب عادل حسن، اتجاهات التصعيد الإسرائيلي ضد إيران، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، أكتوبر ٢٠٢٤، ص ٢، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/rELXKTd6

(٢) حسن أبو طالب، حروب "البينغ بونغ" بين إسرائيل وإيران.. مواجهات مفتوحة ومخاطر كبيرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، أكتوبر ٢٠٢٤، ص ٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/8jqULkqL

(٣) المرجع السابق.

(٤) أهداف عملية أيام الحساب الإسرائيلية في الرد على إيران، sky new عربية، ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/KtYU7tmH

مفتوحة برًا وجوًا. أصبحت منطقة الجليل شمال الأراضي المحتلة مهددة أمنيًا، وهو ما دفع سلطات الاحتلال لإخلاء ٢٨ مستوطنة في الشمال ونقل أكثر من ٦٠٠٠٠ إسرائيلي للداخل، وقد استهدف حزب الله المواقع العسكرية والاستخباراتية في الجليل كاستهداف مقر الاستخبارات الإسرائيلية الرئيسي بشمال دولة الاحتلال في صفد واستهداف مقر لواء غولاني. وقد عبرت الحرب الطويلة مع حزب الله عن تصدع في العقيدة القتالية الإسرائيلية المعتمدة على مبدأ الحروب الخاطفة وتحقيق أهداف سريعة بالاعتماد على التفوق التقني والاستخباراتي. كما فشلت استراتيجية الدفاع السلبي في الشمال القائمة على ثلاثية الردع المعتمدة على التفوق الجوي، والسيطرة الاستخباراتية، وقدرة سكان الشمال على التكيف مع الضغوط المعنوية والاقتصادية للهجمات، وقد تعرضت الأسس الثلاثة لتحديات مباشرة جراء استهدافات حزب الله. وخلال شهر منذ بدء إسرائيل العملية البرية في جنوب لبنان، أعلنت إسرائيل عن مقتل ٧٥ وإصابة ٧٥٠ جنديًا وضابطًا إسرائيليًا، وعن مقتل ٤٥ من سكان الشمال والجولان السوري المحتل[١]، وعن تدمير حزب الله ٣٨ دبابة ميركافا وإسقاط ٤ مسيرات عالية التقنية[٢].

أما بالنسبة للخسائر الاقتصادية، انخفض الناتج المحلي الإجمالي الإسرائيلي إلى ٨٪ وارتفع التضخم إلى ٣,٥٪[٣]. لقد كلف توسيع الحرب ضد حزب الله في الشهرين الماضيين إسرائيل ٩ مليار دولار، كما أن استهدافات حزب الله لحيفا والمناطق المحيطة بها -وهي مركز تجاري وبها منشآت الطاقة- يكلف إسرائيل ١٥٠ مليون دولار يوميًا. ومن المتوقع زيادة نفقات الحرب الإسرائيلية بقيمة ١١١ مليار شيكل مع استمرار المواجهة مع حزب الله.

كما بلغت خسائر قطاع السياحة في الشمال ٣,٥ مليار دولار. وكلف إخلاء سكان مستوطنات الجليل ٦١٣ مليون دولار مع تخصيص ١,٧ مليار دولار لاستكمال عمليات إخلاء مستوطنات الشمال، كما أن التعويضات عن المنازل المتضررة جراء استهدافات حزب الله كلف إسرائيل ٤ مليار دولار، وقد كلف توقف ٥٧٦٠٠ شخص من مستوطنات الشمال عن العمل كلف إسرائيل ٦٣,٢ مليون دولار أسبوعيًا. وكلف إسرائيل أيضًا تعطل القطاع الزراعي في الشمال ٥٠٠ مليون دولار وتضررت محاصيل زراعية بقيمة ٥,٤ مليون دولار كما تم إغلاق ٢٤ مرعى حيواني[٤].

على الجانب الآخر تكبد حزب الله خسائر كبيرة، إذ تقول إسرائيل أنها تمكنت من تدمير ثلثي القدرات الصاروخية لحزب الله. وعلى الرغم من أن ذلك قد يكون مبالغة للتأثير على الحالة المعنوية لجبهات الإسناد، إلا أنها أصابت جزءًا مؤثرًا من قدرات حزب الله الجوية، فضلا عما تكررت الإشارة إليه من اغتيالات وهجمات سيبرانية. ومنذ طوفان الأقصى وحتى سبتمبر ٢٠٢٤، أعلن حزب الله عن مقتل ٥٠٠ من مجاهديه ولكنه توقف عن الإعلان عن شهدائه، في حين قالت بعض المؤسسات الإعلامية الإسرائيلية أن عدد قتلى حزب الله يتراوح بين ٢٥٠٠ و٣٠٠٠[٥].

وقد أدت عمليات الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان إلى نزوح حوالي ٨٨٦٠٠٠ من سكان الجنوب وهجرة ٥٤٠٠٠٠ شخص إلى سوريا، كما أعلنت وزارة الصحة اللبنانية في نوفمبر ٢٠٢٤ عن استشهاد ٣٧٦٨ شخصًا وإصابة ١٥٦٩٩ آخرين منذ الثامن من أكتوبر ٢٠٢٣. ولقد تكبدت لبنان خسائر اقتصادية كبيرة، فوفقًا للبنك الدولي بلغت الخسائر بلبنان ٨,٥ مليار دولار[٦].

(١) مقارنة بين خسائر حزب الله وإسرائيل.. مدنية وعسكرية خلال حرب الشهرين، العربية، ٢٠٢٤/١١/٢٨، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/oCAXOsl4

(٢) عبد الوهاب المرسي، خسائر إسرائيل في جبهة لبنان.. من يصرخ أولًا، ٢٠٢٤/١١/٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/wq68MNDi

(٣) حقائق حول الخسائر البشرية والمادية في لبنان وإسرائيل، الجزيرة، ٢٠٢٤/١١/٢٦، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/NkzxmLIy

(٤) عبد الوهاب المرسي، مرجع سابق.

(٥) حقائق حول الخسائر البشرية والمادية في لبنان وإسرائيل، مرجع سابق.

(٦) المرجع السابق.

٢) خسائر المواجهة مع الحوثيين: استهدف الحوثيون حوالي ١٩٩ سفينة مرتبطة بإسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا منذ نوفمبر ٢٠٢٣ وحتى أكتوبر ٢٠٢٤، وقد أوقفت تلك الهجمات التجارة المتجهة نحو إسرائيل عبر البحر الأحمر. وقد دفعت تلك العمليات الكثير من شركات الشحن في العالم إلى تغيير طرق إبحارها واللجوء لطرق أطول، وهو ما أدى لرفع أسعار الشحن بين أوروبا وآسيا بنسب وصلت إلى ١٧٣٪. وقد أعلن الرئيس التنفيذي لميناء إيلات المنفذ الوحيد لإسرائيل على البحر الأحمر أن عمليات اليمن كبدت الميناء ١٤ مليون دولار قابلة للزيادة، وأنه تم إغلاق الميناء في نوفمبر ٢٠٢٣ ونقلت نشاطاته إلى ميناءي أسدود وحيفا وسُرح عماله[١].

وفي سياقٍ مضطرب كهذا تأثر قطاع الشركات الناشئة في إسرائيل، حيث تشير الإحصاءات إلى أن ٤٤٪ من الشركات الناشئة غادرت إسرائيل. وفي البورصة، انخفض كلًا من مؤشر TA-125 وهو مؤشر يشمل أكبر ١٢٥ شركة بالبورصة الإسرائيلية، ومؤشر TA-35 وهو مؤشر يضم أكبر ٣٥ شركة من حيث القيمة التسويقية في البورصة بعد هجمات الحوثيين بنسبة ١,١٪ وهو ما يؤكد على تراجع أداء الشركات الكبرى في إسرائيل.

كما تراجع مؤشر تل أبيب لأكبر خمس بنوك بنسبة ١,٣٪، وتراجع أيضًا مؤشر TA-Construction الذي يقيس أداء الشركات العاملة في مجال البناء والإنشاءات بنسبة ١,٦٪، إضافة إلى ذلك انخفض مؤشر TA-Biomed والذي يعبر عن أداء شركات التكنولوجيا بنسبة ٢٪، ويشير تراجع تلك المؤشرات على تأثر الشركات الإسرائيلية بهجمات الحوثيين وحالة عدم الاستقرار السياسي.

الجدير بالذكر أن هجمات الحوثي وجهات الإسناد الأخرى وعملية السابع من أكتوبر سببت عجزًا ماليًا كبير في إسرائيل، حيث وصل العجز المالي في يونيو ٢٠٢٤ إلى ٧,٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي خلال السنة الماضية وهو ما يعادل ٣٩,٨ مليار دولار. ومنذ بداية ٢٠٢٤، وصل العجز المالي ١٧ مليار دولار. وبالنسبة للإنفاق الحكومي، فإنه ارتفع منذ بداية ٢٠٢٤ بنسبة ٣٤,٢٪ مقارنةً ببداية ٢٠٢٣[٢].

أما بالنسبة لخسائر الحوثيين، منذ الثاني عشر من يناير ٢٠٢٤ نجحت الولايات المتحدة وإسرائيل والتحالف الدولي في صد بعض هجمات الحوثيين واستهداف عدد من المواقع التابعة لهم وكذلك عدد من المعدات العسكرية والطائرات والصواريخ؛ وذلك لتقليل قدرتهم على المواصلة في استهداف السفن بالبحر الأحمر وخليج عدن، كما قامت الولايات المتحدة بتصنيف الحوثيين كجماعة إرهابية[٣]. ووفقًا لما أعلنه الحوثيون، تم استهداف مبنى الإذاعة بمديرية الحوك بمحافظة الحديدة، ومطار صنعاء الدولي، وشبكة الاتصالات بمحافظة تعز ومحطتي رأس كتنيب والحالي، وخزانات النفط في ميناء عيسى، وكذلك ميناء الحديدة الذي بلغت خسائره ٢٠ مليون دولار بالإضافة لتدمير بعض معداته[٤] وقد توقف العمل بالميناء على إثر ذلك فترة محدودة[٥]. وقد استشهد جراء تلك العمليات ١٦ مدني وأصيب ٥٥ آخرون[٦].

(١) جهات إسناد المقاومة في غزة.. عمق التأثير والسيناريوهات المحتملة، المركز الفلسطيني للإعلام، ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/6gZQRAXu

(٢) محمود يوسف، إسرائيل.. ما القطاعات الاقتصادية الأكثر تضررًا من مواجهة الحوثيين؟، الجزيرة، ٢٠٢٤/٧/٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/KyOxmxXS

(٣) محمد محمود السيد، حدود الاستفادة الإسرائيلية من الضربات الأمريكية ضد الحوثيين، مركز المستقبل، ٢٢ يناير ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ZGM8EDVZ

(٤)تفاصيل الضربات الأمريكية والبريطانية ضد أهداف للحوثيين، CNN بالعربية، ٢٠٢٤/٥/٣١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/6uo2leGJ

(٥) ٢٠ مليون دولار خسائر قصف إسرائيل لميناء الحديدة، الجزيرة، ٢٠٢٤/٧/٢٩، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Y1h6Z7bE

(٦) إسرائيل والحوثيون: هل بلغ الصدام مرحلة الانفجار؟، BBC NEWS عربي، ٢٠٢٤/١٠/٢، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/tb7m4nrN

٣) **خسائر معنوية ناتجة عن استهداف السمعة "الدولة التي لا تقهر":** لقد أسقط طوفان الأقصى وجبهات إسناد غزة نظرية الأمن الإسرائيلي القائمة على الردع ومبدأ القتال في أرض العدو والمعارك الخاطفة والاستباقية، حيث أكدت عملية السابع من أكتوبر وضربات إيران وهجمات جبهات إسناد لبنان والعراق واليمن في قلب الأراضي الفلسطينية المحتلة والعديد من المناطق الأخرى على أن إسرائيل غير آمنة وقابلة للاختراق[١].

وقد أثبت ذلك سقوط أسطورة القبة الحديدية وكشف مواطن الضعف فيها، والمتمثلة في أنها تفشل في التعامل مع الاستهدافات المتتالية والمتتابعة والهجمات ذات العدد الكبير من الصواريخ في المرة الواحدة، كما أن تكلفة الصواريخ التي تستخدمها القبة الحديدية -والتي يصل بعضها لمليون دولار- أكبر من تكلفة الصواريخ التي تعتمد عليها إيران والمقاومة الفلسطينية وجبهات الإسناد في هجماتها، الأمر الذي يمنحهم فرصة القيام بهجمات بأعداد تتخطى قدرة القبة الحديدية على التصدي لها[٢]. وقد كشف طوفان الأقصى أيضًا عن فشل استخباراتي إسرائيلي، حيث استطاعت المقاومة الفلسطينية تنفيذ أكبر عملية توغل واجتياح داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ إنشاء دولة الاحتلال دون اكتشاف الهجوم في البداية وأدى ذلك لانهيار أسطورة الدولة التي لا تقهر.

على جانب آخر، لقد أدت عملية طوفان الأقصى إلى هجرة نصف مليون إسرائيلي حتى يونيو ٢٠٢٤، كما انخفضت أعداد المهاجرين إلى دولة الاحتلال الإسرائيلي بنسبة ٧٠٪ في نوفمبر ٢٠٢٣ حيث هاجر فقط ٢٠٠٠ شخص إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة[٣]، نتيجة سقوط نظرية الأمن الإسرائيلي وفكرة أنها "الملاذ الآمن لليهود حول العالم".

كما مثل طوفان الأقصى وما تقوم به جبهات المقاومة ضربة لمحاولات التطبيع الإسرائيلي مع الحكومات العربية، إذ تم إسقاط نظرية الأمن الإسرائيلي وصورتها باعتبارها قادرة على حسم الصراعات بشكل استباقي واهتزت ثقة الأنظمة العربية في التحالف معها وبالتالي **تعطل مبدأ التطبيع مقابل السلام وقدرته على تسوية الصراع العربي الإسرائيلي**، وهو أمر يصب في صالح إيران[٤].

بشكلٍ عام، على الرغم من الخسائر الاقتصادية والعسكرية التي تتعرض لها إيران وجبهات الإسناد الموالية لها في المنطقة، إلا أن طوفان الأقصى **عزز نفوذ إيران في المنطقة من خلال الجماعات التي تدعمها وتمولها ماليًا وعسكريًا. كما عرقل طوفان الأقصى عمليات التطبيع** التي اعتبرتها إيران تهديدًا لمشروعها الإقليمي، وتوسيعًا للنفوذ الأمريكي والإسرائيلي في الدول العربية. **وكذلك تضرر مخطط "الشرق الأوسط الجديد" الإسرائيلي والأمريكي**، الذي يعمل على شيطنة إيران والترويج لفكرة أنها العدو الأول للدول العربية وليس دولة الاحتلال الإسرائيلي، ويهدف ذلك المخطط لإنشاء حلف عسكري عربي إسرائيلي لمواجهة إيران[٥]. كما نجحت إيران في **كسب الرأي العام العربي والإسلامي** بتأييدها ومساندتها لغزة، وتمويلها لجبهات الإسناد. **وأخيرًا، أوصلت إيران رسالة للقوى الدولية مفادها إن أي محاولة لتشكيل نظام وهيكل أمني جديد في الشرق الأوسط يجب أن يضع مصالح إيران وشركائها بعين الاعتبار**[٦].

---

(١) محسن صالح: طوفان الأقصى أسقط أوهام إسرائيل وفضح الغرب وألهم الأمة، حوار خاص للمركز الفلسطيني للإعلام مع الدكتور محسن صالح، المركز الفلسطيني للإعلام، ٢٠٢٤/٤/٢٢، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/gaaGyjEs

(٢) أحمد حسن إسماعيل، هل أثبتت القبة الحديدية الإسرائيلية فعاليتها تقنيًا؟، الجزيرة، ٢٠٢٤/١٠/٦، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qRkziDuS

(٣) الفرار من الأرض المقدسة.. نصف مليون يتركون إسرائيل بسبب الطوفان، الجزيرة، ٢٠٢٤/٨/١١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/b8kRtZHq

(٤) محسن صالح: طوفان الأقصى أسقط أوهام إسرائيل وفضح الغرب وألهم الأمة، مرجع سابق.

(٥) شيماء عبد الحميد، مكاسب إيرانية عدة من عملية طوفان الأقصى.. فهل تغامر طهران بالتدخل في الصراع؟، مركز شاف، ٢١ أكتوبر ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/1i2LN0ga

(٦) تداعيات حرب غزة على نفوذ إيران الإقليمي، مرجع سابق، ص ٣.

خاتمة:

تعتمد إيران على التصعيد المحدود والمنضبط في صراعها مع إسرائيل بالاعتماد على جبهات الإسناد في مناطق نفوذها الإقليمي، وهو ما لا يتعارض مع توجه إيران في عدم تصعيد المواجهة لحرب عسكرية شاملة. ولقد جاءت الضربة الثانية لإيران على إسرائيل في أكتوبر ٢٠٢٤ لتؤكد على قدرة إيران على الوصول لعمق الأراضي الفلسطينية المحتلة، وعلى مصداقية قاعدة الردع التي أرستها الضربة الأولى لإيران على إسرائيل في أبريل ٢٠٢٤، **والمتمثلة في الرد المباشر في حال تخطت إسرائيل قواعد الدفاع الأمامي والردع المتبادل بينهما**[١]. وقد أكد ذلك تصريحات الحرس الثوري والرئيس الإيراني؛ إذ شددوا على أن رد إيران سيكون أقسى إذا قامت إسرائيل بالرد على الهجوم الصاروخي الإيراني.

وتلعب الولايات المتحدة دورًا محوريًا في موازنة الردع وعدم تصعيد الأوضاع لحربٍ شاملة؛ فهي لا ترغب في التورط في حرب مع إيران على الرغم من رغبة نتنياهو في ذلك لاستعادة نفوذه ومكانته السياسية داخليًا. وقد ظهر الدور الأمريكي لعدم التصعيد بشكلٍ واضح بعد الهجوم الإيراني الثاني، فعلى الرغم من تأكيد الولايات المتحدة على حق إسرائيل في الرد إلا أنها **رفضت رغبة نتنياهو في استهداف المنشآت النووية الإيرانية لأن ذلك من شأنه أن يؤدي لحرب شاملة في المنطقة**، وهو ما يُهدد مصالح الولايات المتحدة فيها. وبالفعل لم يستهدف الهجوم الإسرائيلي على إيران المنشآت النووية، وإنما استهدف مواقع عسكرية بإيران. وقد أعلن البيت الأبيض بعد الهجوم أن الرد الإسرائيلي انتهى وطالب إيران بعدم الرد، كما أكد على أن الولايات المتحدة مستعدة للدفاع عن إسرائيل في حال استهدفتها إيران مرةً أخرى. وبالتالي، يمكن القول إن مستقبل المواجهة بين البلدين مرتبط بسلوك إسرائيل -الذي تحدد الولايات المتحدة مدى قبوله- ومدى التزامها بقواعد الردع مع إيران، وعدم انتهاك سيادتها كما حدث في استهداف السفارة الإيرانية بدمشق واغتيال هنية بطهران.

(١) مهاب عادل حسن، مرجع سابق، ص ٤.

الموقف الإقليمي العربي في خضم التصعيد والتهدئة بين إسرائيل وحزب الله

عبد الرحمن عادل*

مقدمة:

ينظر هذا التقرير في "الموقف العربي" في خضم التطورات الأخيرة التي شهدتها المعركة في لبنان على إثر اندلاع معركة طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣. وذلك بالتركيز على التطورات التي شهدتها المعركة المحدودة التي نشبت بين إسرائيل وحزب الله بعد أن تدخل الأخير كجبهة إسناد للمقاومة في غزة. وقد شهدت المعركة بين الطرفين -الحزب وإسرائيل- تصعيدًا شديدًا بلغ اغتيال إسرائيل لقادة الحزب بمن فيهم أمينه العام حسن نصر الله، ومن ناحية الحزب بلغ التصعيد ضرب العمق الإسرائيلي وتل أبيب بصواريخ ومسيرات موجَّهة وصلتْ حَدَّ استهداف منزل رئيس الوزراء الإسرائيلي في قيساريا. غير أن هذا التصعيد ما لبث أن خفت فجأة بتوصُّل الطرفين لاتفاق وقف إطلاق نار انسحب على إثره الحزب من المعركة الأساسية ودوره فيها كجبهة إسناد للمقاومة الفلسطينية.

في هذا الإطار نتساءل في هذا التقرير عن الموقف العربي في خضم هذه التحولات والتطورات التي تُبرز أدوار فاعلين دوليين وإقليميين يهيمنون على المشهد الإقليمي ويحدِّدون سيرورته ويشكِّلون تطوراته ويلعبون أدوارًا في هذه القضية (القضية الفلسطينية) التي هي في الأصل قضية العرب ومشكلتهم منذ ظهور ما عُرف بالنظام الإقليمي العربي بعد الحرب العالمية الثانية. وإن كان المشهد الحالي قد قدَّم للدول العربية فرصة تاريخية لاستعادة دورها الإقليمي ومكانتها في المنطقة، فإن ما نصفه بسياسات العمى وفقدان البصيرة، دفعت بالموقف العربي إلى الغياب التام. ومن ثم نتساءل ما هي مآلات هذا الصمت الذي ضيَّع غزة وسمح لإسرائيل بإبادة جماعية راح ضحيتها حتى لحظة كتابة هذه الكلمات قرابة ٤٥ ألف شهيد مع تدميرٍ كاملٍ للقطاع وكلِّ مقوِّمات الحياة فيه.

أولًا- المشهد اللبناني: التصعيد والتهدئة بين إسرائيل وحزب الله

منذ أعلن حزب الله عن فتح جبهة "إسناد" لغزة في اليوم التالي لعملية طوفان الأقصى التي شنَّتها حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ضد فرقة غزة ومواقع أخرى لجيش الاحتلال الاسرائيلي ومستوطنات غلاف غزة في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، التزمت كل من إسرائيل وحزب الله بقواعد اشتباك محددة؛ إذ تبادلا القصف على جانبي الحدود بعمق يتراوح بين ٥-١٠ كيلومترات، علمًا بأن هذا المستوى من الاشتباك أدَّى إلى نزوح أكثر من ٦٠ ألف مستوطن إسرائيلي ونحو ١١٠ آلاف مواطن لبناني على جانبي الحدود. كما أن إسرائيل سَوَّتْ قرى حدودية لبنانية كاملة بالأرض، واستهدفت بالاغتيال عددًا كبيرًا من عناصر وقادة حزب الله الميدانيِّين على مدى شهور من المواجهة، في محاولة منها لدفع الحزب إلى وقف إسناد غزة، وفك الارتباط بها. وظلَّت قواعد الاشتباك هذه قائمة بين الطرفين باستثناءات قليلة؛ منها اغتيال إسرائيل نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، صالح العاروري، في الضاحية الجنوبية لبيروت في يناير ٢٠٢٤. وكانت إسرائيل خلال تلك الفترة تتوجَّس من فتح جبهة واسعة ثانية مع لبنان، إلى جانب غزة، في الوقت الذي كانت تحتفظ فيه بجزء كبير من قواتها في الضفة الغربية المهدَّدة بالاشتعال (ما لا يقل عن ثلاث فرق عسكرية)[١].

بدأ هذا الوضع يتغيَّر في شهر يوليو الماضي؛ إذ استغلَّت إسرائيل سقوط صاروخ على مدرسة في قرية مجدل شمس في

---

* مدرس مساعد بقسم العلوم السياسية -كلية التجارة - جامعة حلوان.

(١) تقدير موقف، العدوان الإسرائيلي على لبنان بعد استهداف مقر القيادة المركزية لحزب الله واغتيال أمينه العام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/MYLu7jdY

الجولان السوري المحتل، تسبَّب في مقتل عشرة أطفال -وقد نفى حزب الله بشدَّة مسؤوليَّته عنه- لتغيير قواعد الاشتباك، وتغيير معادلة القوى الإقليمية على نحو جذري. كان هذا القرار مُتَّخَذًا بغض النظر عن المبرِّر اللحظي. وعليه استهدفت إسرائيل في أواخر الشهر نفسه القائد العسكري لحزب الله، فؤاد شكر في الضاحية الجنوبية، لتبدأ بعدها سلسلة اغتيالات شملت كبار قادة الحزب وأكثر أعضاء مجلسه الجهادي. واغتالت أيضًا رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، أثناء حضوره مراسم تنصيب الرئيس الإيراني المنتخب، مسعود بزشكيان، في طهران في يوليو المنصرم، كما أحبطت ما ادَّعت أنه تجهيز لردِّ حزب الله على اغتيال شكر بقصف واسع لمنصَّات إطلاق الصواريخ في الجنوب. ثم أطلقتْ إسرائيل يوم ٢٣ سبتمبر ما أسمتْه عملية "سهام الشمال"، وهي أعنف حملة قصف جوي يشهدها لبنان منذ حرب ٢٠٠٦، وشملت مختلف المناطق اللبنانية من الجنوب وصولًا إلى المعابر الحدودية مع سورية في الشمال. وجاءت ذروة التصعيد الإسرائيلي في ٢٧ من الشهر نفسه باستهداف مقر القيادة المركزية لحزب الله، والذي أدَّى إلى اغتيال أمينه العام، حسن نصر الله، وقادة عسكريين آخرين، لتبدأ بعدها عملية قصف واسع النطاق شملت الضاحية الجنوبية ومناطق أخرى على امتداد لبنان[١].

ثم شهد هذا التصعيد مرحلته الأخيرة بعملية اجتياح بري محدودة تمَّت على مرحلتين في جنوب لبنان، وأسْفر هذا العدوان على لبنان إجمالا عن نحو ٣ آلاف و٢٨٧ قتيلًا و١٤ ألفا و٢٢٢ جريحًا، بينهم عدد كبير من الأطفال والنساء، فضلًا عن نحو مليون و٤٠٠ ألف نازح. في المقابل كان الحزب يرد بإطلاق صواريخ وطائرات مسيرة وقذائف مدفعية تستهدف مواقع عسكرية ومقار استخبارية وتجمُّعات لعسكريين ومستوطنات، وبينما كانت إسرائيل تعلن جانبًا من خسائرها البشرية والمادية، كانت الرقابة العسكرية تفرض تعتيمًا صارمًا على معظم الخسائر. وقد وصلت ذروة تصعيد الحزب ضد إسرائيل في استهدافه لقاعدة لواء جولاني جنوب حيفا، ثم استهداف منزل نتنياهو بقيسارية بطائرة مسيرة[٢].

غير أن هذا التصعيد ما لبث أن توقَّف فجأة عقب توصُّل الطرفين إلى اتفاق لوقف إطلاق النار. وتم الاتفاق المذكور بوساطة أمريكية قدَّمت فيها الولايات المتحدة مقترحًا ينصُّ على إنهاء الأعمال القتالية التي استمرَّت لأكثر من عام. وأعلن الرئيس الأميركي جو بايدن عن الاتفاق قائلا: إنه يهدف إلى وقف العمليات القتالية بشكل دائم. كما وافق عليه مجلس الوزراء الأمني الإسرائيلي وكذا قيادة حزب الله، ورحَّبت به حكومة تصريف الأعمال اللبنانية برئاسة نجيب ميقاتي. ويتألَّف الاتفاق من ٥ صفحات تشتمل على ١٣ قسمًا، وتلخَّصت أهم بنوده فيما يلي[٣]:

أولا- وقف الأعمال القتالية:

١- بدء وقف الأعمال القتالية صباح الأربعاء ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤.

٢- تتوقَّف إسرائيل عن تنفيذ أي عمليات عسكرية ضد الأراضي اللبنانية، بما في ذلك استهداف المواقع المدنية والعسكرية، ومؤسسات الدولة اللبنانية، برًّا وبحرًا وجوًّا.

٣- تُوقف كل الجماعات المسلحة في لبنان (أي حزب الله وحلفاؤه) عملياتها ضد إسرائيل.

ثانيًا- انسحاب القوات:

٤- ينسحب الجيش الإسرائيلي تدريجيًّا من جنوب لبنان، ويكمل انسحابه في أجل لا يتعدَّى ٦٠ يومًا.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الجيش الإسرائيلي يبدأ المرحلة الثانية من عمليته البرية في لبنان، الجزيرة نت، ١٢ نوفمبر ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/AehMZ4Iy. وانظر: حزب الله يعلن مسؤوليته عن عملية قيساريا واستهداف منزل نتنياهو، الجزيرة نت، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/OcC8Ky0O.

(٣) تفاصيل اتفاق وقف القتال بين إسرائيل وحزب الله بعد حرب ٢٠٢٤، الجزيرة نت، ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٤، ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/tCH1Aq0G.

٥- بدء عودة المدنيين النازحين من الجانبين إلى ديارهم.

٦- كما تضمَّن الاتفاق نصوصًا تحفظ حق لبنان وإسرائيل في الدفاع عن النفس.

٧- ينسحب حزب الله إلى شمال نهر الليطاني، الذي يبعد نحو ٣٠ كيلومترًا شمالي الحدود مع إسرائيل.

٨- ينشر الجيش اللبناني قواته في جنوب الليطاني (نحو ١٠ آلاف جندي) بما يشمل ٣٣ موقعًا على الحدود مع إسرائيل.

ويضاف إلى ما سبق عدة نقاط أخرى:

- يقدم الجيشان الأمريكي والفرنسي دعمًا عسكريًّا للجيش اللبناني.
- اعتراف إسرائيل ولبنان بأهمية القرار ١٧٠١ والتشديد على أن الالتزامات التي ينصُّ عليها لا تنفي حقَّ الطرفين في الدفاع عن النفس بما يتفق مع القانون الدولي.
- تفكيك كل المنشآت العسكرية غير المرخَّصة والمعنيَّة بصناعة السلاح في لبنان، ومصادرة جميع الأسلحة غير المرخصة بدءًا من منطقة جنوب الليطاني.
- بدء الولايات المتحدة إجراء مفاوضات غير مباشرة بين لبنان وإسرائيل تشرف عليها الولايات المتحدة بالشراكة مع الأمم المتحدة، بهدف حل النقاط المتنازع عليها المتبقية على طول الخط الأزرق بما يتماشى مع القرار ١٧٠١.
- تعتزم الولايات المتحدة وفرنسا قيادة الجهود الدولية لدعم بناء القدرات والتنمية الاقتصادية في جميع أنحاء لبنان لتعزيز الاستقرار والازدهار في المنطقة.
- وأخيرًا تُشرف على مراقبة تنفيذ الاتفاق آلية ثلاثية قوامها؛ قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل) والجيش اللبناني والجيش الإسرائيلي، وسيجري توسيعها لتشمل الولايات المتحدة وفرنسا، وسترأس واشنطن هذه المجموعة. كما يتمُّ الإبلاغ عن أي انتهاكات محتملة لآلية المراقبة، وستحدد فرنسا والولايات المتحدة معًا ما إذا كان قد حدث انتهاك.

إن النتيجة الأهم والأبرز على المستوى الإقليمي لهذه الاتفاقية هى نجاح إسرائيل في تفكيك جبهة إسناد غزة وتضييق الخناق على المقاومة فيها وعزلها عن ظهيرها الإقليمي. وحينما يضاف إلى ذلك نجاح الجيش الإسرائيلي في إحكام سيطرته على القطاع من خلال استراتيجية السيطرة على المحاور، بما يعني أن تتمركز القوات الإسرائيلية في المحاور الأساسية الفاصلة بين مناطق قطاع غزة بما يسمح بالسيطرة الأمنية والعسكرية على القطاع، وتشكيل معاقل إسرائيلية داخله. تشمل هذه المحاور محور نتساريم الفاصل بين مدينة غزة ومحافظة الوسط (دير البلح والمخيَّمات)، ومحور كيسوفيم الفاصل بين محافظة الوسط وخان يونس، ومحور غوش قطيف الفاصل بين خان يونس ورفح، وأخيرًا محور صلاح الدين «فيلادلفيا» الحدودي[١]. فإن ذلك يعني أن المعركة تكاد تكون حُسمت لصالح إسرائيل، ومع وصول ترامب للبيت الأبيض فإن دور إسرائيل الإقليمي بل حتى شكل المنطقة كلها سيأخذ في التشكل وفق نتائج هذه المعركة. وهنا مرة أخرى نتساءل عن الدور أو الوجود العربي في مهب هذه التحولات والتطورات؟

ثانيًا- المشهد العربي: سياسات العمى وفقدان البصيرة

تتجلى ظاهرة العَمَى في إنتاج الفاعلين السياسيين لخطابات أو سياسات عَمياء قد تتسم إما بالانحياز أو الأنانية أو الإنكار أو الإقصاء أو التهميش للآخر أو عدم القدرة على التفكير في عواقب سياسات الحاضر على المستقبل. ويمكن استكشاف نماذج من تلك السياسات على النحو الآتي[٢]:

١- سياسة الانحياز: عند التعامل مع أزمة أو قضية ما، بفعل وجود موقف أو حكم مسبق له.

(١) ساري عرابي ومحمود هدهود، ما وراء جباليا..الاستراتيجية الاستطلاعية لإسرائيل من غزة إلى بيروت، مدى مصر، ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط: https://2u.pw/2gzYcqti.

(٢) المصدر السابق.

٢- سياسات الأنانية: أي ينزع الفاعل السياسي إلى تفضيل مصالحه أو الاستعلاء أو عدم التفكير فيما قد يصيب الآخرين من أضرار جراء سلوكياته. ترد هنا الأنانية كمعنى مضاد للإيثار الذي يتضَّمن مشاعر وقيمًا وسلوكيات تحمل نوعًا من التعاطف والتضامن والدعم والمنافع للآخرين.

٣- سياسات الإنكار: أي رفض الفاعلين السياسيين الاعتراف بالحقائق أو عدم الإقرار بفشل سياسة ما أو تجاهل مطالب وحقوق أطراف سياسية ورفض استيعابها. تربط بعض الدراسات حالة الإنكار السياسي كأحد مظاهر العَمَى السياسي بمأزق سوء الإدراك الذي ينشأ لدى أولئك الفاعلين، بمعنى وجود فجوة بين تصوراتهم والواقع أو انحراف عن النموذج العقلاني في التعامل مع المعلومات قد يقود القادة أو النخب أو المؤسسات إلى إدراك مشوَّه أو متأخِّر للواقع.

يمكن تلمُّس هذه السياسات جميعها في مواقف الدول العربية من العدوان على غزة ثم التصعيد الإسرائيلي على لبنان، إلا أن هذا العمى وسياساته ليس وليد اللحظة الراهنة "لحظة الطوفان" وإنما هو ناتج سيرورة مرَّت بعدَّة مراحل وتحولات، يمكن إجمالها فيما يلي[١]:

١- تحول الصراع العربي-الإسرائيلي، إلى ما يُسَمَّى الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، إلى الصراع الإسرائيلي مع حماس، بعد أن دخلت دول عربية في سلام وتطبيع مع إسرائيل.

٢- تحوَّلت إدارة الصراع من الخيار العسكري الرسمي إلى الخيار العسكري لدى فصائل مقاومة متنوِّعة، إلى خيار المقاومة المسلَّحة في غزة (حماس والجهاد والجبهة الشعبية).

٣- ثم تحولت الأداة الدبلوماسية للحل السياسي من التعدد (مؤتمر مدريد) إلى الثنائية (الأردن، منظمة التحرير، الإمارات، البحرين، المغرب،..).

٤- كما تحوَّلت الأداة الاقتصادية من الحظر البترولي الجزئي (١٩٥١ - تفجير خطوط أنابيب) إلى الحظر الكلي (١٩٧٣)، إلى مشروعات التعاون المصري والخليجي مع إسرائيل في مجال الطاقة وغيرها.

٥- كما تحول السلام من نمط بارد (مصر منذ ١٩٧٨) إلى سلام دافئ (مصر منذ ٢٠١٤) إلى سلام ساخن (الخليج منذ ٢٠١٩)، مع اندماج متزايد في روابط الاندماج في النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي؛ إما في شكل قروض ومعونات وتبعية كبيرة للخارج (مصر والأردن)، وإما في شكل استثمارات في الخارج ومشروعات مشاركة رأسمالية عالمية في ظل اعتماد كبير مع الخارج (الخليج).

أي إنه يمكن القول بانتهاء الخيار العسكري مع إسرائيل إلا لدى حماس وحركة الجهاد وبعض الفصائل الأصغر، وفشل الحل السياسي السلمي من أجل "الدولتين" وفق أوسلو ١٩٩٣، في نفس الوقت الذي فقدت فيه القضية الفلسطينية مركزيَّتها باعتبارها الصراع الأساسي في المنطقة؛ حيث كانت إسرائيل هي العدو الأول الواضح الجلي الذي لا اختلاف عليه، وأضحت القضية واحدةً من عدَّة صراعات إقليمية وعبر إقليمية، بل وداخلية حادَّة، حيث قفزت مصادر الصراعات القومية والمذهبية والدينية -بل والأيديولوجية- بين الدول وداخل كلٍّ منها، كما صعد إلى الصدارة عدوٌّ جديدٌ هو ما تُسَمِّيه الأنظمةُ بـ"الإرهاب".

في هذا السياق يمكن فهم الموقف العربي وبالأخص (مصر - السعودية - الأردن - الإمارات - قطر) من التصعيد الإسرائيلي في لبنان، بل وحتى من اتفاقية التهدئة التي غاب عنها الحضور العربي مقابل الحضور الغربي (الولايات المتحدة وفرنسا) والإقليمي المتمثل في إيران من وراء الكواليس. وبالنظر إلى القمة العربية في الرياض التي بحثت مسألة التصعيد الإسرائيلي في لبنان واستمرارية العدوان على غزة، نجد أن الدولة العربية لم تخرج بعد (وهي لا تريد أن تخرج) من حَدِّ الممارسات الصوتية

(١) نادية محمود مصطفى، قوى الشرق والطوفان بين المساندة والخذلان، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/8nE87nv

التي تتمظهر في استجداء المجتمع الدولي والأمم المتحدة والضمير العالمي وخلافه والتنديد والإشادة وما شابه. وهذا ما يمكن قراءته فيما خلصتْ له القمة بغير حاجة لاستعراض هذه المناشدات والتأكيدات[١]. وكتقييم عام فإن القمة أصلا -وفق أحد المحلِّلين- جاءتْ متأخِّرةً كثيرًا، وبالتالي فقدت الكثير من فرص التأثير بحكم ذلك التأخير، ولا يمكن التعويل على نتائجها من حيث الإجراءات الفعلية[٢]. غير أن التأخُّر ليس العامل الوحيد، بل الحق أن سياسات العمى التي ذكرناها هي السبب الرئيس في غياب الدور العربي في هذه اللحظة، والتي منها على سبيل المثال أن مواقف الدولة العربية من حركة حماس والمقاومة ليست واحدة، بل الحق أن قطار الدول المطبِّعة يقف مع إسرائيل في سياساتها ويصنِّف المقاومة على أنها حركات إرهابية. بل إن الموقف العربي الحالي هو ظهير للمشروع الإسرائيلي- الأمريكي في المنطقة بلا جدال، وليس أدلَّ على ذلك من الفرصة التي منحها الطوفان للدول العربية لاستعادة مكانتها في المنطقة بمشروع عربي مناوئ للمشروعات الإقليمية المتنافسة، وأضاعتْها الدول العربية واختارت الانضواءَ تحت المشروع الإسرائيلي - الأمريكي بشكل مباشر أو غير مباشر.

ثالثًا- المشهد الإقليمي والفرصة العربية الضائعة

قام النظام العربي الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية على مجموعة مقوِّمات، أبرزها الموقف من المشروع الصهيوني والأيديولوجية القومية التي دعمها جمال عبدالناصر بقوة. ولكن حدثت متغيِّرات وتطوُّرات كثيرة بعد حرب عام ١٩٦٧، منها تراجع الدور المصرى وبروز أولوية جديدة لمصر هي تحرير الأرض المحتلَّة، ثم وفاة جمال عبد الناصر، وتغيُّر أنماط التحالفات بتقارب مصر ومعظم الدول العربية مع الولايات المتحدة الأمريكية، وتوقيع مصر وإسرائيل اتفاقية السلام، ودخول دول عربية عملية السلام عقب المشاركة في مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١. وجاءت "حرب الخليج الثانية" أو حرب تحرير الكويت من الاحتلال العراقى عام ١٩٩١ لتؤدِّي إلى الانسحاب العربي من حلبة المنافسة على قيادة النظام الإقليمي الشرق أوسطي[٣].

تزامنت عوامل التفكُّك التى أصابت النظام العربى بعد تلك الحرب والتي اكتملت بالغزو الأمريكى للعراق واحتلاله، مع بروز أدوار قوى إقليمية شرق أوسطية استطاعت أن تفرض نفسها كفواعل أساسية في تفاعلات النظام العربى خاصة إيران وتركيا، ما أدَّى إلى حدوث قَدْرٍ من ذوبان النظام العربي في نظام الشرق الأوسط، حيث توارت المبادرات العربية لحلِّ المشكلات والأزمات العربية مقارنة بأدوار ومبادرات كل من إيران وتركيا، وتزايد الدور الإسرائيلى المباشر أو غير المباشر فى بعض تلك القضايا. وقد حكمت العلاقة بين الكتلة العربية كما يمثِّلها النظام العربي وبين الكتل الأخرى الشرق أوسطية الثلاثة، ثلاثة مشروعات سياسية مميزة للكتل الشرق أوسطية تلك هي: المشروع الإسرائيلي والمشروع الإيراني والمشروع التركي، مع غياب لمشروع عربي قادر على التفاعل بكفاءة وتوازن مع هذه المشروعات. كانت بعض الدول العربية تتفاعل منفردة كل على حدة مع القوى الأخرى الثلاث: إسرائيل وإيران وتركيا، وإن كانت إسرائيل، بسبب خصوصية الصراع العربي–الإسرائيلي كانت تواجه بسياسات ومشاريع سياسية عربية ضمن النظام العربي أيًّا كان مستوى كفاءة تلك السياسات والمشاريع[٤].

إن جوهر التفاعلات الإقليمية كما عبَّرت عنها خريطة توزيع القوة بين الفواعل الأساسية في المنطقة كشفت عن تلك المشروعات الإقليمية الثلاث، وتعبِّر خريطة توازن القوى

---

(١) انظر: البيان الختامي لقمة الرياض يحذر من خطورة التصعيد الذي يعصف بالمنطقة وتبعاته الإقليمية والدولية، BBCعربي، ١١ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/sEBXHtZb

(٢) عاطف عبد الحميد، هل يمكن للدول العربية والإسلامية التوسط لوقف إطلاق النار؟، BBCعربي، ١٢ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي:https://2u.pw/IG9ZR78

(٣) محمد السعيد إدريس، التطورات المستحدثة في البيئة الإقليمية والدولية وانعكاساتها على النظام العربي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٣ يوليو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/llCHcOfT

(٤) المصدر السابق.

الإقليمية عن حالة اشتباك بين هذه المشروعات الثلاث وهي: المشروع الصهيونى–الإسرائيلى، والمشروع الإيرانى–الإسلامى، والمشروع التركي الذي ما زال محكومًا بتفاعلات شديدة الخصوصية بين ما هو "أتاتوركى" وما هو "عثماني جديد" دون استقرار على صيغة لمشروع واضح ومحدد المعالم يحقِّق لتركيا طموحاتها في الاندماج بالاتحاد الأوروبى من ناحية، ويحقِّق لها أيضًا نوازعها الشرقية بأبعادها الحضارية والتاريخية من ناحية أخرى. مجمل التفاعلات بين هذه القوى الإقليمية الشرق أوسطية الثلاث ومشروعاتها السياسية من صراع إلى تنافس إلى تعاون، صعودًا وهبوطًا، تشكِّل البيئة الإقليمية للنظام العربي، وهذه البيئة الإقليمية تتعرَّض الآن لتحوُّلات مهمَّة يمكن أن تؤثِّر سلبيًّا على كفاءة واقتدار مشروعاتها السياسية في ظلِّ ما تواجهه من تحديات مستحدثة. يمكن القول إن المشروعات الإقليمية الثلاثة: الإسرائيلي والإيراني والتركي، أضحت مشروعات مأزومة على النحو التالى[١]:

١- لم يعد في مقدور إسرائيل أن تزعم استمرارية تطلُّعها للهيمنة وللزعامة الإقليمية، بعد كلِّ التداعيات والتحولات الناتجة عن طوفان الأقصى داخليًّا على المستوى الإسرائيلي، وإقليميًّا على المستوى الشرق أوسطي، أو المستوى الدولي. إذ إن مجمل مرتكزات القوة داخل إسرائيل وفي مقدِّمتها الجيش وتداعي تماسكه، وتفجُّر الصراعات السياسية على أعلى مستوياتها، وعجزها عن أن تدافع عن نفسها منفردة أمام ضربات المقاومة، واعتمادها المفرط على الدعم الأمريكي والتمويل العسكري الأمريكي وانكشافها كقوة عاجزة شديدة التبعية للولايات المتحدة، كلها تطورات تؤكد أن المشروع الإقليمي الإسرائيلي فقد جدارته وجاذبيَّته السابقة، حتى لو كانت هذه الجاذبية مصطنعة ودعائية، وأن إسرائيل تتحوَّل فعليًّا إلى "دولة منبوذة".

٢- يواجه المشروع الإيراني تحديات غير مسبوقة حاليًّا أبرزها فشله في إثبات مصداقية انحيازه لادِّعاءاته الأيديولوجية وكونه قيادة إقليمية للمواجهة مع إسرائيل. فالحرص الإيراني الشديد على تجنُّب التورُّط في حرب إقليمية ضد الولايات المتحدة وإسرائيل دفاعًا عن الشعب الفلسطيني في قطاع غزة نال كثيرًا من مصداقية المشروع الإيراني أمام أولوية اعتبارات المصلحة الوطنية، سواء كانت هذه المصلحة هي المحافظة على المشروع النووي الإيراني الذي أوشك على الاكتمال، وأضحت إيران قريبة جدًّا من أن تصبح قوة نووية إقليمية أو حتى دولة حافة نووية، أو كانت هذه المصلحة هي المحافظة على بقاء النظام وثباته. ويتأكَّد هذا التوجُّه مع وصول ترامب للسلطة وتخوُّف إيران من التصعيد الأمريكي ضدها.

٣- دخل المشروع التركي اضطراريًّا مرحلة المراجعة لخيارين؛ أولهما: طموح تحول تركيا إلى قوة إقليمية قائدة أو منافسة على القيادة في النظام الإقليمي الشرق أوسطي، وهو الطموح الذى غذَّته ودفعت به سياسة أردوغان الخارجية، بكل ما يتطلَّبه هذا الطموح من أيديولوجية سياسية قادرة على إغراء الدول أعضاء هذا النظام، ومن قدرات عسكرية واقتصادية وسياسية قادرة على التفوق على القوتين الإقليميَّتين المتنافستين على الزعامة الإقليمية: إسرائيل وإيران، وثانيهما العودة ثانية إلى خيار الدور التركي التقليدي السابق في معادلة الصراع الإقليمي بالشرق الأوسط، أي دور "الموازن الإقليمي" الذي يتمتَّع بعلاقات متوازنة ومتوازية مع الكتل "القومية" الثلاث بالإقليم: العرب وإيران وإسرائيل، ويملك قدرات حل الصراعات بين هذه الكتل. هذه المراجعة دفعتْها عدَّة اعتبارات:

أ) تراجع الإسناد الشعبي الداخلي لحزب العدالة والتنمية كما أظهرتْه الانتخابات البلدية الأخيرة (٢٠٢٤/٣/٣١) التي كشفت تراجع حزب العدالة والتنمية أمام حزب الشعب الجمهوري المعارض ومشروعه السياسي الداعي للعودة التركية إلى "الأتاتوركية السياسية"، الأكثر علمانية من المنظور الأيديولوجي، والأكثر ارتباطًا بالغرب الأوروبي والأمريكي، والبعيد عن "توجُّهات الشرق" والجوار الإسلامي التي ارتكز عليها مشروع العدالة والتنمية.

(١) المرجع السابق.

ب) فشل النظام التركي في اختبار القوة الإقليمية أمام عدوانية الحرب الإسرائيلية ضد غزة. فالحكومة التركية كانت حريصة على استمرار علاقات التعاون مع إسرائيل في وقت تتصاعد فيه الحرب ضد الشعب الفلسطيني في غزة، مما اضطرها، عقب معاقبة الشعب التركي للنظام على هذه السياسة، إلى محاولة ضبط العلاقات مع إسرائيل. فقد كشف تقرير لجنة تحقق شكلها حزب العدالة والتنمية لتلمُّس أسباب خسارة الحزب الانتخابات البلدية الأخيرة أن نحو ٧ ملايين ناخب من أبناء الحزب انصرفوا عن دعم الحزب في تلك الانتخابات ما أدَّى إلى خسارته نحو ٢٨ مدينة وبلدية في الانتخابات منها بلديات كبرى مثل إسطنبول وأنقرة وأزمير، وفسَّر التقرير هذا "العزوف الجماعي" عن دعم الحزب بالعديد من الأسباب أبرزها "الموقف السلبي لرئاسة الجمهورية والحكومة من التطبيع مع إسرائيل"، ولعل هذا ما دفع الحكومة التركية إلى اتخاذ إجراءات لوقف جميع عمليات التصدير والاستيراد إلى إسرائيل، في وقت كان قد وصل فيه حجم التجارة التركية مع إسرائيل إلى ٦,٨ مليار دولار في عام ٢٠٢٣.

ج) عودة تركيا للتركيز مجدَّدًا على الحصول على عضوية الاتحاد الأوروبي لدرجة القبول بمقايضة الموافقة التركية على انضمام السويد والدنمارك إلى حلف شمال الأطلسي بالحصول على مؤشِّرات عملية لقبول عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي خلال قمة حلف شمال الأطلسي في فينلينوس عاصمة ليتوانيا منذ عام تقريبًا.

في هذا السياق، نجد أن هذه التطورات الإقليمية قدَّمت فرصة للدول العربية لبناء موقف "مشروع" عربي موحَّد لمقابلة المشروعات الإقليمية الثلاثة المأزومة، غير أن الدول العربية وموقفها منذ طوفان الأقصى كان استمرارًا لعملية التطبيع والتصهين التي انطلقت مع الموجة الثالثة للتطبيع عام ٢٠١٩، وتبلور الموقف العربي الإجمالي بعد عام ويزيد منذ الطوفان عن محور داعم للمشروع الإسرائيلي بشكل مباشر أو غير مباشر، وعليه كانت الفرصة ضائعة وغاب الموقف العربي وخاصة دول الجوار (مصر والأردن) عن تطورات المشهد اللبناني (التصعيد ثم التهدئة) كما غاب من قبل عن المشهد الغزاوي، فيما وصفناه سابقًا بسياسات العمى وفقدان البصيرة.

خاتمة:

يمكن القول إن المشهد الإقليمي الآن تحدِّده قوَّتان إقليميَّتان رئيستان: إسرائيل ومن ورائها الدول العربية المطبِّعة كجزء من المشروع الإسرائيلي - الأمريكي، وتركيا التي تشهد لحظة صعود استثنائية مع الانتصار الكاسح الذي حقَّقته المعارضة السورية المسلَّحة المدعومة من تركيا في سوريا، والتي دخلت دمشق لحظة كتابة هذه الورقة. وهو مشهد آخر تغيب عنه الدول العربية من حيث التأثير والفعل لصالح قوى إقليمية ودولية (تركيا وإيران وروسيا). وفي ظل هذا المشهد يبدو أن القضية الفلسطينية والوضع في غزة سيشهد تدهورًا حادًّا لصالح إسرائيل، وهو ما يعني مزيدًا من التراجع لقوة المقاومة وقدرتها على الفعل، فانكسار جبهة الإسناد وتراجع حزب الله، مع تراجع حدَّة الضربات الموجَّهة من الحوثيين في اليمن، يُظهر المشهد وكأن الحرب قد انتهت لصالح إسرائيل. ومن ناحية أخرى ومع تصاعد وتيرة انتصارات المعارضة السورية المسلَّحة، تُبْدِي إسرائيل تخوُّفات واسعة من سيطرة المعارضة على الحكم في سوريا[١]، وقامت بتوجيه ضربات عسكرية لمخازن أسلحة كيماوية تابعة للجيش السوري خشية أن تقع بيد الفصائل المعارضة. ومن ثم يبدو أن التحول في سوريا لا يُفيد إسرائيل ولا يعني بالضرورة سقوط نظام الأسد أن هذا في صالح إسرائيل، بل ربما يُشعل هذا التحول فتيل الصراع بين تركيا وإسرائيل.

(١) هآرتس: إسرائيل تخشى وصول أسلحة سوريا الكيمائية للمعارضة، الجزيرة نت، ٣ ديسمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٣ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/MbuQrdLk.

الموقف الخليجي من العدوان الإسرائيلي على لبنان

استراتيجيات راسخة ورؤى متغيرة*

عبده إبراهيم**

مقدمة:

لم تعد الصورة الذهنية عن العلاقات الخليجية اللبنانية كما كانت في السابق، فقد تغيرت طبيعة هذه العلاقة إلى الدرجة التي جعلت العدوان الإسرائيلي على لبنان مؤخرًا يمر على معظم دول الخليج دون التفاعل المتوقع، عدا ذلك البعد المتعلق بالمساعدات الإنسانية. حيث اتسمت التصريحات الرسمية بصيغةٍ أقرب إلى الحياد من قبل معظم الفاعلين الخليجيين، ولكن في الوقت نفسه ليس معنى ذلك أنه في السابق كانت الدول الخليجية تتدخل عسكريًا دفاعًا عن لبنان، وإنما كانت مواقفها أكثر قوة، وتصريحاتها أكثر فعاليةً واهتمامًا، كما كانت تسعى مباشرةً إلى ممارسات سياسية ومساعي جادة وحاسمة وفعالة لدى القوى المؤثرة.

لكن يبدو أنه قد جرى في النهر مياه كثيرة سواء في لبنان أو في الخليج، ومن ثم ما يتصل بالعلاقات بينهما، وقد يقول البعض أن هذه التغييرات سببها وجود حزب الله في لبنان (حيث الخلافات الأيديولوجية والمذهبية)، وهو قول فيه من الصحة، إلا أن هذا الوجود والنفوذ لحزب الله الحليف لإيران أقدم من التأزم الخليجي اللبناني المسؤول عن الموقف الحالي، مع عدم استبعاد أنه من أسبابه. ومن ثم فإنه مع التقدير لتأثير حزب الله على طبيعة هذه العلاقات، إلا أنه فيما يبدو أن هناك أسباب أخرى عميقة توثر بشكلٍ عام في طبيعة العلاقات بين دول المنطقة، ومن بينها العلاقات الخليجية اللبنانية، وبالتالي تحتاج لرؤى نظرية وعلمية للوقوف على أبعادها وامتداداتها ومآلاتها.

وفي هذا السياق، تعتمد الورقة على مجموعة من المداخل التفسيرية التي تُسهم في الفهم والتحليل لواقع العلاقات الخليجية اللبنانية ووضعها في سياقها في منطقة الشرق الأوسط والبيئة المحيطة، والتي لا يخفى تأثيرها على أحد. وتمتد الفترة الزمنية التي رصدها التقرير منذ انطلاق طوفان الأقصى وبداية الاشتباكات اللبنانية الإسرائيلية، والتي بدأت على استحياء منذ اليوم الثاني لطوفان الأقصى وذلك بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠٢٣، إلا أن محور التركيز يبدأ مع استفحال الأمر في سبتمبر ٢٠٢٤ وتصاعد الأوضاع في أكتوبر ونوفمبر بصورةٍ غير مسبوقة، ووصولًا إلى توقيع وقف إطلاق النار بين حزب الله والكيان الصهيوني في أواخر نوفمبر ٢٠٢٤.

ومع ذلك، من الضروري الإشارة إلى أن أوضاع لبنان بشكلٍ

---

* "ملاحظة لابد أن تُروى"، إن العنوان الفرعي لهذه الدراسة "الموقف الخليجي من العدوان الإسرائيلي على لبنان: استراتيجيات راسخة ورؤى متغيرة"، كنت قد كتبته قبل الاطلاع على دراسة مهمة للباحث حسين يوسف سالم القطروني والتي تناول فيها العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦، وقد جاءت بعنوان "العدوان الإسرائيلي على لبنان: الاستراتيجيات الثابتة والظروف المتغيرة" (المنشورة في المجلة العربية للعلوم السياسية، خريف ٢٠٠٧)، في البداية شرعت في تغيير عنوان دراستي، فرغم اختلاف الموضوع يظل من وجهة نظري العنوان من حق الباحث الأول، وحقوقه محفوظة لسبقه الزمني، إلا أنني لاحظت اختلافًا جوهريًا بين العنوانين يستحق الرصد والتحليل، ويتمثل ذلك في النصف الأول من العنوان، فدراسة السيد حسين يوسف القطروني عن "العدوان الإسرائيلي.."، والدراسة التي بين أيدينا عن "الموقف الخليجي.." ولكن في الوقت ذاته قد لفتني تداعي دلالات العنوان الفرعي لكل منا فيما يخص العدوان الإسرائيلي على لبنان رغم الفارق الزمني الكبير، وهو الأمر الذي يؤكد على استغلال إسرائيل المستمر للبنان لبناء استراتيجيات جديدة للمنطقة.

** باحث في العلوم السياسية.

عام وعلاقاته مع الخليج بشكل خاص تحتاج لرصد ومتابعة لأكثر من جانب، منها أن تلك العلاقات من المتوقع لها أن تتطور عقب تراجع حزب الله، ومن ناحيةٍ أخرى فإن وقف إطلاق النار لا يعني أن الحرب قد انتهت بين الكيان الصهيوني ولبنان، أو أن التغيرات الإقليمية فيما يُطلق عليه الشرق الأوسط قد توقفت، ولكن الأمور في طور التغيير والتبديل، وجميع معادلات المنطقة متداخلة ومتشابكة ومعقدة، وتمثل لبعضها البعض "أواني مستطرقة" فأي تغيير في إحداها يؤثر على الأخرى، ومن ثم فإن الكتابة والتحليل في مثل هذه الأجواء يجب أن تكون بحقها أي بإدراك الإطار المتغير وغير المستقر. وينقسم التقرير إلى العناصر الآتية: التفاعلات الخليجية مع لبنان في عام العدوان، مداخل أساسية للفهم والتحليل، رؤى مستقبلية في إطار الموقف الخليجي من لبنان.

على أن يسبق ذلك تمهيد يقف على أهم محطات التفاعلات الخليجية- اللبنانية في العقود الأخيرة، عبر أزمات داخلية وخارجية متعددة، وهو ما يفسر دوافع الاهتمام بتفاعلات الخليج مع الأزمة اللبنانية الراهنة.

تمهيد: لماذا الاهتمام بالموقف الخليجي من لبنان؟

لم يغب الخليج يومًا عن المشاركة المؤثرة والفاعلة تجاه ما تتعرض له لبنان داخليًا أو خارجيًا، وتمثل لبنان موقعًا استراتيجيًا مؤثرًا ونفوذًا فاعلًا لدول الخليج في المنطقة بصورة لا تتوفر له بدونها، وفي هذا الإطار يمكن فهم مدى تعقد وتشابك العلاقات الخليجية اللبنانية، ويمكن إلقاء نظرة عامة على تطور هذه العلاقات للوقوف على عمق ذلك التشابك من خلال الرصد المتعجل للأحداث التاريخية السابقة، وهذا على النحو الآتي:

- **العدوان الإسرائيلي على لبنان ٢٠٠٦:** لن نتوسع في استعراض الموقف الخليجي من لبنان خلال حرب ٢٠٠٦، ولكن يكفي الإشارة إلى تلك الإجراءات والتحركات والمواقف التي تُثبت أن مواقف الدول الخليجية والعربية في الحالة الراهنة مواقف متراجعة جدًّا مقارنةً مع الموقف في ٢٠٠٦؛ حيث تم في ذلك الوقت عقد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب في بيروت، أسفر عن نتيجتين: الأولى؛ عاطفية متمثلة في تأكيد التضامن مع الشعب اللبناني وإدانة العدوان الإسرائيلي، والثانية؛ عملية تجلت في تشكيل وفد من الأمين العام لجامعة الدول العربية وعضوية وزيري خارجية قطر والإمارات. قام الوفد بالسفر إلى الأمم المتحدة وحضر مناقشات مجلس الأمن، وكان له دور مهم في إعادة صياغة مشروع قرار مجلس الأمن (١٧٠١) الذي كان في صورة مشروع فرنسي-أمريكي لوقف مشترك لإطلاق النار؛ حيث كان للوفد دور ملحوظ في تعديل القرار والنص على انسحاب إسرائيل من الأراضي اللبنانية، كما كان من أهم ملامح هذا الموقف والتي نفتقدها اليوم بصورة جذرية هو أن أعضاء المؤتمر الوزاري العربي تجنبوا توجيه أي لوم إلى المقاومة اللبنانية أو تحميلها نتيجة ما حدث، وتبنوا وجهة النظر اللبنانية لوقف القتال[١].

- **العدوان الإسرائيلي على لبنان ١٩٨٢ وأزمات لبنانية أخرى في القرن الماضي:** كانت الدول الخليجية، وفي مقدمتها السعودية، حاضرة دومًا في كل أزمة يتعرض لها لبنان، وخاصةً ما يتعلق بمسار الحرب الأهلية التي امتدت خلال الفترة من ١٩٧٥ وحتى ١٩٨٩. وقد عرفت هذه الأزمة عدة مراحل، كانت السعودية في مقدمة الدول التي لم تدخر جهدًا في احتواء تداعياتها وإيجاد حل لها[٢]. وقد بنى لها هذا الدور مساحة نفوذ في لبنان لم تتوفر لدولةٍ أخرى، كما كان لمجلس التعاون موقف قوي وبارز في مواجهة العدوان الإسرائيلي على لبنان آنذاك؛ حيث تزامن الاجتياح مع الدورة الرابعة للمجلس الوزاري لمجلس

(١) حسين يوسف سالم القطروني، العدوان الإسرائيلي على لبنان: الاستراتيجيات الثابتة والظروف المتغيرة، المجلة العربية للعلوم السياسية، الجمعية العربية للعلوم السياسية ومركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٦، خريف ٢٠٠٧، ص٢١٦-٢١٨.

(٢) زينب شاكر عبد الرزاق، المبادرة السعودية الكويتية في حل الأزمة اللبنانية عام ١٩٧٥ . ١٩٧٦، مجلة الخليج العربي، العدد الأول، آذار/ مارس ٢٠٢٢، ص١٦٧.

التعاون، ومن ثم فقد أدان المجلس -حديث النشأة أنذاك[١]- العدوان واعتبره انتهاكًا للكرامة الإنسانية وحذر من استمرار الاحتلال، وطالب برفعه عن بيروت، ودعا دول مجلس الأمن إلى تحمل مسؤولياتها، وندد المجلس بالموقف الأمريكي في دعمه لدولة الكيان. ولم يقتصر موقف مسؤولي الخليج من لبنان على البيانات والتصريحات وإنما قاموا بزياراتٍ مباشرة إلى لبنان، وكان هذا الموقف القوي رغم سياقات وأحوال الدول العربية والخليجية في تلك الفترة من خلافات وعلاقات دولية متوترة[٢]، إذ أعلنوا موقفهم بهذا الوضوح الذي يعي من هو العدو الحقيقي، وهو ما بات غائمًا إقليميًا في الوقت الراهن، خاصةً بعد توقيع الاتفاقيات الإبراهيمية، والانفتاح غير المحدود في التعامل مع الكيان الصهيوني رسميًا وشعبيًا.

أولا- التفاعلات الخليجية مع لبنان في عام العدوان

منذ انطلاق طوفان الأقصى وهناك مسارات متنوعة للتفاعلات الخليجية اللبنانية، إلا أن "المساعدات الإغاثية"[٣] قد غلبت على أي جوانب أخرى في هذه العلاقات، ورغم التقدير لهذه المساعدات إلا أنها كانت موجودة من قبل الطوفان للمؤسسات والشعب في لبنان. وقد استمرت المساعدات بشكلٍ متفاوت ومتقطع من أكتوبر ٢٠٢٣ حتى أغسطس ٢٠٢٤، ثم زادت بشكلٍ ملحوظ خلال الأشهر الأربعة الأخيرة التي شهدت العدوان الإسرائيلي على لبنان، وأنشأت أكثر من دولة خليجية جسورًا جوية لنقل المساعدات الضخمة، وقدمت الدول الخليجية الأخرى ما استطاعت وإن كان ذلك بشكلٍ رمزي، ولكنه عبر عن الدعم الخليجي للبنان في أزمته الحالية؛ ومن الضروري الإشارة بنبذة مختصرة إلى مختلف مسارات الموقف الخليجي في تلك المرحلة، وذلك على النحو التالي:

١- الموقف الرسمي من خلال لقاءات القمة:

أ) **الخليج يستضيف القمم العربية والإسلامية:** كان هناك حرص من الجانب الخليجي على إثارة الموضوع اللبناني، وعُقدت لذلك فعاليات على مستوى القادة العرب والمسلمين:

- استضافت البحرين القمة العربية الثالثة والثلاثين مايو ٢٠٢٤، وقد تطرق بيانها الختامي للأزمة السياسية في لبنان وحث جميع الأطراف اللبنانية على "إعطاء الأولوية لانتخاب رئيس للجمهورية، وتعزيز عمل المؤسسات الدستورية، ومعالجة التحديات السياسية والأمنية، وتنفيذ الإصلاحات الاقتصادية الضرورية، ودعم تعزيز قدرات الجيش اللبناني وقوى الأمن الداخلي للحفاظ على أمن لبنان واستقراره وحماية حدوده المعترف بها دوليًا بوجه الاعتداءات الإسرائيلية"[٤].

- استضافت العاصمة السعودية (الرياض) القمة العربية الإسلامية نوفمبر ٢٠٢٤؛ وأصدرت بيانًا ختاميًا من ٣٨ بندًا[٥] تضمن "الإدانة الشديدة للعدوان الإسرائيلي المتمادي والمتواصل على لبنان وانتهاك سيادته، والدعوة إلى وقف فوري لإطلاق النار، والتنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن الدولي رقم

(١) في ٢١ رجب ١٤٠١هـ الموافق ٢٥ مايو ١٩٨١م توصل أصحاب الجلالة والسمو قادة كل من دولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين، والمملكة العربية السعودية، وسلطنة عمان، ودولة قطر، ودولة الكويت في اجتماعٍ عُقد في أبوظبي إلى صيغة تعاونية تضم الدول الست تهدف إلى تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين عضهم البعض في جميع الميادين وصولاً إلى الوحدة، وفق ما نص عليه النظام الأساسي للمجلس في مادته الرابعة، التي أكدت أيضًا على تعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون بين مواطني دول المجلس، انظر موقع وزارة الخارجية البحرينية الرسمي، متاح عبر الرابط التالي: https://www.mofa.gov.bh/ar/gcc

(٢) باسم علوان حسين وطيبة خلف عبدالله، موقف الكويت من الأحداث اللبنانية (١٩٨٢ . ١٩٨٩) في إطار مجلس التعاون الخليجي، جامعة البصرة، كلية الآداب، مجلة آداب البصرة، العدد ٨٧، ٢٠١٩، ص٢١٠ . ٢١١.

(٣) المسمى الرسمي المستخدم في وسائل الإعلام السعودية لرصد طائرات المساعدات السعودية التي وصلت إلى لبنان.

(٤) «إعلان البحرين» يدعو لقوات أممية في فلسطين والاعتراف بالدولة، الوطن، ١٦ مايو ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/S0Owxrqf

(٥) إبراهيم الخازن، ٣٨ بندًا .. قرار قمة الرياض بشأن غزة ولبنان (وثيقة)، وكالة الأناضول الرسمية التركية، ٢٠٢٤/١١/١٢، متاح عبر الرابط التالي: https://2cm.es/NiQT

١٧٠١ (٢٠٠٦)، والتأكيد على التضامن مع الجمهورية اللبنانية في مواجهة هذا العدوان. هذا فضلا عن الإدانة الشديدة للاستهداف المتعمّد للجيش اللبناني ومراكزه الذي أدى إلى سقوط عددًا من الشهداء والجرحى في صفوفه"[١].

ب) **موقف مجلس التعاون الخليجي:** عقدت القمة رقم ٤٥ للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، وأدان الإعلان الصادر من الكويت مطلع ديسمبر ٢٠٢٤ العدوان على لبنان وحذر من مغبة استمراره وتوسع رقعة الصراع، مما سيؤدي إلى عواقب وخيمة على شعوب المنطقة وعلى الأمن والسلم الدوليين، ورحب المجلس الأعلى باتفاق وقف إطلاق النار المؤقت في لبنان، وتطلع الإعلان إلى أن يكون ذلك خطوة نحو وقف الحرب وانسحاب إسرائيل من الأراضي اللبنانية، وتطبيق قرار مجلس الأمن ١٧٠١ وعودة النازحين والمهجرين إلى ديارهم، وعبّر القادة عن التضامن التام مع الشعب اللبناني الشقيق[٢].

٢- المو اقف الرسمية على مستوى الدول:

أ) الموقف الخليجي السائد من لبنان:

رغم تلك المواقف ذات الصبغة الجماعية، إلا أن المواقف المفردة لدول الخليج لم تعكس الأهمية الاستراتيجية التاريخية للبنان بالنسبة لدول الخليج العربي، خاصةً الدول المحورية منها.

- **الموقف السعودي:** لم يكن الموقف السعودي من لبنان يليق بالعلاقات التاريخية والاستراتيجية بينهما، ففي ظل ما يتعرض له لبنان ومن قبله فلسطين -قطاع غزة بشكلٍ خاص- كان هناك إصرارًا على إقامة الحفلات واستضافة المطربين والمطربات من مختلف دول العالم، ناهيك عن موقف رجال الدين المتماهين مع الموقف الرسمي والمسوغين له. ورغم إثارة السعودية للقضية اللبنانية في لقاءات المسؤولين مع نظرائهم من الدول الأخرى، فإن المساعدات التي قدمتها السعودية كانت هي التي غلبت على موقفها في لبنان، فقد سيرت جسرًا جويًا هائلًا منذ سبتمبر ٢٠٢٤ ولا يزال[٣]. أما المسار السياسي، فقد بقي متماهيًا مع الرؤى الغربية والإماراتية، ولم تعتن السعودية بتصدر المشهد الإقليمي والعربي في دعم والدفاع عن لبنان كما كانت تفعل سابقًا[٤].

ربما كان هناك بعض المسارات الدبلوماسية المعتادة، فعندما زار ولي العهد السعودي القاهرة في أكتوبر ٢٠٢٤، تضمن البيان الرسمي الذي أعقب الزيارة إشارةً إلى القضية اللبنانية بلغة دبلوماسية عامة على نحو يعكس جوهر الأزمة بين لبنان والدول الخليجية "وفي الشأن اللبناني، أعرب الجانبان عن بالغ قلقهما من التصعيد الإسرائيلي في لبنان، وأكدا حرصهما على أمن واستقرار ووحدة الأراضي اللبنانية، والمحافظة على سيادة لبنان وسلامته الإقليمية، وعبرا عن تضامنهما الكامل مع الشعب اللبناني الشقيق في الأزمة الراهنة، وشددا على أهمية تمكين الدولة اللبنانية بجميع مؤسساتها من القيام بواجباتها وبسط سيادتها على كامل الأراضي اللبنانية، وأهمية دور الجيش اللبناني في حفظ أمن لبنان واستقراره، كما جدد الجانبان التأكيد على أهمية اضطلاع المجتمع الدولي، وخاصةً مجلس الأمن الدولي، بمسؤولياته والعمل على وقف فوري ودائم لإطلاق النار في لبنان، وعدم اتساع نطاق الصراع القائم في المنطقة، مشددين على أهمية التطبيق الكامل لاتفاق الطائف والقرارات الدولية ذات الصلة"[٥].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي/الكويت، إعلان الكويت للدورة (٤٥) للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، ٢٠٢٤/١٢/١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/hEXpbxQM

(٣) الجسر الجوي الإغاثي السعودي إلى لبنان يتواصل بمغادرة الطائرة الإغاثية الـ ٢٧، صحيفة الرياض السعودية، ٢٠٢٤/١٢/٢، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/4gxJtfmk

(٤) تضمن هذا التقرير المترجم بعنوان " رغم امتلاكها أوراقا قوية.. لماذا لا تتدخل السعودية لوقف حرب لبنان؟ "الإشارة إلى أن السعودية ليس لها الرغبة في التدخل لإنهاء الحرب الإسرائيلية على لبنان وغزة رغم استمرارها ما يقرب من ١٢ شهرًا، (اندلعت عقب أحداث ٧ أكتوبر ٢٠٢٣) رغم امتلاكها أوراقا قوية في لبنان، انظر التقرير في: ارغم امتلاكها أوراقا قوية.. لماذا لا تتدخل السعودية لوقف حرب لبنان؟، صحيفة الاستقلال، ٤ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر لرابط التالي: https://2cm.es/NiVY

(٥) بيان مشترك في ختام زيارة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء لجمهورية

- **الموقف الإماراتي**: نددت المسؤولة الإمارتية في الأمم المتحدة خلال اجتماع لمجلس الأمن بشأن الوضع في الشرق الأوسط، بتنامي التوترات في غزة وجنوب لبنان[١]، إلا أن الموقف العام للإمارات لم يكن بارزًا أو مؤثرًا خلال العام حتى العدوان الإسرائيلي على لبنان، وحينها خرجت ببيان يطالب بخفض التصعيد بين الجانبين، وكذلك أعربت الإمارات عن القلق من استمرار التصعيد وتداعياته على الأمن والاستقرار في المنطقة، كما أصدرت بالاشتراك مع الولايات المتّحدة والاتحاد الأوروبي وعدد من الدول الغربية والعربية، في ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٤ نداءً مشتركًا لإرساء «وقف مؤقت لإطلاق النار» لمدة ٢١ يومًا في لبنان[٢]، كما رحبت بإعلان وقف إطلاق النار[٣]، في الوقت نفسه قدمت الكثير من المساعدات عبر الجو والبحر[٤].

- **الموقف البحريني والكويتي:** لم يختلف الموقف البحريني أو الكويتي عن المواقف السابقة لكلٍ من السعودية والإمارات فيما يتعلق بالإدانة في التصريحات الرسمية، وتقديم المساعدات، زاد عن ذلك أن محكمة التمييز الكويتية صنفت في مارس ٢٠٢٤ "حزب الله" اللبناني على قائمة التنظيمات "المجرمة"، معتبرة الحزب جماعة "محظورة ومجرمة طبقًا للقانون"، واصفةً إياها بـ "تنظيم مسلح يخطط لهدم النظم الأساسية في الكويت لتكوين الجمهورية الإيرانية الكبرى"، وجرمت المحكمة الكويتية كل من يدعم حزب الله، وجاء هذا الحكم عقب الحكم بإدانة ثلاثة مواطنين كويتيين بتهمة التخابر مع "حزب الله" اللبناني، موضحةً أن الانضمام للجماعة والتعاون معها يُعد "جريمة يعاقب عليها القانون"[٥].

ب) المواقف الخليجية المغايرة للموقف السائد: الموقف القطر

تبنت قطر موقفًا متقدمًا ومتمايزًا عن باقي دول الخليج من لبنان، وهي سمة باتت لصيقة بقطر منذ أزمة الحصار (٢٤ مايو ٢٠١٧ – ٥ يناير ٢٠٢١)، فقد أصبحت حريصة على أن يكون لها موقف خاص دون أن تشتبك مع المواقف الأخرى أو تعارضها، فعلى سبيل المثال كانت قطر قد انتقدت موقف وزير الإعلام اللبناني بشأن تصريحاته قبيل توليه منصبه حول الأزمة اليمنية، إلا أنها في الوقت نفسه لم تقطع علاقتها مع لبنان مثلما فعلت معظم الدول الأخرى[٦]، بل اضطلعت بمهمة حل الخلاف.

ولذلك كان لقطر موقفًا أكثر وضوحًا من أي دولة خليجية أخرى في إدانة العدوان الإسرائيلي على لبنان عقب طوفان الأقصى، حيث أعلنت الخارجية القطرية، في بيانها إدانتها "بأشد العبارات العدوان الإسرائيلي على لبنان، الذي أدى إلى سقوط مئات القتلى وآلاف الجرحى، وتحذر في الوقت ذاته من اتساع دائرة العنف في المنطقة وانزلاقها إلى حربٍ إقليمية شاملة، في ظل الحرب المستمرة على غزة"[٧]، كما خاطب أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني العالم خلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الـ ٧٩ في مدينة نيويورك الأمريكية في ٢٤ سبتمبر٢٠٢٤ وطالبهم بإيقاف عدوان الاحتلال الإسرائيلي على

مصر العربية، وزارة الخارجية السعودية، ١٦ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/pUTPW1yo

(١) الإمارات تطالب بوقف فوري ومستدام لإطلاق النار في غزة، مركز الاتحاد للأخبار، ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/KRF44Bfy

(٢) الإمارات وأمريكا ودول عربية وغربية تدعو إلى وقف إطلاق النار ٢١ يوماً في لبنان، الخليج، ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/2ujbbX4f

(٣) الإمارات: دعمنا راسخ للبنان وسيادته وسلامة ووحدة أراضيه، البيان، ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/RtvRbuWb

(٤) تصريح صحفي على موقع وزارة الخارجية الإماراتية بعنوان "دعماً للشعب اللبناني الشقيق.. سفينة إماراتية محملة بـ ٢٠٠٠ طن من المساعدات الإغاثية تصل مرفأ بيروت"، ٢٠٢٤/١٠/٢٥، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/Eepv5LYw

(٥) الكويت تجرم "حزب الله" اللبناني وتمنع تمويله، الاندبندنت، ٢مارس ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/DUUvnJlK

(٦) يوسف حمود، ما فرص نجاح وساطة قطر برأب الصدع بين لبنان ودول خليجية؟، الخليج الجديد، ٢٠٢١/١١/٢، متاح عبر الرابط التالي: http://khaleej.online/r939zV

(٧) تحذيرات وتحريك مساعدات.. ردود فعل عربية رافضة لانتهاك سيادة لبنان، القدس العربي، ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/wIQ6HW1v

قطاع غزة، وحربه على لبنان[١]. أيضًا شاركت دولة قطر، في ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤ في المؤتمر الدولي من أجل دعم شعب لبنان وسيادته الذي عُقد في باريس، واستكملت قطر تقديم المساعدات إلى لبنان، بدفعاتٍ كبيرة، وفَعَّلت جسرًا جويًا لنقل مختلف المساعدات التي يحتاجها لبنان[٢].

ج) المواقف الخليجية المحايدة: سلطنة عُمان

يمتاز الموقف العُماني بخصوصيةٍ فريدة من بين الدول الخليجية الأخرى، فهي أقرب إلى الحياد في أي أزمة خارج حدودها، ومن ثم لم تكن منخرطةً في الأزمة اللبنانية إلا عقب تكثيف العدوان الإسرائيلي على لبنان في سبتمبر ٢٠٢٤، حينها بدأت التصريحات بإدانة العدوان، كما شاركت السلطنة في معظم الفعاليات الدولية والعربية التي عُقدت في هذا الشأن، وقد كانت حريصة على تبني الموقف العربي التقليدي -موقف ما قبل التطبيع- بشأن حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية على حدود عام ١٩٦٧[٣]، وحذرت عُمان من توسيع رقعة الصراع، مما يُهدد بجر المنطقة إلى مزيدٍ من العنف وعدم الاستقرار[٤]. كما قَدمت السلطنة في ٦ نوفمبر ٢٠٢٤، بالتعاون مع المجموعة العربية، تعديلات على قرار "دعم منظمة العمل الدولية للاستجابة للأزمة في لبنان"؛ حيث تضمنت التعديلات حماية المرافق الأساسية في لبنان، والترحيب بجهود وقف إطلاق النار. وعندما تم توقيع اتفاق وقف إطلاق النار رحبت بالقرار واكتفت بذلك، معتبرةً أن الأزمة قد انتهت، ومن جانبٍ آخر أرسلت السلطنة طائرة تحمل مساعدات إنسانية وطبية، ولم تخصص جسرًا جويًا مثل دول خليجية أخرى وهو أمر مفهوم نظرًا لعدم تماثلها في الثروة معهم[٥].

٣- الموقف الخليجي غير الرسمي:

لا يمكن الفصل بين الموقف الرسمي والموقف غير الرسمي في معظم دول الخليج، فهناك تطابق شبه تام بين الموقفين ولا يتحرك الشعب بمفرده إلا في حالاتٍ نادرة، ومن بين هذه الحالات النادرة التي بوز فيها موقف شعبي يتحرك دون أوامر رسمية كان في البحرين، ولذلك كانت الدولة الوحيدة التي شهدت مظاهرات تندد بالعدوان الإسرائيلي على لبنان، حيث اندلعت في العديد من المناطق البحرينيّة تظاهرات شعبيّة تضامنيّة حاشدة، مع محور المقاومة الإسلاميّة في لبنان وفلسطين واليمن، ضدّ العدوان الإسرائيلي الأمريكيّ وتنديدًا بالتّطبيع، وقد كان ذلك دون رفع أي شعاراتٍ طائفية (حيث من المعروف وجود معارضة شيعية في البحرين)[٦].

---

(١)نجلا بعاصيري، أمير قطر يخاطب العالم أمام الأمم المتحدة: أوقفوا العدوان على غزة.. أوقفوا الحرب على لبنان، وكالة أنباء تركيا، ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://tr.agency/news-184752

(٢) تنفيذا لتوجيه سمو الأمير .. قطر تسير جسرا جويا يحمل مساعدات إنسانية إلى لبنان"، وزارة الخارجية القطرية، ٢٠٢٤/١٠/٨، متاح عبر الرابط التالي: https://2cm.es/NiVa

(٣) عُمان ترحب بوقف إطلاق النار في لبنان وتؤكد ضرورة إنهاء الحرب الغاشمة على غزة، جريدة عمان، ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/8zE827aj

(٤) سلطنة عمان تدين الغارات الصهيونية على لبنان وتعتبرها تصعيدا خطيرا، وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)، ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/JtNUMMWd

(٥) مساعدات من سلطنة عمان.. السعيدي: لتمر الازمة وينعم لبنان العظيم بالسلام والاستقرار، المستقبل، ١٤ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/1wvtaoXG

(٦) البحرين: «تظاهرات شعبيّة تضامنيّة مع لبنان وفلسطين ورفضًا للتّطبيع مع العدوّ الصهيونيّ» – «صور – فيديو»، منامة بوست، ٢٠ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/4IS6wRGZW

- بخصوص مظاهرات البحرين بشأن الأوضاع في لبنان، فقد كانت المظاهرات الحاشدة للتنديد بمقتل الأمين العام لحزب الله اللبناني حسن نصر الله، لا ترفع أي شعاراتٍ طائفية، كما أنها كانت حاشدة، وقد كشف الموقف الحكومي منها أنها مظاهرات شعبية غير طائفية، إذ علق وزير الداخلية البحريني في بيان أصدرته وزارته بشأن الأحداث ضمنه الحديث باسم المواطنين جميعًا، ودعا الوزير في بيان بثته وكالة الأنباء الرسمية المواطنين إلى التحلي بالروح الوطنية والمسؤولية في الحفاظ على الأمن والنظام العام "باعتبار أن المواطن شريك أصيل في مسؤوليته تجاه وطنه"، انظر تقرير نشر في موقع الجزيرة بعنوان، داخلية البحرين تدعو للحفاظ على الأمن عقب مسيرات منددة باغتيال نصر الله، الجزيرة، ٢٠٢٤/٩/٢٩،

ومن ثم، من الأهمية بمكان التأكيد على أن الموقف الشعبي في البحرين[١] كان مفارقًا بصورة ملحوظة للمواقف الشعبية في دول المعسكر الذي تنتمي له (الموقف الخليجي السائد)، وهنا نؤكد على أن الموقف الشعبي في كلٍ من الإمارات والسعودية يعكس المسار الجديد الطارئ على العلاقات الخليجية اللبنانية؛ حيث جاء موقف القوى غير الرسمية والإعلامية ونشطاء وسائل التواصل الاجتماعي من شيوخ وإعلاميين في دول الخليج –وخصوصًا في السعودية- مما يحدث في طوفان الأقصى بصفة عامة، وفي لبنان بصفة خاصة مخالفًا لما كان معروفًا من قبل، فقد امتلأت وسائل التواصل الاجتماعي بالتعليقات السلبية إزاء الطوفان والعدوان الإسرائيلي على لبنان. علمًا أن متابعة الحالة والنشاط البارز للإعلاميين يؤشر إلى أن الأمر فيه جوانب من الاجتهادات الشخصية وليس فقط توجيهات رسمية؛ فقد فتحت القنوات الإعلامية الخليجية الباب واسعًا، أمام استضافة من يُهاجم الطوفان، وكانت قناة العربية رائدة في ذلك، بل إنها استضافت أحد رجال الدين الشيعة اللبنانيين المعادي لحزب الله، وأتاحت له مساحة غير مسبوقة لتوجيه انتقاداته للحزب ولقياداته، ولكل أطياف الطوفان بشكلٍ عام[٢].

الأخطر من ذلك يتمثل في الفيلم المسيء "ألفية القضاء على الإرهاب"[٣] الذي أنتجته قناة mbc في العراق حول قادة المقاومة الذين استشهدوا جراء الاستهداف الصهيوني، ووصفتهم بالإرهابيين معتمدة بصورةٍ كاملة على السردية الصهيونية[٤]. وقد تعرضت القناة للاقتحام من الشعب العراقي الذي استنكر تلك المعالجة، كما ألغت السلطات العراقية ترخيصها، كانت المفاجأة من الشعب السعودي؛ حيث ندد سعوديون بالاعتداء على مقر القناة، من بينهم عبد اللطيف آل الشيخ الذي رأى في ذلك "انتهاكًا صارخًا لحرية الإعلام والتعبير"[٥].

ثانيًا- مداخل أساسية للفهم والتحليل

وهي بمثابة خلاصات لابد من بلورتها، بناءً على ما سبق تناوله وتتبعه بشأن الموقف الخليجي من العدوان الإسرائيلي على لبنان، على سبيل المثال:

١- **دلالات تمايزات الموقف الخليجي إزاء لبنان:** من الرصد السابق للموقف الخليجي من الأزمة اللبنانية الحالية تحدثنا عن ثلاثة اتجاهات متمايزة -وإن كان تمايزها ليس حادًا أو عنيفًا- أولها الاتجاه السائد وتقوده أربعة دول وهي السعودية والإمارات والبحرين والكويت، ورغم أنهم جميعًا في مربع الموقف السائد إلا ان بينهم اختلافات نوعية من حيث حجم التأثير ونوعيته لا تؤثر على عملية التصنيف. وثانيها الاتجاه المغاير؛ ونقصد به الموقف القطري الذي لا يتماهى مع موقف الدول الأربع السابق الإشارة إليها، وهذا التمايز بات واضحًا للعيان منذ الأزمة الخليجية /أزمة الحصار، حينها كان الموقف اللبناني لافتًا فقد تحول من الحياد إلى رفض الحصار على قطر[٦] ودفع ثمنًا

الرابط: https://2cm.es/PIUo

(١) يعود ذلك إلى طبيعة المجتمع البحريني الذي يتميز بوجود معارضة قوية ومؤثرة وإن كانت معظمهم من الشيعة، ولعبوا أدوارا بارزة في مواجهة النظام وتنظيم المظاهرات ضده منذ اندلاع موجات الربيع العربي٢٠١١م.

(٢) مقابلة خاصة مع محمد الحسيني يناقش فيه تداعيات اغتيال حسن نصر الله، قناة العربية، ٢٠٢٤/٩/٢٨، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/lbw3uVCR

(٣) قناة MBC تنشر تقريرًا يثير الجدل ونشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي يطلقون حملات لمقاطعتها، موقع رؤيا الإخباري، د.ت، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/RAJcUxmv

(٤) صفاء الكبيسي، MBC تتبنى رواية الاحتلال: المقاومة الفلسطينية إرهابية، العربي الجديد، ١٩ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2cm.es/NiZz

(٥) تقرير نشر بموقع bbc بعنوان: غضب واسع بسبب تقرير تلفزيوني لقناة سعودية يصف قادة حماس وحزب الله بـ"الإرهابيين"، وذلك بتاريخ ٢٠٢٤/١٠/١٩، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/c21SO6Wc

(٦) كان لافتًا تصريح وزير الخارجية اللبناني في ختام القمة الاقتصادية العربية التي عقدت في بيروت يناير ٢٠١٩، حينما أشاد بمشاركة أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، ووصفها بأنها بادرة "لكسر الحصار عن القمة"، وذلك عقب تراجع عدد من القادة العرب عن المشاركة في القمة بعدما أعلن أمير قطر مشاركته فيها. انظر التالي:
- في ختامها.. وزير لبناني يشكر قطر على "كسر حصار" القمة الاقتصادية، الجزيرة، ٢٠١٩/١/٢٠، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/5GR8cqZs

لذلك، ومن ثم لم تنس قطر ذلك الموقف. وفي الوقت نفسه، يجب أن نقرأ الموقف القطري في المساحة النسبية الدولية الذي يتحرك فيها، فلا أحد يستطيع أن يُنكر امتلاك الدوحة أدوات تأثير ونفوذ إعلامية، ودبلوماسية، ومالية، وسياسية ولكنها تظل أيضًا تعرف كيف تتعامل، ومع من تتعامل في الساحة الدولية، بيد أن ذلك سمح لها بأن تتخذ هذا الموقف المغاير للسائد في الساحة الخليجية.

أما موقف عمان، فهو موقف تقليدي مألوف منها وعنها، فهي لا تزال تتمسك بأصولٍ تاريخية للموقف العربي من إسرائيل لم يعد أحد يتبناها من مثل تبنيها لمبدأ "الأرض مقابل السلام" (في تمسكها بحدود ٦٧، والقدس الشرقية عاصمة لإسرائيل)، في حين أن دول الخليج الأخرى، وخاصةً أصحاب الاتجاه السائد أو الغالب باتوا اليوم يتبنون مبدأ "السلام مقابل السلام"، ومعظمهم منخرطون أو سينخرطون قريبًا في مسار التطبيع والاتفاق الإبراهيمي.

٢- **تغيرات الموقف السعودي والعلاقات الخليجية - اللبنانية:** فيما يبدو أن هناك شبه اتفاق بين الدول الخليجية على أن لبنان تقع في الحياض السعودي، وحتى إذا كانت السعودية نفسها -المرحلة / القيادة الحالية- لا تريد استمرار هذه العلاقة بعدما غيرت من طبيعة علاقاتها بالعديد من الأطر الإقليمية الأخرى الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية والمجتمعية، فلا أحد من الدول الخليجية الأخرى يرغب في أن يحل محلها. ومن ثم، فإن العدوان على لبنان صادف هذه المرحلة في العلاقات السعودية اللبنانية المتوترة والمتغيرة، وفي الوقت نفسه ليس لدى أي دولة خليجية أو عربية أخرى الرغبة في معاداة السعودية بالنفاذ إلى الملف اللبناني، بل إن معظم هذه الدول كانت ملتزمة بالموقف السعودي من لبنان عندما شهدت علاقتهما بعض التوترات والتي وصلت إلى قطع العلاقات الدبلوماسية والتعاون الاقتصادي لعدة أشهر خلال عام ٢٠٢١[١]، وحتى بعد نجاح وساطات عودة هذه العلاقات إلا أنها ظلت تشهد بعض البرودة[٢].

وقد يكون لهذه البرودة أصول وجذور؛ لأنه قد سبق هذه الأزمة أزمة أخرى تمثلت في إجبار السعودية لسعد الحريري رئيس الوزراء اللبناني عام ٢٠١٧ على تقديم استقالته من الرياض نفسها واحتجازه فيها لعدة أيام[٣]، وكذلك عدم اصطفاف لبنان مع دول الحصار على قطر. مثل هذه التوترات مكنت إسرائيل من أن تفعل ما أرادت بلبنان في ظل التراخي الخليجي بصفةٍ عامة والسعودي بصفةٍ خاصة، بل إنه في بعض الأحيان يبدو للمراقب أن هناك ترحيبًا خليجيًا بذلك العدوان الإسرائيلي، وهناك دلائل على ذلك من مثل مشهد رجل الدين محمد علي الحسيني، أمين عام المجلس العربي الإسلامي الذي يخرج بشكلٍ متكرر من قناة العربية ليخاطب القادة اللبنانيين ويتنبأ بمقتلهم صائحا: "أجمع شملك واكتب وصيتك، فمن اشتراك باعك اليوم، ولو تعلم ماذا قالت إيران عنك؟ وماذا أوصلت من معلومات؟ وماذا أرادت مقابل رأسك؟"[٤] وهو موقف كاشف ودال، لا يمكن التغافل عنه.

- أحمد علي حسن، بعد عام ونصف لبنان يحدد موقفه من حصار قطر، الخليج أونلاين، ٢٠ يناير ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: http://khaleej.online/LRMYd5

(١) كانت الأزمة، غير المسبوقة بين بيروت والرياض، بدأت عقب نشر مقابلة لوزير الإعلام اللبناني، جورج قرداحي، سُجّلت في أغسطس ٢٠٢١ (قبل تعيينه وزيرًا)، وبُثّت في ٢٥ أكتوبر ٢٠٢١، قال فيها إنّ الحوثيين "يدافعون عن أنفسهم ضد اعتداءات السعودية والإمارات"، وإنّ الحرب في اليمن "حرب عبثية" يجب أن تتوقّف، انظر: أزمة العلاقات اللبنانية السعودية: خلفياتها وآفاق حلها، وحدة الدراسات السياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، تقدير موقف، ٢٠٢١/١١/١١، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/pqLEo7

(٢) رابحة سيف علام، أزمة الحكم في لبنان وتداعياتها المحلية والإقليمية، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية . الأمانة العامة، العدد ١٨٩، ربيع ٢٠٢٢، ص٣٤.

(٣) أسامة أبو نحل، الأزمة الخليجية وتداعياتها على الأمن القومي العربي، مجلة كلية الدعوة للبحوث والدراسات القانونية والإنسانية، كلية الدعوة الجامعية غزة . قسم البحث العلمي والمكتبات، العدد ٢، مايو ٢٠١٨، ص٩٤.

(٤) «اكتب وصيتك».. شاهد كيف تحققت نبوءة اغتيال حسن نصر الله قبل استهدافه بساعات (فيديو)، المصري اليوم، ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/TKFWnHgX

٣- **القراءة الإسرائيلية للسياقات العربية:** انتظرت إسرائيل ما يقرب من العام في تطوير عدوانها على لبنان كانت خلاله قد استطاعت أن تستنزف قدرات المواقف العربية الرسمية والشعبية في متابعة العدوان على غزة، في الوقت نفسه فإن أداء حزب الله خلال ذلك العام رغم حضوره الفاعل مقارنةً بأي حضور عربي أخر في دعم غزة في مواجهة العدوان، إلا أنه كان أقل من التوقعات، ولذلك سمح لإسرائيل ومن يبرر لها أفعالها جراء ما تعرضت له في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ أن يتقبل ذلك العدوان الغاشم على لبنان؛ حيث بدأ العدوان بتاريخ ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤، واستمر حتى توقيع وقف إطلاق النار بتاريخ ٢٧ نوفمبر من العام نفسه حربًا ضروسًا على لبنان. ولا شك أن لإسرائيل استفادت من فشل الحزب في عملية الردع، مما منحها مبررات -أمام من يريد أن يرى ذلك- للعدوان الغاشم بهذه الدرجة؛ حيث جرى خلال تلك الفترة[١] استهداف البنى - رصيد الحزب المادي- كما استهدف القيادات على أعلى مستوى -رصيد الحزب البشري والمعنوي- بعنفٍ كبير أسفر عن اغتيال أمينين عاميين للحزب خلال أيام قليلة (حسن نصر الله وهاشم صفي الدين الذي كان مرشحًا لخلافته)، وصحبهما عدد كبير من قيادات الحزب.

وإن كان التقييم النهائي لموقف حزب الله من طوفان الأقصى يحتاج إلى دراسة منفردة، إلا أنه من الجدير بالذكر القول إن حزب الله لم يتحسب لهذه النهاية التي وصل إليها، وإلا لكان قد اختلف مسار تحركاته منذ اليوم الأول للطوفان.

٤- **طبيعة اللحظة الراهنة لأزمة العدوان الإسرائيلي على لبنان:** لا يمكن القول بأن العدوان الإسرائيلي على لبنان قد انتهى على الرغم من توقيع اتفاق وقف إطلاق النار، فهناك حالة من التوتر لا تزال تخيم على الأجواء، إضافةً إلى أن التصعيد بين إسرائيل وإيران على الرغم من أنه نتج عن الطوفان إلا أنه اتخذ مسارًا مستقلًا، ولن يتوقف بتوقف المعارك في لبنان أو قطاع غزة، فقد ترى إسرائيل في مجيء الرئيس الأمريكي الجديد ترامب فرصةً لا تعوض في أن تستهدف إيران، خاصةً وأن لديه موقف مسبق من مساعي إيران للحصول على القنبلة النووية، ومن جانبٍ آخر يدعم هذا المسار وضع إيران في اللحظة الراهنة فهي تعاني بعد فقدانها حليفين من أهم حلفائها في المنطقة في سوريا ولبنان، ومن ثم لم يعد أمامها إلا امتلاك القنبلة النووية[٢]، فهل تتركها أمريكا أو إسرائيل تستكمل هذه المساعي؟

وبناءً على ذلك، فقد يتعقد وضع المنطقة أكثر مما هي عليه الآن إذا ما أقدمت إسرائيل على توجيه ضربة إلى إيران، حينها قد لا تتورع إيران عن إشعال الإقليم، ونقلًا عن صحيفة الشرق الأوسط السعودية بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/١٣ "اليوم تناقلت جميع وسائل الإعلام العبرية تصريحات صريحة لمسؤولين كبار في الحكومة والجيش الإسرائيليَّيْن، يؤكدون فيها أن «الهدف المقبل للجيش الإسرائيلي هو توجيه ضربة لإيران».. كما أشار البعض إلى أن سلاح الجو الإسرائيلي يدرس توجيه ضربة قاصمة للحوثيين في اليمن كجزء من هذه الاستعدادات"[٣]، وقد شهدت الأيام اللاحقة لهذا التصريح توجيه ضربات إسرائيلية مكثفة استهدفت العديد من المنشآت اليمنية بما في ذلك المطارات المدنية من مثل مطار صنعاء الدولي[٤].

٥- **طوفان الأقصى بين التهديد الوجودي لإسرائيل**

---

(١) وحدة الدراسات السياسية، العدوان الإسرائيلي على لبنان بعد استهداف مقر القيادة المركزية لحزب الله واغتيال أمينه العام، تقدير موقف الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٩ أيلول، سبتمبر ٢٠٢٤، ص٤.

(٢) انظر التالي:

- ضربات وقائية على طاولة ترمب لمنع إيران من تطوير قنبلة نووية، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠٢٤/١٢/١٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/HIqV6mn4

– Alexander Ward and Laurence Norman,Trump Team Weighs Options, Including Airstrikes, to Stop Iran's Nuclear Program, the wall street journal, 13 Dec. 2024, available at: https://2u.pw/H7ewSCqO

(٣) نظير مجلي، إسرائيل تمهد لضربة عسكرية لإيران بعد تدمير قدرات الجيش السوري، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠٢٤/١٢/١٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/l8bQkxFL

(٤) إسرائيل تشن غارات واسعة على اليمن وتتأهب لردّ حوثي، الجزيرة، ٢٠٢٤/١٢/٢٧م، متاح عبر الرابط التالي: https://2cm.es/Ni-7

والرغبة في حماية اتفاقات إبراهام: شكلت اتفاقيات إبراهام نقلةً أساسية في العلاقة بين الكيان الصهيوني ومعظم دول الخليج، وكذلك مع دول الجوار للأراضي الفلسطينية المحتلة، على جانب آخر أرسى طوفان الأقصى شعورًا جارفًا لدى الأطراف المختلفة المتورطة في العملية السياسية في المنطقة أن إسرائيل ليست كما تدعي، ورغم أن ذلك مثَّل فرصة كبيرة جدًا للأطراف العربية على وجه الخصوص كان من الضروري استثمارها والبناء عليها، إلا أن معظم التعاطي العربي الرسمي مع هذه الفرصة كان عكسيًّا، إذ رأت أن الطوفان خطأ كبير، وما كان له أن يكون، وصنعوا مخيالًا لإسرائيل سمح لها أن تفعل ما تريد ردًّا على عملية السابع من أكتوبر٢٠٢٣، وسارعوا بنفي صلتهم بتلك العملية، بل ذهبوا أبعد من ذلك برؤيتهم لها بأنها خطأ يستوجب العقاب حتى لا يتكرر، ولكنهم راهنوا أن يكون العقاب خاطفًا، في حين كان لإسرائيل رأي أخر فقد أرادت له أن يكون دائمًا، ومن هنا كانت المواقف المتجاهلة لما يحدث في لبنان من اشتباكات محدودة مع الكيان الصهيوني. ومن ثم، لم يبدأ تبلور موقف خليجي ضد هذا العدوان إلا عندما أعلنت إسرائيل عن رغبتها في اجتياح لبنان، واغتيال القيادات وتفجير المجتمع بالعمليات المخابراتية (عملية البيجر)[١]. إن جوهر التقاعس الخليجي والعربي من طوفان الأقصى أو العدوان على لبنان لا يمكن فهمه إلا في ضوء قواعد الشرق الأوسط الجديدة، ومنها أولوية مصالح القوى الكبرى وإسرائيل في تلك البقعة من العالم[٢]، وهو ما ينقلنا إلى النقطة التالية.

٦- **تغيير شكل الشرق الأوسط بقيادة إسرائيل:** تتبنى إسرائيل استراتيجية مفادها تغيير شكل الشرق الأوسط وأنها باتت الدولة القائد في المنطقة، وقد صرح رئيس الوزراء الإسرائيلي أكثر من مرة وفي مناسباتٍ متعددة أن دولة الكيان الصهيوني "تغير الشرق الأوسط وتعزِّز موقعها كدولة مركزية في المنطقة"، وأضاف أنه "بانهيار نظام الأسد فإن فصلًا جديدًا في تاريخ الشرق الأوسط فُتح بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٨"[٣]، وتكتمل هذه الإستراتيجية باستراتيجية التطبيع والمسار الإبراهيمي الذي تلعب فيه دولة الإمارات دورًا كبيرًا، في محاولة منها للقبول بمنصب صديق البطل /القائد بعدما فشلت في أن تكون قائدة النظام الإقليمي العربي رغم ما بذلت من جهد (سياسي، واقتصادي، وإعلامي) في هندسة هذا المشهد.

٧- **من طوفان الأقصى إلى طوفان الأمة:** هناك تحليل يرى أن طوفان الأقصى هو من أحداث المستوى الكلي/ الحضاري، ومن ثم فإن أي تحليل لهذا الحدث على أي مستوى أدنى من ذلك لن يكون مفهومًا، أو مقدرًا، وبناء على هذا التصنيف فإن

(١) وشهدت مناطق لبنانية عديدة انفجارات خلال يومي ١٧ و١٨ سبتمبر الماضي، عندما انفجرت أجهزة "بيجر" كانت بحوزة عناصر من حزب الله، مما تسبب في مقتل أكثر من ٣٠ شخصًا وجرح مئات آخرين، الأمر الذي شكل ضربة قوية للحزب، انظر: عميلان بالموساد يكشفان تفاصيل جديدة عن هجمات البيجر في لبنان"، الجزيرة، ٢٠٢٤/١٢/٢٣م، متاح عبر الرابط التالي: https://2cm.es/Ni-r

(٢) تضمنت إحدى الدراسات البارزة رصدًا لعددٍ من القواعد التي تراها مفسرةً لأوضاع وتغيرات المنطقة، ونظرًا إلى أن الدول الخليجية قد انخرطت أكثر من أي وقتٍ مضى في الأوضاع الإقليمية والدولية، وباتت تعتبر نفسها أقطابًا مؤثرة إقليميًا ودوليًا، فرغم وجود مؤسسة إقليمية تجمعها إلا أن المنافسة بينهم أشد من منافستهم مع من خارج مؤسستهم مجلس التعاون الخليجي، فهي .وبعيدًا عن الدعاوى الإعلانية والتحليلات الإعلامية والافتراضية. تعيش هذه الدول في علاقتها في الإقليم وفق هذه القواعد الخمسة ولا تتعداها، وهي منع ظهور أي قوة إقليمية قوية تهدد المصالح الاستراتيجية للقوى الخارجية، منع وحدة المنطقة العربية وإبقائها مفككة، إغراق المنطقة في صراعات مستمرة، عزل المنطقة عن حزامها الأمني الطبيعي أو ما يعرف بالحاضنة الشعبية، دمج المنطقة في الاقتصاد العالمي مع إبقائها تابعة ومتخلفة، مع التأكيد على أن مسألة اضطلاعها بمواقع إقليمية ودولية في حقيقة أمرها هي تسكين نفسها ضمن هذه القواعد بدرجات مختلفة تتفاوت تبعا لمقدرة كل دولة في هذا التسكين ضمن المنظومة الدولية وإقناع الأطراف المؤثرة إقليميا ودوليا بقدرتها على القيام بذلك الدور وإتقانها له وخدمتها له ماليا ومعنويا، انظر: عماد شاهين، الشرق الأوسط: نظرة من الداخل، منتدى الشرق . الشرق للأبحاث الاستراتيجية، ٧ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ZqiEjdrQ

(٣) نتنياهو: سنغير الشرق الأوسط والجولان إسرائيلية للأبد، الجزيرة، ٢٠٢٤/١٢/٩م، متاح عبر الرابط التالي: https://2cm.es/Ni-v

هذا الحدث يحتاج إلى مناهج التحليل الحضاري التي تقف على جذوره التوحيدية، وسياقاته السننية، وبناه المقاصدية والقيمية، ووحدته الإنسانية الفطرية[١]. ولذلك كان أستاذنا الدكتور سيف الدين عبد الفتاح حريصًا في مقال له نشر بتاريخ ١٠/١١/ ٢٠٢٣ على توصيف الطوفان وربطه مع الأمة منذ الأيام الأولى له، وضمن هذا الربط الحضاري[٢] "ومن هنا فإننا نؤكد أن هذه العملية الكبرى "طوفان الأقصى" إنما تشكل في الحقيقة "طوفان الأمة"" كما أكد في مقالٍ أخر[٣] أن "طوفان الأمة هو الحاضن للمقاومة؛ حيث يصير الانتماء إلى كيان الأم –"الأمة"- مصدر كرامة وعزة وإعزاز يصيب كل راغب في الانتماء، وكل باحث عن هُوِيَّة.."، ومن ثم فإن التصنيف المناسب لدول الشرق الأوسط في الوقت الحالي بين "دول الطوفان" و"دول معادية للطوفان".

ثالثًا- رؤى مستقبلية في إطار الموقف الخليجي من لبنان

لقد كتب العدوان الإسرائيلي على لبنان صفحةً جديدةً في العلاقات الخليجية اللبنانية باعتبارها جزءًا لا يتجزأ مما طرأ على الوضعية السياسية والحضارية لدول الخليج -السعودية والإمارات والبحرين، وتلاحقهم الكويت على عجلٍ- من تغيرات بعد طوفان الأقصى، في حين أن قطر لديها موقف مستقل عن باقي دول الخليج، هي لا تعارضها، بشكلٍ معلن، ولكن باتت تحتفظ لنفسها بمساحة عن مواقف دول الخليج الأخرى، كلما سمحت لها الفرصة بذلك، كما جاءت في السياق نفسه الثورة السورية وخلع نظام بشار الأسد لتزيد من تعقيدات الإقليم، إلا أنه من الممكن أن تكون هذه التطورات لصالح الدول الخليجية وليست ضدها، وقد رأينا معظم الدول الخليجية تبادر إلى التواصل والاتصال بالقيادة السورية الجديدة وتُبدي انفتاحها على التعاون مع هذه القيادة التي خلفت الرئيس المخلوع، ولذلك من الضروري بحث سيناريوهات العلاقات الخليجية اللبنانية في الفترة المقبلة في إطار هذه التطورات، والتأثيرات الجانبية لها، وذلك على النحو الآتي:

السيناريو الأول: ضعف النفوذ الإيراني في المنطقة بما جرى وسيجري

ترتب على العدوان الإسرائيلي على لبنان ضعف وتعقد وضعية الحزب في الداخل اللبناني، وبذلك فقد **بات لدى الدول الخليجية ولبنان فرصة كبيرة لاستعادة العلاقات الطبيعية** بينهم خاصة إذا ما كان حزب الله هو المسؤول عن تدهور تلك العلاقات. ما يصب في تعزيز هذا السيناريو أن هناك تقارير دولية تفيد بأن هناك استعدادات لتوجيه ضربات إسرائيلية أو أمريكية أو أمريكية إسرائيلية لإيران، وكذلك استهداف جماعة الحوثيين في اليمن (والتي توصف بأنها ذراع إيران في اليمن)، ليستكمل ذلك الضربات المؤثرة التي تلقتها إيران في لبنان وفي سوريا بفقدان نظام بشار الأسد، وبغض النظر عما قد تقوم به إيران من رد فعل وإن طال بعض الدول الخليجية كما تهدد دومًا، فإن الأمر الملحوظ أنه سيتم إضعاف إيران وهو ما سيصب في صالح الدول الخليجية نفسها التي كانت قد حاولت دفع ثمنًا أخلاقيًا وسياسيًا كبيرًا على حساب الشعب السوري نفسه للحصول على ما أعطته لها ثورة سوريا مجانًا، أي إضعاف إيران بإفقادها تعاون بشار الأسد.

ومن ثم، فهناك فرصة كبيرة تلوح أمام الدول الخليجية لتخفيض حدة قلقها من إيران، سواء بالشكل الراهن، أو بأكثر من ذلك إذا سلكت إسرائيل وأمريكا ما يبدو أنهما يرتبان له من استهداف إيران بضربة موسعة، في ظل تطورات كهذه سيكون أمام الدول الخليجية المساحة لاستعادة علاقات طبيعية مع لبنان على أقل تقدير. ومن جانبٍ أخر، بإمكان الدول الخليجية

---

(١) حسين القزاز، ملخص مشروع رؤية الانبعاث الحضاري، مركز إنسان للدراسات الحضارية، ٢٠٢٣/٠٣/٢٣م، متاح عبر الرابط التالي: https://insancs.net/summary/

(٢) سيف الدين عبد الفتاح، "طوفان الأقصى" جرفت أوهام التطبيع والمقاولة والمساومة.. مفاهيم ملتبسة (٧٢)، عربي ٢١، ٢٠٢٣/١٠/١١م، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/nyWbGeq3

(٣) سيف الدين عبد الفتاح، بيان طوفان الأقصى "أمتي.. أمتى".. مفاهيم ملتبسة (٧٤)"، عربي ٢١، ٢٠٢٤/١١/٢٥م، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/pf3mP54v

أن تقلل من نفوذ الهيمنة الأمريكية -الإسرائيلية عليها في ظل (غياب حجة التخويف) التهديد الإيراني -إذا ما أرادت ذلك- ما يعني حرية أكبر في اتخاذ القرار، واستقلالية في إدارة شؤونها البينية والإقليمية والدولية، وبناء علاقات صحية وفعالة مع لبنان وسوريا.

وفي هذا السيناريو مصلحة أيضًا للبنان الذي بات لديه فرصة كبيرة لبناء علاقات متوازنة والتخلص من الهيمنة القديمة (إيران)، وإعادة تعريف علاقته مع سوريا، وإنهاء القطيعة المستحدثة (مع دول الخليج خلال السنوات القليلة الماضية)، كما أن انفكاك سوريا الجديدة من الأسر الإيراني، وتقبل قيادات ثورتها عربيًا يسهم في تعظيم استقلالية القرار السوري عن أي نفوذ إقليمي في المنطقة، ومن ثم يستعيد النظام الإقليمي العربي "القطب السوري" بما له من ثقل وأهمية استراتيجية غابت خلال السنوات السابقة. ومن المتوقع أن يصب هذا التوازن في كل من لبنان وسوريا، في صالح الدول الخليجية التي ستجد نفسها في سياقٍ إقليمي آخذ إلى التوازن واستعادة القوة والسمعة والنفوذ المفقود، مع أهمية التأكيد على ضرورة أن تنجح ثورة سوريا ولا تنتكس أو تقع فريسة المعادين للثورة داخليًا وإقليميًا ودوليًا.

السيناريو الثاني: استحكام سيطرة الاستراتيجية الإسرائيلية الأمريكية على شؤون المنطقة

تحاول الدول الخليجية الرئيسية (السعودية والإمارات) صناعة -ويمكن أن نقول إشاعة- تصورًا عن قدرتها على تطويع السياسة الأمريكية والإسرائيلية لتحقيق مصالحها والانصياع لها، وأنها باتت حجر أساس في هذه الاستراتيجية، وتعيد تعريف نفسها بأنها من بين الدول الكبرى التي تملك رؤية خاصة بها لمناطق الصراع في المنطقة؛ فهي قد تقطع علاقاتها -وتجر دول الخليج خلفها- مع دولة مثل (لبنان)، أو تقدم نفسها باعتبارها طرف ثالث لديه إمكانات تسهل عقد المصالحات أو وقف إطلاق النار (السودان)، أو اختيار مجرد تقديم مساعدات وخطط لإعادة الإعمار (فلسطين ولبنان)، أو باعتبارها دولة عظمى صاحبة مصلحة في تغليب طرف معين في صراعات المنطقة وهناك العديد من النماذج الدالة على هذا الأمر.

ولكن رغم تلك الصورة التي تقدمها بعض دول الخليج لنفسها على المستوى الدولي، فإنها في حقيقة أمرها تدور في فلك الاستراتيجية الغربية والمعروف موضع إسرائيل منها. هذا السيناريو رغم أنه السيناريو الأسوأ إلا أنه سيناريو الأمر الواقع.

ومن ثم فقد ترى الدول المركزية في الاستراتيجية الغربية أن على بعض دول الخليج -خاصةً دول الاتجاه السائد- أن تعمد إلى محاولة احتواء لبنان لأن ذلك في الأصل يأتي من حالة الفراغ التي خلفها النفوذ الإيراني في لبنان (في حال تحقق الاختفاء)، وذلك بما لديها من ارتباطات تاريخية مع لبنان. أما بشأن سوريا الثورة، فقد ينفتح البعض من الدول الخليجية وينغلق البعض الأخر، سواء لمواقف خاصة بمدى الانفتاح قبيل الثورة على نظام بشار الأسد، أو المواقف الرافضة للتعاون مع التيارات الإسلامية التي وصلت إلى السلطة، أو للارتباطات السورية مع القوى الإقليمية الجديدة تركيا وقطر.

السيناريو الثالث: غلبة البعد الأيديولوجي وإعادة إنتاج أزمة الإسلام السياسي

هناك دائمًا مقولة مفادها أن النظام الإيراني لديه مشروع سياسي ديني، وأن دول السنة لا تملك مثل هذا المشروع، ورغم صحة هذه المقولة إلا أنها غير مكتملة، فثمة جانب آخر مسكوت عنه يتمثل في أن هذه الدول التي لا تملك مشروعًا لا تريد ذلك لأنها ارتضت بتسكين نفسها في مسار الاستراتيجية الغربية، ومن هنا كانت هجمة هذه الدول على الإسلام السياسي وقيادة مساعي كبيرة على المستويات كافة المحلية والإقليمية والدولية لوصم هذه الجماعات بالإرهاب[1].

(١) تغريدة نشرها الشيخ السعودي سليمان الرحيلي على حسابه على موقع(x) تويتر سابقًا، بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/١١م، جاء فيها: أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ألا يُمكِّن الإخوان من اختطاف بلاد السوريين، وألا يطفئ الخوارجُ فرحة السوريين، وألا يُمكِّن المفسدين في الأرض من

وعلى الرغم من ذلك، بات أمام الدول الخليجية واقعًا عصي على التجاهل يتمثل في أن استئصال القوى الإسلامية من المنطقة مسألة غير واقعية لأبعاد جذرية في المجتمعات، وبالتالي فإن بناء علاقات متوازنة مع هذه التيارات هو السبيل الأفضل لاستقرار وبناء هذه الدول، وقد اتضح للجميع الثمن الذي تدفعه المجتمعات من انهيار وتدمير وتهجير وتفكك وتقسيم بنيتها الداخلية. ومن ثم، فإن الحديث عن مشروع سني يستدمج هذه التيارات ويعيد ضبط العلاقة معها هو الخيار الأمثل الذي يمكّن هذه الدول من بناء سياج بينها وبين هيمنة الاستراتيجية الغربية -الإسرائيلية من جانب، ومن جانب آخر يضمن توازن العلاقات بين هذه الدول وبين القوى الإقليمية الأخرى سواء لديها مشاريع متعارضة أو متماثلة.

في إطار ما سبق قد يكون من الأفضل أن تعيد الدول الخليجية (أصحاب الموقف السائد) حساباتها للاستفادة من الثورة السورية، وتُقدم على إقامة علاقات معها بشكلٍ مبكر دون أن تهدر الفرص وتدفع أثمان التأخير بأن تسمح لأطراف أخرى -بدأت بالفعل- ببناء علاقات مع دمشق، حيث بادرت تركيا (وكذلك قطر) بإرسال وفد لزيارة سوريا[١]، كما بادرت الولايات المتحدة برفع العقوبات المفروضة على قيادات سوريا الجديدة، بل والتقت هذه القيادات مع بعض المسؤولين الأمريكيين في زيارة لهم إلى دمشق[٢].

بيد أنه لا يمكن في الوقت نفسه تفسير تقاعس الدول الخليجية وخاصة الإمارات[٣] عن بناء علاقات مع سوريا الجديدة بسبب توجه القيادة الحالية من أصحاب الرؤى الإسلامية، ولكن قد يكون الأمر تحسبًا من الورطة التي قد يقعون فيها مع إسرائيل في قادم الأيام في حال استمرت في توجيه الضربات إلى سوريا، المعنى الذي يرتبط مع الطرح الأساس لهذه الورقة في عمق العلاقات الخليجية مع الاستراتيجية الغربية - الإسرائيلية، مما يحد من قدرة هذه الدول على اتخاذ قرار منفرد في مثل هذه المواقف والتغيرات. إلا أننا نقول إنه لا يجب أن تلتزم الدول الخليجية بهذا التصور وتهدر فرصة استعادة سوريا الجديدة وتحصينها من أن تقع تحت أي التزامات إقليمية أخرى، وإنما في ضمان استقلال القرار السوري مصلحة عربية في المقام الأول، واكتساب قطب وركن مهم من أركان الإقليم يمكن أن يعيد ضبط علاقاته ومساعدة الدول الخليجية نفسها على عدم الوقوع تحت ربقة الهيمنة الغربية الإسرائيلية.

خاتمة:

بات بالإمكان القول إنه بمعلومية طوفان الأقصى، وسياقات تجدد الربيع العربي في موجته الثالثة في سوريا، والأسئلة الصحيحة حول العدوان الإسرائيلي المستمر والمتوحش عقب السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ على غزة ولبنان، وكذلك ما طرأ من توسع لهذا العدوان الصهيوني على سوريا الجديدة -سوريا الثورة- فإن الشرق الأوسط بات بين تدافع قوتين، قوى المنظومة الغربية الإسرائيلية ومن يناصرها من المعادين للطوفان، وقوة دول الطوفان؛ ومن هنا فمن الضروري أن نؤكد على ما دفعنا به في المقدمة من أن الشرق الأوسط يمر بمرحلة تغييرات جذرية، وأنه سيكون ساحة حرب مستمرة سواء بشكلٍ مباشر ومعلن أو غير مباشر وخفي، فالقوى الدولية وأذنابها في المنطقة ستكون حريصة أشد الحرص على استمرار ديناميكية السياسة كما هي في المنطقة، في مواجهة دول الطوفان التي سيزداد عددها يومًا بعد يوم.

علمًا أن الأمر سيكون بمثابة موجات متتالية من النجاح والإخفاق، إلا أن ما يرسخ لدينا من عقيدة انتصار الطوفان أنه هو استراتيجية الشعوب العربية والإسلامية في مقابل

استعمال التفريج على السوريين في زعزعة واستقرار الدول الإسلامية واستنزاف قدراتها"، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/SM6Ej3w4

(١) وزارة الإعلام السورية: وفد تركي قطري يصل إلى دمشق، الشروق، ١٢ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/wGIuGWM7

(٢) وصل دمشق.. ماذا يريد بالضبط أول وفد أمريكي رسمي يزور سوريا بعد سقوط بشار الأسد؟، موقع CNN بالعربية، ٢٠٢٤/١٢/٢٠م، متاح عبر الرابط التالي: https://2cm.es/Nj0B

(٣) أحمد المحمد، بعد سقوط رهانها على الأسد.. ما الذي يُقلق الإمارات من الوضع الجديد في سوريا؟،نون بوست، ٢٠٢٤/١٢/٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://www.noonpost.com/279430/

الاستراتيجية الإسرائيلية والقوى الغربية وتوابعهم من دول المنطقة، لقد باتت نبوءة أستاذنا الدكتور سيف الدين عبد الفتاح حول تحول طوفان الأقصى إلى طوفان الأمة حقيقة راسخة للعيان، فلا يمكن استبعاد أن الطوفان هو الذي حول المستحيل السوري إلى ممكن.

ربما قد آن الأوان أن تعيد القوى الإقليمية والدولية المعادية للتجربة والخبرة الإسلامية النظر إلى التجارب السياسية التي تستمد رؤاها من الإسلام، فالإسلام متجذر في المنطقة ولن تستطيع قوة من القوى أن تنزعه منها[١]. هذا مع الأخذ في الاعتبار أنه مهما يكن فإن الأطروحات التي تقدم في هذا السياق تظل محاولات بشرية منها المصيب ومنها المخطئ، وأنها لن تصل إلى الصيغة الشورية الصحيحة والصالحة "الصحة والصلاحية"[٢] إلا بمعلومية التجارب، واستدماج الخبرات، في ضوء قيمة ومرجعية التوحيد، ومراعاة السياقات، والاعتبار للسنن، وتخليق البنى والمؤسسات (ربط المؤسسات بالقيم والمقاصد بما فيها من منظومة الأخلاق) وذلك لأن التغيير سنة كونية {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [الرعد: ١١]. وللأستاذ الدكتور سيف الدين عبد الفتاح رؤية عميقة حول التغيير الذي تضمنته الآية الكريمة، فهو يراها قد تضمنت أربعة أنواع منه: (التغيير الإلهي، التغيير الجمعي، التغيير الجماعاتي، التغيير الفردي) ومن ثم فالتغيير قادم لا محالة، سواء من "المجتمع" أو "جماعة" منه أو "فردًا" منها بمشيئة "الله" سبحانه وتعالى.

(١) حسين القزاز، ملخص مشروع رؤية الانبعاث الحضاري، مرجع سابق.

(٢) تعود فكرة الصحة والصلاحية للمفكر مالك بن نبي رحمه الله، فهو يرى أن ليس كل فكرة صحيحة صالحة، فقد تكون صالحة لمجتمع معين ولا تصلح لمجتمع آخر، أو صالحة للمجتمع في وقت معين وليست صالحة في وقت آخر.

الموقف التركي من توسع العدوان الإسرائيلي على لبنان

محمود عاشور مؤمن*

مقدمة:

يمثل الصراع العربي-الإسرائيلي أحد القضايا المركزية التي شكلت معالم الشرق الأوسط لعقود؛ حيث شهدت حدته تصعيدًا خطيرًا بعد عملية "طوفان الأقصى" التي أطلقتها المقاومة الفلسطينية في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، وما تبعها من عدوان إسرائيلي واسع النطاق على قطاع غزة. تزامن هذا التصعيد مع توسع رقعة المواجهات لتشمل جبهات أخرى، أبرزها لبنان؛ حيث دخل حزب الله كلاعب أساسي فتح جبهة إسناد للمقاومة الفلسطينية في غزة والضفة الغربية في التصدي للعدوان الإسرائيلي، مما أعاد التركيز على الترابط الوثيق بين ساحات الصراع المختلفة في المنطقة، وشكَّل حلقة جديدة من حلقات الصراع العربي- الإسرائيلي الممتد منذ ١٩٤٨.

في ظل هذا السياق المتوتر، ظهر دور تركيا تجاه التوسعة الإسرائيلية لنطاق الحرب الأخيرة على المقاومة، فقد أبدت موقفًا داعمًا للبنان عقب تصاعد العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد حزب الله اللبناني. وتمثل هذا الموقف في انتقادات دبلوماسية وجهتها تركيا لإسرائيل، ووصفت خلالها العمليات العسكرية بأنها "انتهاكات خطيرة للقانون الدولي"، بالإضافة إلى إطلاق دعوات لوقف إطلاق النار، وفتح ممرات إنسانية، وتنسيق الجهود الدولية لتقديم المساعدات الإنسانية لغزة ولبنان. فهل مثَّل الموقف التركي من توسع العدوان الإسرائيلي في لبنان حالة إستثنائية مقارنةً بمواقف الدول العربية والإسلامية بشكل عام؟ هذا التساؤل يدعو إلى دراسة وتحليل هذا الموقف من أبعاده المختلفة للوقوف على مضامينه السياسية والدبلوماسية فضلًا عن الروابط الثقافية والأيديولوجية.

منهجيًا، يمكن تقسيم المواقف الإقليمية من توسع العدوان الإسرائيلي وفق معيار المواجهة والتفاعل إلى ثلاثة مستويات: **الأول:** محور خط المواجهة المباشرة مثل: فلسطين (السلطة والمقاومة)، لبنان (حزب الله)، اليمن (أنصار الله الحوثيون)، وتأتي مواقف هذا المستوى بالتدخل والمواجهة المباشرة على الأرض، **الثاني:** محور المقاومة مثل: إيران، حركات المقاومة في سوريا والعراق، وتختلط مواقف هذا المستوى بين المواجهة غير المباشرة والمقاومة السلبية المتمثلة في الرفض القاطع للعلاقات الدبلوماسية، **الثالث:** الدول العربية والإسلامية، وتتمثل مواقف هذا المستوى في الإدانة الدبلوماسية والرفض دون المواجهة المباشرة أو غير المباشرة. وتقع تركيا ضمن المستوى الأخير، ومن هذا المنطلق يمكن تسكين الموقف التركي تجاه العدوان الإسرائيلي على لبنان ضمن مستوى التفاعل الدبلوماسي والسياسي دون أي نوع من أنواع المواجهة مع إسرائيل.

كذلك، فإن النظرة الشمولية المنهجية تقتضي تناول الموقف التركي من العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان في سياق الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة والأراضي الفلسطينية المحتلة بعد طوفان الأقصى وليس بمعزل عنها، فالعلاقة بين الساحتين علاقة متغيرات تابعة؛ حيث مثلت ساحة لبنان جبهة إسناد لغزة غير منفصلة في السياقات والتداعيات. وبالتالي فإن الموقف التركي يرتسم وفق محددات في أساسها واحد تختلف في المظاهر ليس إلا، إذ يعكس الموقف التركي رؤية استراتيجية تتجاوز الدعم السياسي لقضية مركزية؛ فهو يهدف إلى تعزيز نفوذ تركيا في الشرق الأوسط وتحقيق مكاسب سياسية ودبلوماسية على الساحة الدولية، مما يجعلها فاعلًا في إدارة الأزمات الإقليمية ورسم معالم السياسات المستقبلية في المنطقة.

* باحث في العلوم السياسية.

وعليه، فإن هذا التقرير يهدف إلى تقديم تحليل للموقف التركي تجاه اتساع العمليات العسكرية الإسرائيلية بعد "طوفان الأقصى"، مع التركيز على العدوان الإسرائيلي على لبنان خلال الفترة من أكتوبر ٢٠٢٣ إلى نوفمبر ٢٠٢٤. ويسعى التقرير إلى تسليط الضوء على الأبعاد السياسية والدبلوماسية والاقتصادية التي تؤثر في هذا الموقف، وكذلك استكشاف العوامل الإقليمية والدولية التي ساهمت في تشكيله. إذ يأتي هذا التحليل في إطار فهم أعمق لدور تركيا كفاعل رئيسي في منطقة الشرق الأوسط، والتحديات التي تواجهها في سعيها لتحقيق التوازن بين مصالحها الوطنية ودورها الإقليمي والدولي.

يتناول التقرير أيضًا الديناميكيات الداخلية التي تلعب دورًا في صياغة المواقف السياسية التركية، بما في ذلك التوجهات الأيديولوجية للحكومة التركية، والرأي العام المحلي، والاعتبارات الاقتصادية. كما يدرس الأبعاد الإقليمية والدولية، مثل علاقات تركيا مع الدول العربية، وتفاعلها مع القوى الكبرى مثل الولايات المتحدة وروسيا، ودورها في المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي.

أولًا- ملامح الموقف التركي الرسمي:

اتخذ الموقف التركي تجاه اتساع نطاق العدوان الإسرائيلي على لبنان عدة أشكال، يمكن بيانها فيما يلي:

أ) الإدانة الدبلوماسية

منذ تصاعد العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة والضفة الغربية، أعربت الحكومة التركية عن موقفها الرافض لهذه الأعمال. وقد برز ذلك في تصريحات الرئيس رجب طيب أردوغان، الذي وصف الهجمات الإسرائيلية بأنها انتهاكات للقانون الدولي، داعيًا المجتمع الدولي إلى اتخاذ خطوات فاعلة لوقفها. وأكد أن هذه التطورات تشكل تهديدًا للاستقرار الإقليمي والعالمي، مشددًا على أهمية التعاون الدولي، لا سيما من دول المنطقة، للحد من التصعيد وضمان الأمن. كما أشار إلى ضرورة دعم القضية الفلسطينية، مؤكدًا التزام تركيا بالجهود الرامية لتحقيق السلام والعدالة في المنطقة[١].

على الصعيد الدولي، لعبت تركيا دورًا نشطًا في المنظمات الدولية للتصدي للعدوان الإسرائيلي؛ حيث شاركت في تقديم بيانات شفهية أمام محكمة العدل الدولية، وانضمت إلى أكثر من ٥٠ دولة أخرى في إدانة السياسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة[٢]، في إطار سعيها لإدانة جرائم الاحتلال الإسرائيلي، كما أدانت الهجمات الإسرائيلية على قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في لبنان، ووصفتها بأنها انتهاك للقانون الدولي[٣].

في إطار منظمة التعاون الإسلامي، شاركت تركيا في الاجتماعات التنسيقية لوزراء الخارجية؛ حيث دعت إلى اتخاذ مواقف واضحة ضد الانتهاكات الإسرائيلية، مؤكدة أن هدف الاحتلال الإسرائيلي هو الاستيطان في غزة، وتدمير الوجود الفلسطيني في الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية وضمها في نهاية المطاف[٤]. بالإضافة إلى ذلك، ساهمت تركيا في إصدار قرارات مشتركة مع جامعة الدول العربية خلال القمة العربية والإسلامية المشتركة؛ حيث تمت إدانة العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني والمطالبة بوقفه فورًا[٥].

---

(١) أردوغان يدعو إلى تضامن دول الشرق الأوسط "لوقف التصرفات الإسرائيلية"، RT عربي، ١ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/r3xE8n2p

(٢) هاني زقوت، بمشاركة تركيا و٥٢ دولة ومنظمة إسرائيل تمثل مجددًا أمام العدل الدولية، ٢٩ فبراير ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/vZxJZdnw

(3) Turkey condemns Israeli attacks against UN peacekeepers in Lebanon, Reuters, 11 October 2024, Accessed at: 15 November 2024, available at: https://2u.pw/rugaAID3

(٤) القمة العربية الإسلامية.. الرئيس التركي: هدف إسرائيل هو الاستيطان في غزة وتدمير الوجود الفلسطيني بالضفة، وكالة الأنباء القطرية، ١١ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4hFpYF5

(٥) للمزيد عن قرارات القمة العربية والإسلامية المشتركة غير العادية،

تزامنًا مع تصعيد العمليات العسكرية في لبنان تدهورت العلاقات التركية - الإسرائيلية؛ حيث تطور الموقف التركي من مستوى استدعاء السفراء وإلغاء الزيارات وتقييد التبادل التجاري إلى مستوى قطع العلاقات؛ حيث أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قطع علاقات بلاده مع إسرائيل لا سيما التجارية، جاء ذلك عقب زيارته للسعودية لحضور القمة المشتركة الاستثنائية لمنظمة التعاون الإسلامي والجامعة العربية؛ حيث قال: "تشكل القيود التجارية والحظر على إسرائيل شكلا من أشكال النضال، ومن المهم انتهاج دبلوماسية نشطة من شأنها أن تحاصر إسرائيل في كل المجالات من أجل زيادة الضغط الدبلوماسي عليها، فنحن في خضم اختبار عظيم للإنسانية ممكن اجتيازه إذا كنا جزءا من التحالف الإنساني، وإلا فإن التاريخ سيحاكم من يقفون إلى جانب إسرائيل ويصمتون إزاء الظلم"[١].

من خلال هذه التحركات الدبلوماسية، أبرزت تركيا موقفًا ديناميكيًا من توسع العدوان الإسرائيلي في المنطقة؛ حيث أعربت عن رفضها للتصعيد الإسرائيلي لا سيما التطورات الأخيرة في لبنان. وتأتي هذه المواقف في إطار تأكيدها أهمية احترام القانون الدولي وحقوق الإنسان، مع الدعوة إلى اتخاذ خطوات عملية للحد من التوتر وتعزيز الاستقرار الإقليمي.

ب) المساعدات الإنسانية

منذ بداية الحرب الإسرائيلية على غزة، انخرطت تركيا في الجهود الإنسانية الإغاثية؛ حيث أرسلت العديد من طائرات المساعدات ومواد الإغاثة إلى غزة عبر معبر رفح، كما أرسل الهلال الأحمر التركي مساعدات تركية عبر السفن، بجانب إرسال تركيا وفود طبية من مختلف التخصصات لعلاج المصابين داخل مستشفيات شمال سيناء[٢].

في ظل التصعيد العسكري الإسرائيلي الأخير في لبنان، برزت تركيا كداعم للبنان من خلال تقديم مساعدات إنسانية متنوعة؛ تجسدت في إرسال شحنات كبيرة من المواد الغذائية والطبية، بالإضافة إلى توفير الدعم اللوجستي للنازحين والمتضررين، كما تعاونت الحكومة التركية مع منظمات غير حكومية تركية ولبنانية لضمان وصول المساعدات إلى جميع المناطق اللبنانية المتضررة، مما يعكس التزامها ودورها في تقديم الدعم الشامل للبنان في هذه الظروف الصعبة.

ففي ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٤، هبطت في مطار رفيق الحريري الدولي ببيروت طائرة مساعدات طبية تركية لدعم القطاع الصحي في البلاد، على متنها ٣٠ طنًا من الأدوية والمستلزمات الطبية. كما افتتحت هيئة الإغاثة الإنسانية التركية (IHH) مطبخًا خيريًا في منطقة إقليم الخروب بقضاء الشوف في محافظة جبل لبنان، لتلبية احتياجات النازحين الفارين من القصف الإسرائيلي على مناطق مختلفة في جنوب البلاد.[٣]

وفي ٩ أكتوبر ٢٠٢٤، وصلت إلى مرفأ بيروت سفينتا مساعدات تركيتان تحملان ٣٠٠ طن من المساعدات لتلبية احتياجات اللبنانيين. وفي ١ نوفمبر التالي، وصلت سفينة تركية ثالثة تحمل نحو ألف طن من المساعدات الإنسانية، في عمل إغاثي رتبت له جمعيات ومنظمات تركية غير حكومية عاملة في لبنان، تضمنت هذه المساعدات مواد غذائية، أدوية، مستلزمات طبية، بطانيات، وخيام، بالإضافة إلى مواد النظافة والملابس. تم توزيع هذه المساعدات على مختلف المناطق

انظر: صدور قرار عن القمة العربية والإسلامية المشتركة غير العادية لبحث العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، صحيفة المدينة، ١١ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/GWGRdyFG

(١) أردوغان يؤكد على قطع بلاده للتجارة والعلاقات مع إسرائيل، الجزيرة، ١٣ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٥ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://aja.ws/zi9fby

(٢) الموقف التركي من العدوان الإسرائيلي علي غزة: الأبعاد والمحددات، الشارع السياسي، ٥ أبريل ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٦ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://politicalstreet.org/6380/

(٣) فيدان يؤكد لميقاتي استعداد تركيا لتقديم مزيد من الدعم الإغاثي للبنان، صحيفة يني شفق، ٦ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٦ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/JhCcWhIz

اللبنانية، بالتنسيق مع الهيئة العليا للإغاثة والسلطات المحلية، لضمان وصولها إلى المستفيدين بشكل فعال.[١]

من خلال هذه الجهود، حاولت تركيا تأكيد التزامها بدعم لبنان وشعبه في مواجهة التحديات الإنسانية الناجمة عن التصعيد العسكري الإسرائيلي، وسعيها لتعزيز العلاقات الثنائية وتقديم الدعم المستمر لها.

ج) الدعوة إلى الحوار

في أعقاب التصعيد العسكري الأخير في غزة ولبنان، كثفت تركيا جهودها الدبلوماسية لدعم وقف إطلاق النار؛ حيث أجرى وزير الخارجية التركي، اتصالات مكثفة مع نظرائه في المنطقة، بما في ذلك وزراء خارجية مصر وقطر والأردن، بهدف تنسيق الجهود لوقف الأعمال العدائية. كما شاركت تركيا في اجتماعات منظمة التعاون الإسلامي، داعية إلى اتخاذ موقف موحد لوقف العدوان الإسرائيلي. بالإضافة إلى ذلك، تواصلت أنقرة مع الدول الغربية، مثل الولايات المتحدة وفرنسا، لحثها على ممارسة ضغوط على إسرائيل لوقف العمليات العسكرية[٢].

بشكل عام، يتسم الموقف التركي تجاه توسع العدوان الإسرائيلي في المنطقة بالانتقاد والرفض للسياسات الإسرائيلية، خاصة فيما يتعلق بالعمليات العسكرية الأخيرة في لبنان. حيث تُظهر تركيا دعمًا للجانبي العربي الإسلامي خلال مسار الصراع العربي – الإسرائيلي الممتد، بالإضافة إلى ذلك، تسعى تركيا إلى لعب دور الوسيط في النزاعات الإقليمية؛ حيث دعت إلى وقف إطلاق النار وتقديم المساعدات الإنسانية للمتضررين. على الصعيد الدولي، تعمل تركيا على حشد الدعم في المحافل الدولية، مثل الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي، لإدانة السياسات الإسرائيلية الأخيرة في لبنان.

ثانيًا- محددات الموقف التركي:

أ) العلاقات التركية-الإسر ائيلية:

تعود العلاقات التركية-الإسرائيلية إلى عام ١٩٤٩، وتعد تركيا أول دولة ذات أغلبية مسلمة تعترف بإسرائيل. شهدت هذه العلاقات مراحل من التعاون والتوتر على مر العقود؛ في التسعينيات تعززت العلاقات بشكل ملحوظ؛ حيث تم توقيع اتفاقيات تعاون عسكري واقتصادي، مما جعل إسرائيل أحد أهم شركاء تركيا في المنطقة. ثم بدأت العلاقات في التدهور بعد عام ٢٠٠٢، خاصة مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في تركيا؛ حيث تبنت تركيا مواقف أكثر انتقادًا للسياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين. بلغ التوتر ذروته في عام ٢٠١٠ بعد حادثة سفينة "مافي مرمرة"؛ حيث قتلت القوات الإسرائيلية نشطاء أتراك كانوا على متن السفينة المتجهة إلى غزة. أدى ذلك إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين لفترة. وفي السنوات الأخيرة، شهدت العلاقات محاولات للتطبيع، مع تبادل الزيارات الرسمية وإعادة السفراء، إلا أن التوترات ظلت قائمة بسبب القضايا الإقليمية والسياسات الداخلية لكل من البلدين.[٣]

تتأثر العلاقات التركية-الإسرائيلية بشكل مباشر بالتصعيدات العسكرية في المنطقة. كلما زادت حدة العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة أو الضفة الغربية أو لبنان، تصاعدت الانتقادات التركية، مما يؤدي إلى توتر العلاقات الثنائية. وبالتالي، يمكن القول إن العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان يمثل عقبة جديدة أمام استقرار وتطوير العلاقات التركية-الإسرائيلية.[٤]

---

(١) تحمل ١٠٠٠ طن.. سفينة مساعدات تركية ثالثة تصل إلى بيروت، TRT عربي، ١ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٦ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/A97qMrBV

(٢) وزيرا خارجية تركيا والولايات المتحدة يبحثان جهود وقف إطلاق النار في غزة، LBC، ٢١ أغسطس ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/PgxuBP7d

(٣) تطور العلاقات التركية الإسرائيلية في سطور، RT عربي، ٢٧ أكتوبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://ar.rt.com/u284

(٤) للمزيد حول تعقد العلاقات التركية الإسرائيلية على إثر تصاعد

وهو ما حدث بالفعل؛ حيث قيدت تركيا -في بداية العدوان- تبادلاتها التجارية مع إسرائيل ثم أعلنت قطع علاقاتها التجارية معها في مايو ٢٠٢٤، و مع توسع العدوان الإسرائيلي وتواصله أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في ١٣ نوفمبر ٢٠٢٤ قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل حيث قال: "نحن، كدولة وحكومة في الجمهورية التركية، قررنا قطع العلاقات مع إسرائيل، والآن ليس لدينا أي علاقات معها"[١]. ويمكن القول إن مسوغات تركيا لهذا القرار تأتي ترجمة لموقفها الرافض للعدوان الإسرائيلي المتزايد في المنطقة خاصة على لبنان.

على الرغم من التوترات المتصاعدة في العلاقات بين البلدين، تظل إحدى الديناميكيات المهمة ثابتة وقد تحد من الإجراءات الانتقامية ضد إسرائيل، وهي تحديدًا رغبة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في لعب دور في مرحلة ما بعد الحرب في لبنان. تماشيًا مع رؤية تركيا كقوة إقليمية؛ حيث تسعى أنقرة للمشاركة في إعادة بلورة المشهد الإقليمي، وتنظيم سياساته، والتوسط لإيجاد حل دائم للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. هذا يشير إلى إمكانية سعي تركيا لتجنب استمرار القطيعة الكاملة مع إسرائيل وتداعياتها كما حدث في عام ٢٠١٠، حتى المقاطعة التجارية قد تكون قابلة للاختراق؛ حيث تستمر تركيا في تزويد إسرائيل بالنفط، الذي يُنقل عبر خط أنابيب من بحر قزوين إلى ميناء جيهان على البحر الأبيض المتوسط، ومن هناك إلى إسرائيل. ومع ذلك، يمكن أن تتفاقم القطيعة بسرعة إذا عارضت إسرائيل تطلعات تركيا في المنطقة عبر ساحات عدة من أبرزها سوريا وغزة ولبنان.

ب) السياسة الخارجية التركية

تسعى تركيا إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط، من أبرز هذه الأهداف: تعزيز الاستقرار الإقليمي من خلال دعم الحلول السلمية للنزاعات، وتطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية مع دول المنطقة لزيادة حجم التبادل التجاري والاستثمارات المشتركة. كما تهدف تركيا إلى تعزيز نفوذها الثقافي والسياسي عبر دعم القضايا الإسلامية وعلى رأسها القضية الفلسطينية، بالإضافة إلى ذلك تسعى تركيا إلى تأمين مصادر الطاقة وتنويعها، خاصة في ظل اعتمادها الكبير على واردات الطاقة، وذلك من خلال إقامة شراكات استراتيجية مع دول منتجة للنفط والغاز في المنطقة[٢].

في هذا الإطار سعت تركيا في الفترة الماضية إلى لعب دور إقليمي في الشرق الأوسط مستفيدة من قدراتها الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية. فعلى الصعيد الاقتصادي، حققت تركيا نموًا ملحوظًا جعلها من أكبر الاقتصادات في المنطقة وساهم في تعزيز علاقاتها التجارية مع دول الجوار. عسكريًا، طورت تركيا صناعاتها الدفاعية وزادت من قدراتها العسكرية مما مكنها من لعب دور في النزاعات الإقليمية، كما هو الحال في سوريا. دبلوماسيًا، انتهجت تركيا سياسة خارجية نشطة؛ حيث سعت إلى الوساطة في النزاعات وعملت على تعزيز علاقاتها مع مختلف الأطراف الإقليمية والدولية.[٣]

تزامنًا مع توسع العدوان الإسرائيلي على لبنان، أظهرت تركيا سياسة خارجية متشددة تجاه إسرائيل من خلال الإدانة الدبلوماسية وقطع العلاقات، كما سعت لإدانة العدوان في المحافل الدولية، تماشيًا مع أهدافها الإستراتيجية المتضمنة تعزيز نفوذها الثقافي والسياسي في دعم القضايا الإسلامية. هكذا، تتقاطع الأهداف الاستراتيجية للسياسة الخارجية

العدوان الإسرائيلي خلال السنوات الماضية، انظر: وحدة الدراسات السياسية، أزمة العلاقات التركية - الإسرائيلية: أسبابها وآفاقها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مايو ٢٠١٨، تاريخ الاطلاع: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/gr6toAuQ

(١) أردوغان يعلن قطع العلاقات مع إسرائيل، RT عربي، ١٣ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ١٨ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/1oxpm2jP

(٢) عماد قدورة، السياسة الخارجية التركية: الاتجاهات، التحالفات المرنة، سياسة القوة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، ٢٠٢١).

(٣) كيف أصبحت تركيا شريكًا في صياغة التوازنات الإقليمية والدولية؟، TRT عربي، ٢٧ ديسمبر ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ١٩ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/N8PRrpIR

التركية ودورها في الشرق الأوسط، لتمثل أحد العوامل المؤثرة في الموقف التركي من اتساع العدوان الإسرائيلي على لبنان.

ج) الرأي العام التركي

يلعب الرأي العام التركي دورًا حيويًا في تشكيل سياسات الحكومة، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الإقليمية والدولية. تُظهر المظاهرات والاحتجاجات الشعبية مدى تفاعل المجتمع مع الأحداث الجارية، مما يفرض على الحكومة مراعاة هذه التوجهات في صياغة مواقفها الرسمية، فقد دفع الزخم الشعبي والاحتجاجات المتتالية الرئيس التركي إلى التهديد بالتدخل العسكري ضد إسرائيل مخاطبًا حشدًا من الناس في مؤتمر لحزب العدالة والتنمية[١].

خلال العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة ولبنان، شهدت المدن التركية مظاهرات حاشدة تندد بالعمليات العسكرية وتدعو لدعم الفلسطينيين. هذه التحركات الشعبية دفعت الحكومة التركية إلى اتخاذ مواقف أكثر حدة في إدانة إسرائيل؛ حيث وصف الرئيس رجب طيب أردوغان العمليات الإسرائيلية بأنها "جرائم حرب" ودعا المجتمع الدولي إلى التحرك لوقفها.

فقد أظهر توسع العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان، أن الحكومة التركية تأخذ بعين الاعتبار مشاعر المواطنين تجاه القضايا الإقليمية، وتسعى إلى تبني مواقف تتماشى مع تطلعاتهم، مما يعزز من شعبيتها ويضمن استقرارها السياسي، فالرأي العام التركي يتجه لمزيد من السخط والرفض للعدوان الإسرائيلي ومعه يزداد الموقف التركي الرسمي شدةً تجاه إسرائيل وتصرفاتها، ولا شك أن هذا التوازن بين الاستجابة لمطالب الرأي العام والحفاظ على المصالح الوطنية يُعد عنصرًا أساسيًا في نهج السياسة الخارجية التركية.

د) التحالفات الدولية

تتمتع تركيا بعلاقات تاريخية ومعقدة مع كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. كعضو في حلف شمال الأطلسي (الناتو)، تُعتبر تركيا شريكًا استراتيجيًا للولايات المتحدة؛ حيث يتعاون البلدان في مجالات الدفاع والأمن ومكافحة الإرهاب. ومع ذلك، شهدت العلاقات بينهما توترات في السنوات الأخيرة بسبب قضايا عدة مثل شراء تركيا لمنظومة الدفاع الصاروخي الروسية S-400، مما أدى إلى فرض عقوبات أمريكية على تركيا[٢].

أما بالنسبة للاتحاد الأوروبي، فقد سعت تركيا منذ عقود للانضمام إليه، وبدأت مفاوضات العضوية رسميًا في عام ٢٠٠٥. إلا أن هذه المفاوضات شهدت تباطؤًا بسبب مخاوف الاتحاد الأوروبي بشأن قضايا حقوق الإنسان وسيادة القانون في تركيا، كما أثرت التوترات في شرق البحر المتوسط، خاصة مع اليونان وقبرص، على مسار العلاقات بين أنقرة وبروكسل[٣].

تؤثر علاقات تركيا مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بشكل مباشر على سياساتها تجاه النزاعات الإقليمية، بما في ذلك الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. فعلى الرغم من أن تركيا تتخذ مواقف داعمة للفلسطينيين وتنتقد السياسات الإسرائيلية، إلا أنها تسعى للحفاظ على توازن في علاقاتها مع الغرب. على سبيل المثال، في عام ٢٠٢٢ شهدت العلاقات التركية-الإسرائيلية تحسنًا ملحوظًا؛ حيث زار الرئيس الإسرائيلي تركيا، مما اعتُبر خطوة نحو تطبيع العلاقات بين البلدين[٤]. ويمكن القول إن هذا التقارب كان مدفوعًا برغبة تركيا في تحسين علاقاتها مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي؛

(1) Dror Doron, The reality behind Erdoğan's fiery rhetoric against Israel, The Jewish Independent, 6 August 2024, Accessed at: 18 November 2024, available at: https://2u.pw/3nsEVtdg

(2) Soner Cagaptay, The Future of U.S.-Turkish Ties: A New Relationship, Not a Reset, The Washington Institute, 26 Jan 2024, Accessed at: 19 November 2024, available at: https://2u.pw/HTX8MmZK

(٣) أحمد محمد فال، عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي.. عثرات وعقبات ورفض معلن، الجزيرة، ٢٠ يوليو ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://aja.ws/y2njhn

(٤) "فتح صفحة جديدة".. ما أسرار التقارب بين إسرائيل وتركيا؟، DW، ١٨ فبراير ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://p.dw.com/p/47EAa

حيث يُنظر إلى تعزيز العلاقات مع إسرائيل كوسيلة لتعزيز مكانتها الإقليمية والدولية.

بالإضافة إلى ذلك، سعت تركيا إلى لعب دور الوسيط في النزاعات الإقليمية لتعزيز صورتها كقوة إقليمية مسؤولة. فعلى سبيل المثال، حاولت التوسط بين الفصائل الفلسطينية المختلفة، وسعت إلى لعب دور في محادثات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين. هذه الجهود تُظهر رغبة تركيا في تحقيق توازن بين دعمها للقضايا الإقليمية والحفاظ على علاقات بناءة مع القوى الغربية(١).

مؤخرًا، ومع توسع العدوان الإسرائيلي في لبنان، اشتبك الموقف التركي مع توازنات العلاقات مع الولايات المتحدة والدول الغربية؛ حيث حذرت تركيا على لسان وزير خارجيتها هاكان فيدان إسرائيل من توسع حربها في غزة ولبنان، واستنكر الدعم الأمريكي والغربي لإسرائيل قائلًا: "من العار على المجتمع الدولي ألا تتوقف مبيعات الأسلحة لإسرائيل،... لقد شهدنا ارتكاب إبادة جماعية مفتوحة عندما كان الديمقراطيون في السلطة بأميركا، ونرى ذلك أيضًا والجمهوريون في السلطة"(٢). كما أكد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة الأخيرة ضرورة إيقاف العدوان الإسرائيلي على لبنان عبر تحالف إنساني(٣)، في إشارة إلى أهمية التحالفات الدولية والإقليمية ودورها في تشكيل الموقف التركي من العدوان الإسرائيلي على لبنان.

كذلك، يمكن النظر إلى الموقف التركي من توسع العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان من ثنايا **العلاقة بين تركيا وحزب الله اللبناني** المتوترة منذ ٢٠١١ بسبب تعارض المصالح في سوريا؛ حيث يدعم حزب الله نظام بشار الأسد، في حين تدعم تركيا المعارضة السورية، بجانب رؤية تركيا للحزب باعتباره "درة التاج الإيراني" وتوجس تركيا من دور الحزب في دعم النفوذ الإيراني في المنطقة على حساب الدور التركي، انعكس ذلك – مثلًا– على التصريحات التركية المتباينة عقب اغتيال زعيم حزب الله حسن نصر الله مقارنة باغتيال زعيم حماس إسماعيل هنية(٤).

إذًا، يتشكل الموقف التركي من توسع العدوان الإسرائيلي في المنطقة خاصة في التصعيد الأخير تجاه لبنان نتيجة تفاعل عدة عوامل استراتيجية وسياسية. تُعد العلاقات التركية-الإسرائيلية أحد المحاور الرئيسية؛ حيث تتسم بالتذبذب بين التعاون والتوتر، مع تأثير مباشر للأحداث الإقليمية مثل العدوان على لبنان في تحديد طبيعة هذه العلاقات. إلى جانب ذلك، تلعب السياسة الخارجية التركية دورًا مهمًا؛ حيث تسعى تركيا لتحقيق أهدافها الاستراتيجية كقوة إقليمية من خلال تبني مواقف داعمة للقضايا العربية والإسلامية، بما في ذلك القضية الفلسطينية.

الرأي العام التركي أيضًا عامل مؤثر؛ حيث شهدت البلاد مظاهرات واحتجاجات واسعة للضغط على الحكومة لاتخاذ مواقف صارمة تجاه إسرائيل. أما على الصعيد الدولي، فإن تحالفات تركيا مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تُشكل عاملًا مهمًا في صياغة مواقفها، إذ تسعى تركيا للموازنة بين تعزيز علاقاتها مع هذه القوى الكبرى والحفاظ على دورها كمدافع عن الحقوق الفلسطينية.

---

(1) Bora Bayraktar, The Palestinian Question In Turkish Foreign Policy, Akademik Bakış, Issue, 24, Vol. 12, 2019, available at: Https://2u.Pw/Tpxlrlbb

(٢) سعيد عبدالرازق، تركيا تحذّر إسرائيل من توسيع حربها، الشرق الأوسط، ١٦ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/GHGTqEWG

(٣) أردوغان: علينا إيقاف نتنياهو وعصابته المجرمة بتحالف إنساني، الجزيرة، ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://aja.ws/nnanlw

(٤) غدى قنديل، حرب إسرائيل على حزب الله.. إلى أي الجبهات ستنضم تركيا؟، مركز الدراسات العربية الأوراسية، ١٦ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/EobYvWyc

ثالثًا- الانعكاسات المستقبلية للموقف التركي:

أ) تعزيز الدور الإقليمي

تسعى تركيا إلى تعزيز مكانتها كوسيط في النزاعات الإقليمية، مستفيدة من موقعها الجغرافي الاستراتيجي وعلاقاتها المتوازنة مع مختلف الأطراف. على سبيل المثال، لعبت تركيا دورًا محوريًا في الوساطة بين روسيا وأوكرانيا؛ حيث استضافت محادثات السلام وساهمت في التوصل إلى اتفاقيات لتصدير الحبوب عبر البحر الأسود. بالإضافة إلى ذلك، نظمت تركيا "مؤتمر إسطنبول للوساطة" الذي يجمع خبراء ودبلوماسيين لمناقشة سبل تعزيز الوساطة في حل النزاعات[١]. ومن خلال هذه المبادرات، تسعى تركيا إلى تعزيز مكانتها كقوة إقليمية، قادرة على المساهمة في استقرار المنطقة وحل النزاعات بطرق سلمية.

انعكس الموقف التركي من اتساع رقعة العدوان الإسرائيلي في المنطقة لتشمل لبنان، على مسارها كوسيط بين أطراف الحرب؛ حيث دخلت على خط الوساطة بين إسرائيل وحماس في ظل حراك دولي متجدد لوقف الحرب في غزة عقب اتفاق وقف إطلاق النار بين إسرائيل ولبنان، إذ أعلن الرئيس الأمريكي جو بايدن أن "الولايات المتحدة ستبذل جهدًا آخر مع تركيا ودول أخرى لتحقيق وقف إطلاق النار في غزة، وإطلاق سراح الرهائن وإنهاء الحرب من دون 'حماس' في السلطة. أميركا ستدفع مرة أخرى باتجاه التوصل إلى وقف إطلاق نار في غزة، عبر اتصالات مع أنقرة"[٢]، سبق ذلك إعلان رغبة تركيا في لعب دور وسيط بين طرفي النزاع حيث قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان: "بلادنا على استعداد للمساعدة بأية طريقة ممكنة للتوصل لوقف إطلاق نار دائم في غزة، سنبذل كل ما في وسعنا لوقف المجزرة الإسرائيلية في القطاع، وضمان وقف إطلاق النار بصورة دائمة"[٣].

يأتي الموقف التركي الرافض لتوسع العدوان الإسرائيلي على لبنان معززًا لدورها كوسيط في النزاعات بالمنطقة ضمن مقاربة تركية تقوم على أمرين: أولهما أن الدبلوماسية الوقائية تمثل أكثر السبل تأثيرًا وأقلها تكلفة في حل النزاعات الإقليمية، ثانيهما أن تعزيز السلام والاستقرار في المنطقة ينعكس بشكل إيجابي على تركيا سياسيًا، واقتصاديًا.

ب) تحسين العلاقات مع الدول العربية

تسعى تركيا إلى تعزيز علاقاتها مع الدول العربية من خلال دعمها للبنان في مواجهة التوسع العدواني الإسرائيلي في المنطقة. على سبيل المثال، أدانت تركيا بشدة الهجمات الإسرائيلية على لبنان، ووصفتها بأنها محاولة لإغراق المنطقة في الفوضى[٤]، بالإضافة إلى ذلك، اتهمت تركيا إسرائيل بالسعي إلى احتلال لبنان من خلال هجومها البري، ودعت مجلس الأمن الدولي إلى اتخاذ التدابير اللازمة ضد هذا الهجوم[٥].

هذه المواقف التركية الداعمة للبنان في مواجهة التوسع العدواني الإسرائيلي تعزز من علاقاتها مع الدول العربية؛ حيث تُظهر التزام أنقرة بدعم القضايا العربية والإسلامية، مما ينعكس إيجابًا على مكانتها كقوة إقليمية في المنطقة، وقد تُرجم ذلك إلى تطور في العلاقات التركية العربية على المستوى السياسي من حيث الانسجام في المواقف والزيارات الدبلوماسية المتبادلة، والاقتصادي؛ حيث تزايد معدل نمو التبادل التجاري بنسبة ٧,٧٪ في عام ٢٠٢٤[٦].

---

(١) آخرها الوساطة بين روسيا وأوكرانيا.. دور تركي رائد في حل النزاعات الدولية، TRT عربي، ٢٠ مارس ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢١ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/yUkLBDZS

(٢) مسعى أميركي لوقف النار في غزة و"حماس" تؤكد تعاونها، إندبندنت عربية، ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/px0C5p2F

(٣) عز الدين أبو عيشة، تركيا أمام "ميكروفون" الوساطة في غزة، إندبيندنت عربية، تاريخ النشر: ٢٩ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢٩ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/tt3l1VY7

(٤) تركيا حول هجمات إسرائيل على لبنان: مرحلة جديدة من جهود تبذلها تل أبيب لإغراق المنطقة في الفوضى، RT، ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢١ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/iOmEDwKF

(٥) من خلال هجومها البري.. تركيا تتهم إسرائيل بالسعي لاحتلال لبنان، اليوم، ١ أكتوبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٢١ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/ajLnjX3L

(٦) زيد اسليم، لماذا تحقق التجارة بين تركيا والدول العربية أرقاما

ج) تأثير الموقف التركي على علاقاتها مع إسرائيل

تتسم العلاقات التركية-الإسرائيلية بتقلبات متكررة؛ حيث تتأثر بالتطورات الإقليمية والمواقف السياسية لكل من البلدين. في السنوات الأخيرة، شهدت هذه العلاقات تحسنًا ملحوظًا، تمثل في تبادل السفراء وتوسيع التعاون الاقتصادي.

رغم ذلك، فإن المواقف التركية تجاه السياسات الإسرائيلية، خاصة فيما يتعلق بالعمليات العسكرية في غزة والضفة الغربية، قد انعكست بشكل مباشر على العلاقات الدبلوماسية، التجارية، الاقتصادية، العسكرية بين البلدين؛ حيث أعلن الرئيس التركي قطع علاقات بلاده مع إسرائيل –كما سبق وأشرنا– كدلالة على الموقف التركي الرافض لتوسيع العمليات العسكرية الإسرائيلية في المنطقة.

د) أثر الموقف على علاقات تركيا مع الغرب

تسعى تركيا إلى تحقيق توازن بين مواقفها الإقليمية والدولية، خاصة في ظل علاقاتها المعقدة مع الدول الغربية. فيما يتعلق بالعدوان الإسرائيل على لبنان، تتبنى تركيا مواقف داعمة للبنان ورافضة لهذا للعمليات العسكرية الإسرائيلة في لبنان، هذه المواقف قد تؤدي إلى توترات مع الدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، اللتين تربطهما بتركيا علاقات استراتيجية واقتصادية مهمة؛ حيث انتقدت تركيا دعم بعض الدول الغربية لإسرائيل، مما أثار ردود فعل متباينة.

بالرغم من ذلك، تحاول أنقرة الحفاظ على علاقاتها مع الغرب من خلال التأكيد على أهمية التعاون في مجالات الأمن والاقتصاد. فعلى سبيل المثال، تستمر تركيا في لعب دور حيوي داخل حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وتشارك في مبادرات أمنية مشتركة مع الدول الغربية.[1]

هذا التوازن بين المواقف الإقليمية الداعمة للقضايا العربية والإسلامية، والحفاظ على علاقات بناءة مع الدول الغربية، يعكس استراتيجية تركيا في تعزيز دورها كقوة إقليمية مؤثرة، مع الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية على الساحة الدولية.

رابعًا- تحليل الموقف التركي

أ) الموقف التركي: بين القول والفعل

يُظهر الدور التركي في التعامل مع التصعيد الإسرائيلي في لبنان تركيزًا واضحًا على الإدانة الدبلوماسية والمساعدات الإنسانية، دون أن يترجَم ذلك إلى تأثير فعلي على مجريات الأحداث أو تغيير في موازين القوى. فرغم التصريحات الحادة والانتقادات الموجهة لإسرائيل، تظل هذه المواقف في إطار الخطاب السياسي والإعلامي، بينما لم تُسفر الجهود التركية عن خطوات عملية ملموسة توقف التصعيد أو تحدّ من تداعياته. كما أن المبادرات الإنسانية، رغم أهميتها، تقتصر على التخفيف من حدة الأزمة الإنسانية بدلًا من معالجة جذورها أو تحقيق اختراقات دبلوماسية حقيقية. وهذا يُبرز محدودية التأثير التركي في إدارة النزاعات الإقليمية، ما يعكس الحاجة إلى استراتيجيات أكثر شمولية وقدرة على إحداث تغيير فعلي في الواقع السياسي.

كذلك، تُظهر السياسة التركية تركيزًا أكبر على القضايا المرتبطة بأمنها القومي المباشر، مثل العمليات العسكرية في سوريا والعراق، مقارنة بتعاملها مع التصعيد في لبنان. ففي حين تتبنى تركيا خطابًا داعمًا للبنان وتُدين الاعتداءات الإسرائيلية، إلا أن تحركاتها الفعلية على أرض الواقع تظل محدودة، نظرًا لاعتبارات جيوسياسية وأمنية تجعل من الحدود الجنوبية مع سوريا والعراق أولوية استراتيجية. فالتدخلات التركية في تلك المناطق ترتبط بشكل وثيق بمواجهة التهديدات الأمنية، مثل

قياسية؟، الجزيرة، ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٤، تاريخ الاطلاع: ٩ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://aja.ws/kpddwa

(1) Henri J. Barkey, Turkey, the United States, and the Israel-Hamas War, Council On Foreign Relation, 25 October 2023, Accessed at: 23 November 2024, available at: https://2u.pw/zXOPZUB2

الجماعات الكردية المسلحة، وتأمين نفوذها الإقليمي. وفي المقابل، يُنظر إلى الأزمة في لبنان من منظور أقل إلحاحًا؛ حيث تقتصر الاستجابة التركية على الدعم الدبلوماسي والمساعدات الإنسانية، ما يعكس اختلاف أولوياتها الاستراتيجية وتوزيع جهودها بناءً على المصالح المباشرة بدلًا من التفاعل العميق مع الأزمات الإقليمية الأبعد جغرافيًا، مما يثير تساؤلات حول غياب سياسات واضحة أو أدوار مؤثرة لتركيا في هذه الأزمات، وهو الأمر الذي يشير إلى تفوق الأولويات الأمنية الاستراتيجية على حساب الروابط الأيديولوجية والثقافية في الرؤية التركية.

ب) الحرب والقوة الناعمة التركية

تُولي تركيا اهتمامًا بحقوق الإنسان ودعم الشعوب المتضررة، خاصة في سياق العدوان الإسرائيلي المتوسع في المنطقة وتعمل على تقديم المساعدات الإنسانية للمتضررين من العمليات العسكرية الإسرائيلية؛ حيث أرسلت شحنات مساعدات طبية وغذائية إلى قطاع غزة ولبنان عبر هيئة الإغاثة الإنسانية التركية (IHH)، كما نظّمت تركيا تجمعات جماهيرية ومظاهرات حاشدة، مثل "تجمُّع فلسطين الكبير" في إسطنبول بحضور الرئيس رجب طيب أردوغان، للتعبير عن دعمها للشعب الفلسطيني وتنديدها بالعدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان.

على الصعيد الدبلوماسي، دعت تركيا المجتمع الدولي إلى التحرك لوقف الانتهاكات الإسرائيلية، مؤكدةً ضرورة حماية حقوق الإنسان خلال الحرب. في الوقت نفسه تتخذ تركيا من النهج العسكري في سوريا –على سبيل المثال- سبيلًا لتقويض القوات الكردية المسلحة في الشمال السوري مستغلة بذلك الأزمة السورية لتحقيق مكاسب سياسية وأمنية، الأمر الذي يضع الموقف التركي من توسع العدوان الإسرائيلي خاصة التصعيد الأخير في لبنان موضع تساؤل حول أبعاد هذا الموقف ودلالاته السياسية.

ج) الاستفادة السياسية: كيف استثمرت تركيا الأزمة لتعزيز حضورها الإقليمي!

استثمرت تركيا الأزمة الناتجة عن توسع العدوان الإسرائيلي على لبنان لتعزيز حضورها الإقليمي من خلال عدة استراتيجيات:

أولًا: قامت بتكثيف جهودها الدبلوماسية عبر التواصل مع مختلف الأطراف الإقليمية والدولية، داعية إلى وقف فوري لإطلاق النار وحماية المدنيين.

ثانيًا: سعت تركيا إلى لعب دور الوسيط في النزاع، مستفيدة من علاقاتها التاريخية مع مختلف الأطراف، بما يعزز من مكانة أنقرة كقوة إقليمية تسعى لتحقيق الاستقرار والسلام في المنطقة.

ثالثًا: استغلت تركيا الأزمة لتعزيز علاقاتها مع الدول العربية والإسلامية، مؤكدة دعمها للقضية الفلسطينية ومعارضة العدوان الإسرائيلي على لبنان، مما يكسبها تأييدًا في العالمين العربي والإسلامي، ويعزز من نفوذها الإقليمي.

من خلال هذه التحركات، حاولت تركيا تعزيز حضورها الإقليمي، وتأكيد دورها كفاعل يسعى لضبط معادلة ميزان القوى في المنطقة؛ بغض النظر عن التدليل على دور فعال في ساحة الحرب أو التأثير المباشر في أطراف النزاع.

خاتمة: دلالات وخلاصات

يتسم الموقف التركي من توسع العدوان الإسرائيلي في المنطقة بالوضوح النسبي مقارنة بغيرها من الدول الإسلامية والعربية؛ حيث تُظهر أنقرة دعم القضية الفلسطينية والدفاع عن حقوق الإنسان في مواجهة الانتهاكات الإسرائيلية الأخيرة في لبنان من خلال تصريحاتها الرسمية، ودورها الدبلوماسي، وتقديم المساعدات الإنسانية.

سياسيًا، يُعد الموقف التركي الرافض للعدوان الإسرائيلي على لبنان لبنة في تعزيز مكانة تركيا على مختلف المستويات، فعلى المستوى الإقليمي، عززت تركيا مكانتها كمدافع عن القضايا الإسلامية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، مما أكسبها شعبية في العالمين العربي والإسلامي. أما دوليًا، فقد استثمرت تركيا هذا الموقف لتعزيز دورها كوسيط في النزاعات الإقليمية، مع السعي لتحقيق توازن في علاقاتها مع القوى

الكبرى مثل روسيا والصين، ما يعكس رؤيتها للتحرك في نظام عالمي متغير.

داخليًا، توظف تركيا هذا الدعم لتعزيز وحدتها الوطنية؛ حيث تحظى القضية الفلسطينية –لا سيما بعد طوفان الأقصى- بتأييد شعبي واسع بين مختلف الأطياف السياسية والاجتماعية. هذا الإجماع يمنح القيادة التركية زخمًا إضافيًا لمواجهة التحديات الداخلية، إلى جانب تعزيز مكانتها كصوت يدافع عن حقوق الفلسطينيين على الساحة الدولية من خلال منابر مثل الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي.

وتحاول تركيا أن تلعب دورا في تحقيق الاستقرار الإقليمي، مستفيدة من موقعها الاستراتيجي وعلاقاتها المتنوعة، من خلال جهودها في الوساطة، ومحاولة الوصول إلى توازن بين الأطراف المختلفة، والوصول إلى حلول سلمية للنزاعات؛ الأمر الذي يساهم في تعزيز مكانتها كقوة إقليمية.

ورغم موقف تركيا العلني الرافض لتوسع العدوان الإسرائيلي، فإنه محدود في تأثيره العملي؛ حيث تُظهر تركيا تضامنًا مع القضية الفلسطينية عبر الخطابات والمساعدات الإنسانية، لكنها لم تتمكن حتى الآن من تحقيق تغييرات جوهرية على الأرض أو التأثير الفعلي في مجريات الصراع؛ حيث يقتصر التأثير التركي غالبًا على الخطاب الدبلوماسي والإعلامي، دون أن يترافق ذلك مع خطوات ملموسة لتحقيق توازن حقيقي للقوى.

علاوة على ذلك، يتزامن الموقف التركي مع علاقاتها الاقتصادية والدبلوماسية التاريخية مع إسرائيل، مما يضعف مصداقيتها في دعم القضية الفلسطينية ورفض العدوان الإسرائيلي على لبنان، فرغم التوترات المتقطعة بين أنقرة وتل أبيب، لا تزال هناك مجالات وسياقات تعاون، خصوصًا في التجارة والطاقة، وهو ما قد يُنظر إليه كتناقض مع خطابها الحاد تجاه إسرائيل.

في السياق ذاته، يمكن القول إن الموقف التركي يُستغل أحيانًا لتعزيز مصالح أنقرة الإقليمية أكثر من كونه دعمًا حقيقيًا للجانب الفلسطيني واللبناني. فالدبلوماسية التركية تجاه النزاع تسهم في تحسين صورتها كمدافع عن الشعوب المظلومة، لكنها تُستخدم أيضًا كورقة ضغط في علاقاتها مع الدول الغربية والعربية.

وبالرغم من الانتقادات الموجهة للموقف التركي، يظل دوره مهمًا في تسليط الضوء على القضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة الإسلامية والعربية، لكن هذا الدور يبقى محدودًا ما لم يُترجم إلى أفعال ملموسة ويُنسّق بشكل أفضل مع الدول العربية التي تحتاج بدورها إلى تجاوز خلافاتها والعمل بشكل جماعي لتعزيز الموقف الإقليمي.

مواقف القوى الكبرى من الحرب على لبنان: ما الاختلاف؟

د. آية محمود عنان*

مقدمة:

منذ اليوم التالي لعملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، أعلن حزب الله فتح جبهة "إسناد" للمقاومة الفلسطينية؛ وذلك بهدف تخفيف الضغط عن غزة والتضامن مع المقاومة في مواجهة الكيان الصهيوني، مما دفع إسرائيل إلى وضع حزب الله ضمن أهدافها الاستراتيجية في الحرب؛ وبعد فترة من المواجهات الجزئية، اتسع العدوان عندما قامت إسرائيل بتفجير آلاف من أجهزة النداء "البيجر" التي يستخدمها قادة وعناصر في الحزب يوم ١٧ سبتمبر ٢٠٢٤، بعد أن جرى زرع عبوات ناسفة صغيرة في تلك الأجهزة قبل أن تُباع إلى حزب الله، وقد أدت هذه العملية الإرهابية الإجرامية إلى مقتل العشرات وإصابة الآلاف، من بينهم مدنيون، وفي اليوم التالي، قامت إسرائيل بتفجير أجهزة اللاسلكي (walkie-talkie) لتشل بذلك شبكة اتصالات حزب الله بشكلٍ كامل. لتشكل هجمات أجهزة "البيجر واللاسلكي"، أكبر خرق أمني يتعرض له الحزب منذ نشأته في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، لكنها كانت أيضًا مقدمة لتصعيد أكبر قامت به إسرائيل؛ حيث قامت في اليوم العشرين من الشهر نفسه باغتيال إبراهيم عقيل قائد العمليات الخاصة في الحزب وعضو مجلسه الجهادي، والذي تولى مسؤوليات فؤاد شكر عقب اغتياله في ٣٠ يوليو ٢٠٢٤، إلى جانب قادة من وحدة الرضوان، وهي وحدة القيادة لدى حزب الله.(١)

تطور العدوان إلى حربٍ مباشرة على الأراضي اللبنانية؛ حيث أطلقت إسرائيل يوم ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٤ ما أسمته عملية "سهام الشمال"، وجاءت ذروة التصعيد الإسرائيلي في ٢٧ من الشهر نفسه، باستهداف مقر القيادة المركزية لحزب الله، مما أدى إلى اغتيال أمينه العام حسن نصر الله، وقادة عسكريين آخرين(٢)، لتبدأ بعدها عملية قصف واسع النطاق شملت الضاحية الجنوبية ومناطق أخرى على امتداد لبنان امتدت إلى بيروت؛ لتجعل الشعب اللبناني نفسه في مواجهة مع حزب الله، للحفاظ على أمن لبنان وليضع حدًا للتهديد الوشيك المتمثل في وجوده في جنوب لبنان.

في المقابل، تواصلت الجهود بين الأطراف الدولية (الولايات المتحدة وأوروبا) للوصول إلى حلٍ دائم لوقف العدوان الإسرائيلي على لبنان؛ وذلك بعد المقترح الذي تقدم به المبعوث الأمريكي إلى إسرائيل ولبنان آموس هوكشتاين، وعلى الرغم من الإعلان عن التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في لبنان؛ والذي أعلن عنه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بعد موافقة المجلس الوزاري المصغر في ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٤(٣)، إلا أنه **كان هناك تباينًا في الموقفين الأمريكي والأوروبي منذ بداية العدوان الصهيوني على لبنان. فالولايات المتحدة الأمريكية هي شريك بل فاعل رئيس، سواء في العدوان على غزة أولبنان،** إلا أنها في البداية قدمت خطابًا متلونًا يهدف إلى وقف إطلاق النار في لبنان، ولكن سرعان ما تراجعت عن هذا الاتجاه، مما جعل رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو يرى أن كل رهاناته تؤتي ثمارها، وأن ليس عليه وقف إطلاق النار، وبالفعل استمر

---

* دكتوراه في العلاقات الدولية.

(١) البيجر الموقوت "تقرير يكشف تفاصيل خطة التسع سنوات، سكاي نيوز ، ٨ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/hcS9Dvau

(2) Deep intelligence penetration enabled Israel to kill Hassan Nasrallah, the guardian, 30/9/2024, available at: https://2u.pw/9GCTcJ5e

(٣) كلمة رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو بشأن وقف إطلاق النار مع لبنان، تليفزيون العربي على اليوتيوب، ٤ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/s6MszzLu

العدوان ما يقرب من شهرين، ثم تدخلت بعدها الإدارة الأمريكية للتوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بمشاركة الجانب الأوروبي، الذي كان يدعو لوقف إطلاق النار في لبنان منذ اليوم الأول من الحرب.

وعليه، يطرح التقرير عددًا من التساؤلات فيما يتعلق بالمواقف الأمريكية والأوروبية بشأن العدوان على لبنان، تتمثل في الآتي: ما أهم ملامح المواقف الأمريكية والأوروبية تجاه الحرب على لبنان؟ وكيف تباينت دوافع هذه المواقف؟ ولماذا **أصبح الاتحاد الأوروبي ودوله الأعضاء مهتمين بشكلٍ متزايد بوقف الحرب على لبنان؟** وما الدوافع الأساسية لظهور فرنسا بشكلٍ خاص في وقف الحرب في لبنان؟ ولماذا لم تجتمع الإرادة الأمريكية الأوروبية على وقف الحرب في غزة كما حدث في الحالة اللبنانية؟ وما هو الموقف الشرقي ممثلا في روسيا والصين؟ وهل اختلف عن الموقف الغربي تجاه العدوان الإسرائيلي على لبنان؟

أولًا- الولايات المتحدة الأمريكية والموقف المتأرجح من الحرب الإسرائيلية على لبنان

تأرجح الموقف الأمريكي بشأن وقف إطلاق النار في لبنان؛ حيث في البداية طالبت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا بوقفٍ فوري لإطلاق النار، إلا أن واشنطن تراجعت عن المطالبة بوقف العدوان؛ ودفعت إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن نحو استخدام هجوم إسرائيل على حزب الله كفرصة لإنهاء هيمنته التي استمرت لفترة طويلة؛ فقد أفاد تقرير لوكالة "رويترز" الإخبارية، بأن المسؤولين الأمريكيين تراجعوا عن دعواتهم لوقف إطلاق النار بدعوى تغير الظروف[١].

وقد أشار التقرير إلى أن هذا النهج يبدو جديًا بالنسبة للولايات المتحدة، مستشهدين بتصريح المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية ماثيو ميلر في مؤتمر صحفي، حينما قال: "ندعم إسرائيل في شن هذه الهجمات بهدف تدمير البنية التحتية لحزب الله، حتى نتمكن في نهاية المطاف من التوصل إلى حل دبلوماسي"، وذكر أن أمريكا استقرت بعد دبلوماسية مكثفة على مدى أسابيع بهدف وقف إطلاق النار، على نهج مختلف تمامًا، مبني على ترك الصراع الدائر في لبنان يأخذ مساره، كما لفت التقرير النظر إلى أن هذا التغيير في المسار يعكس التضارب في الأهداف الأمريكية المتمثلة في احتواء الصراع المتنامي في الشرق الأوسط، وفي الوقت ذاته إضعاف حزب الله المدعوم من إيران بشكلٍ كبير.

كذلك أشار التقرير إلى ما قاله جون الترمان المسؤول السابق في وزارة الخارجية الأمريكية، بأن الولايات المتحدة تريد أن تؤدي الحملة الإسرائيلية إلى إضعاف قدرات حزب الله، فمن **المؤكد أن الولايات المتحدة وإسرائيل ستستفيدان من إلحاق الهزيمة بعدوٍ مشترك، وهو حزب الله الذي تستخدمه طهران لتهديد الحدود الشمالية لإسرائيل**، رغم أن تشجيع الحملة العسكرية الإسرائيلية المتوسعة ينذر باندلاع صراع يخرج عن السيطرة، وفقا لـ "رويترز"[٢].

١- أسباب تراجع الولايات المتحدة الأمريكية عن تأييدها وقف إطلاق النار

يرى المفاوض الأمريكي السابق إلى الشرق الأوسط آرون ديفيد ميلر، أن واشنطن ليس لديها أمل يُذكر في تقييد إسرائيل، وأنها ترى فوائد محتملة في العملية بالنسبة لها؛ منها أن **إضعاف حزب الله قد يحدّ من نفوذ طهران** في المنطقة ويُقلل التهديد على إسرائيل والقوات الأمريكية، كما أن الضغط العسكري قد يجبر حزب الله على وضع السلاح وتمهيد الطريق لانتخاب حكومة جديدة في لبنان من شأنها أن تهمش الجماعة اللبنانية التي تلعب دورًا كبيرًا في لبنان منذ عقود[٣].

هدف آخر للموقف الأمريكي، وهو **تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ في لبنان وتأمين المنطقة الحدودية مع**

(1) Simon Lewis, Humeyra Pamuk, The new US strategy on the Lebanon conflict: Let it play out, Reuters, October 13, 2024, available at: https://2u.pw/VGSLEjiF

(2) Ibid.

(3) Ibid.

إسرائيل، ويقول مسؤولون أمريكيون إن الهدف النهائي هو تطبيق قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ١٧٠١ الذي كلف قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان "اليونيفيل" بمساعدة الجيش اللبناني في الحفاظ على منطقة حدوده الجنوبية مع إسرائيل، خالية من الأسلحة أو أي مسلّحين، بخلاف التابعين للدولة اللبنانية(١).

على صعيدٍ آخر، حذر محللون أخرون من أن الصراع يزيد بشكلٍ كبير من خطر اندلاع حرب أوسع نطاقًا، خاصةً وأن المنطقة كانت تنتظر حينها رد إسرائيل على الضربة الصاروخية الإيرانية، وبعيدًا عن احتمال اندلاع حرب قد تجر الولايات المتحدة، هناك مخاوف من أن يتحول لبنان إلى غزةٍ أخرى. وفي هذا الصدد، قال المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية بات رايدر، إن الحل الدبلوماسي يظل الطريق الوحيد لإنهاء التوترات القائمة في لبنان، وضمان استقرار دائم، مشيرًا إلى التزام الولايات المتحدة بتنسيق الجهود الإقليمية لتحقيق هذا الهدف، وأضاف أن الحرب تُبرز أهمية إيجاد حلول دبلوماسية مستدامة لتحقيق الاستقرار والأمن على طول الحدود بين إسرائيل ولبنان، موضحًا أن البنتاجون يعمل مع الشركاء في المنطقة لضمان حماية المصالح الأمريكية والإسرائيلية، إضافةً إلى تعزيز الأمن لحلفاء واشنطن وسط مخاوف من تصعيدٍ محتمل قد يؤثر على المنطقة بأسرها، كما أشار رايدر إلى أن البنتاجون يدعم حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ضد التهديدات المختلفة وفي مقدمتها «حزب الله»، كاشفًا عن جهود متواصلة للتنسيق الوثيق بين الولايات المتحدة وإسرائيل بشأن حجم ونطاق العمليات العسكرية، مشددًا على أهمية تحقيق التوازن بين الدفاع عن إسرائيل وتقليل الخسائر البشرية في صفوف المدنيين(٢).

٢- لماذا لجأت الولايات المتحدة الأمريكية أخيرًا للحل الدبلوماسي؟

تم التوصل لاتفاق وقف إطلاق النار بعد نحو شهرين من العدوان على لبنان، وسقوط ما يقرب من ٤ آلاف شهيد، حيث اجتمعت الإرادة الأمريكية الأوروبية على ضرورة توقف الحرب في لبنان، في حين مر على الحرب على غزة أكثر من عام، سقط خلاله أكثر من ٤٤ ألف شهيد وشهدنا دمارًا كاملا للبنية التحتية دون أية خطوات فعلية لوقف هذا العدوان الوحشي الغاشم!!!

ويبدو أن الإدارة الأمريكية لجأت إلى الحل الدبلوماسي بالتنسيق مع إسرائيل لعدة أسباب، ربما يكون منها محاولة بايدن **الدفع بعجلة وقف الحرب لتحقيق إنجاز أخير في فترته السياسية**، وأيضًا **الاكتفاء بالتورط الإسرائيلي في لبنان عند هذا الحد**؛ وقال نتنياهو في خطاب إعلان وقف إطلاق النار على لبنان، إن هذا الاتفاق جاء لثلاثة أسباب، وهي: التركيز على إيران، إعادة التسلح الإسرائيلي، وفصل حزب الله عن حماس، قائلا "أصبحت حماس وحيدة"(٣).

فعلى الرغم من أن العدوان العسكري الإسرائيلي على لبنان وجه ضربةً قوية لحزب الله، إلا أنه لم يتم تحقيق أي من الأهداف الإسرائيلية المحددة، وكان الثمن المدفوع لهذه المغامرة العسكرية مرتفعًا، وليس من المستغرب أن يشعر الغالبية من سكان إسرائيل حاليًا بالإحباط ويعتبرون هذه الحرب في نهاية المطاف حربًا خاسرة. ولم يسفر وقف إطلاق النار عن دولة أقوى وأكثر أمنًا، بل عن دولة تعيش في خوفٍ وانقسامٍ داخلي فيما يتعلق بالسياسة التي يجب اتباعها لضمان بقاء الدولة الإسرائيلية؛ حيث واجهت الإدارة الإسرائيلية للأمور العديد من الانتقادات داخل الحكومة الإسرائيلية وداخل الكنيست فور الإعلان عن وقف إطلاق النار في لبنان، من ضمن ذلك انتقادات بسبب ضعف الاتفاق؛ حيث لم يتضمن إنشاء منطقة عازلة

(1) UN Resolution 1701 is the linchpin of the Israel-Hezbollah ceasefire. Will it hold?, France 24, 27/11/2024,available at: https://2u.pw/FvGa2x1M

(2) Pentagon Press Secretary Maj. Gen. Pat Ryder Holds An Off-Camera, On the Record Press Briefing , The Department of Defense, 23/9/2024, available at: https://tinyurl.com/58a7a23r

(٣) خطاب نيتنياهو لإعلان وقف إطلاق النار في لبنان، مرجع سابق.

ولم يحقق أهدافه، وقال وزير الأمن القومي الإسرائيلي إيتمار بن غفير "إن الاتفاق خطأ تاريخي، وهو عودة لمفهوم الصمت مقابل الصمت"[١].

ثانيًا- أوروبا ودعم وقف إطلاق النار

جاء الموقف الأوروبي عكس موقف الولايات المتحدة الأمريكية المتأرجح تجاه الحرب على لبنان، ليوحي بأن أوروبا مُلزمة بأن تلعب دورًا حاسمًا في وقف الحرب في لبنان، وفي هذا الصدد ذكرت شبكة سي إن إن الأمريكية، أن إسرائيل تتعرض **لانتقاداتٍ لاذعة من جانب الزعماء الأوروبيين الذين يحاولون منعها من مواصلة حروبها في غزة وجنوب لبنان**، وأوضحت أن ما يعزز جهود هؤلاء، هو أن الضربات العسكرية الإسرائيلية تستهدف قواعد حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة (اليونيفيل) في جنوب لبنان، والتي تضم قوات أوروبية، وقالت "سي إن إن" إنه: "من الدعوات إلى وقف مبيعات الأسلحة إلى إسرائيل والنظر في فرض عقوبات على وزراء إسرائيليين من اليمين المتطرف، إلى المحادثات بين أعضاء الاتحاد الأوروبي بشأن مراجعة اتفاقية الشراكة بين إسرائيل والاتحاد الأوروبي، يحاول الزعماء الأوروبيون استخدام نفوذهم للضغط على رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو للتفاوض لوقف إطلاق النار"[٢].

ونقلت "سي إن إن" عن هيو لوفات العضو في برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية قوله إن: "**علاقات إسرائيل مع الاتحاد الأوروبي تتعرض لضغوطٍ غير مسبوقة في هذه المرحلة**"، وأضاف "هناك الكثير من الإحباط، في عواصم أوروبا الغربية على الأقل، بشأن الطريقة التي تعاملت بها الولايات المتحدة مع الدبلوماسية خلال العام الماضي"، مردفًا أن "بعض دول الاتحاد الأوروبي شعرت أن الولايات المتحدة كان ينبغي لها أن تفعل المزيد لتعديل الإجراءات الإسرائيلية وتقييدها"، وقال لوفات إن: "العلاقات كانت متوترة في البداية بسبب الهجوم الإسرائيلي على غزة، الذي تراه العديد من الحكومات الأوروبية، بما في ذلك تلك التي لا تزال تدعم إسرائيل، غير متناسب ويتناقض مع القانون الدولي". وأوضح لوفات أن العدوان على لبنان ربما "قلب الأمور إلى حافة الهاوية" بالنسبة إلى العديد من الدول الأوروبية، علمًا أن ما أسمّاه "اللوم الأوروبي لإسرائيل وصل إلى مستوياتٍ جديدة، عندما بدأت الضربات العسكرية الإسرائيلية في ضرب مواقع بعثة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في جنوب لبنان"[٣].

وللتدليل على التناقض في المواقف الأوروبية نجد أنه بدأت أول دعوة لوقف إطلاق النار في غزة في مارس ٢٠٢٤ أي بعد حوالي ستة أشهر من حرب الإبادة الجماعية، وقالت في هذا الصدد ألت إيف غيدي، مديرة مكتب المؤسسات الأوروبية في منظمة العفو الدولية، تعقيبًا على قرار المجلس الأوروبي بالدعوة إلى وقف إطلاق نار دائم في غزة: "لقد طال انتظار الدعوة إلى وقف إطلاق النار، ولكنها خطوة غير كافية بالنظر إلى الأهوال التي يعاني منها المدنيون الفلسطينيون منذ ستة أشهر. فقد قُتل أكثر من ٣٢,٠٠٠ فلسطيني في الحملة العسكرية الإسرائيلية الوحشية والعشوائية، وفَقد ما يزيد على ألف طفل أطرافهم، وتحولت أحياء وبلدات بأكملها إلى أنقاض، ودُمر نظام الرعاية الصحية بالكامل تقريبًا. وتلوح في الأفق الآن مجاعة وشيكة من صُنع إسرائيل... كان من الممكن تجنب كل هذا ومنعه لو توصلت جميع الأطراف في وقتٍ سابق إلى وقف لإطلاق النار. إنَّ ما يحدث في غزة هو كارثة إنسانية من صنع الإنسان، ويجب محاسبة المسؤولين عن ارتكاب جميع الجرائم التي يشملها القانون الدولي"، ومن ثم إنَّ إخفاق المجلس الأوروبي في تحميل إسرائيل المسؤولية عن انتهاكاتها الجسيمة للقانون الدولي يبعث

(١) بن غفير يصف اتفاق وقف إطلاق النار مع حزب الله بـ"الخطأ التاريخي"، موقع RT، ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/uc1EPKNT

(2) Nadeen Ebrahim, Israel's ties with Europe strained by wars in Gaza and Lebanon, CNN, October 20, 2024, available at: https://2u.pw/OgD2Aeyo

(3) Ibid.

برسالة تُعزز الإفلات من العقاب، ويساهم في الكارثة في غزة.

"وقد تفاقم الوضع المزري بفعل تشويه بعض الدول الأعضاء لسمعة الأونروا، وقطع المساعدات الحيوية المنقذة للحياة عنها، وترك الناس محاصرين دون سُبل وصول إلى الغذاء أو المياه النظيفة، بينما يتعرضون للقصف بالأسلحة والذخائر التي تُصدرها بعض الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي إلى إسرائيل. يجب على الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء اتخاذ تدابير عملية وخطوات ملموسة لمنع ارتكاب إبادة جماعية ضد الفلسطينيين في غزة. ويجب عليه أن يُعيد التمويل الكامل للأونروا، وأن يوقف جميع صادرات الأسلحة والذخائر إلى إسرائيل. وينبغي إجراء مراجعة كاملة لمدى احترام إسرائيل لالتزاماتها بحقوق الإنسان. كما يجب على الدول الأعضاء أن تدرك الأسباب الجذرية للصراع، وأن تدعو إلى إنهاء نظام الأبارتهايد الإسرائيلي ضد الفلسطينيين وإنهاء الاحتلال"[١].

١- الدعم المادي والعسكري الأوروبي للجيش اللبناني

أكد مسؤول السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي، جوزيف بوريل، خلال مؤتمر "دعم لبنان" الذي عُقد في باريس في أكتوبر ٢٠٢٤، أن الاتحاد سيُقدم للجيش اللبناني ٢٠ مليون يورو في ٢٠٢٤، و٤٠ مليونًا في ٢٠٢٥، ودعمًا إنسانيًا بقيمة ٨٠ مليونًا، كما أضاف أنه يتعين على قوات الأمم المتحدة في جنوب لبنان (اليونيفيل) العمل ضمن التفويض الحالي المعطى لها على أن يصدر قرار أممي لاحقًا يخولها القيام بالمزيد من المهام. وفي سياق الدعم الأوروبي للجيش اللبناني، كشف مصدر دبلوماسي إيطالي أن "هناك مساعي دولية لتجنيد وتدريب وحدات جديدة في الجيش"، كما أضاف أن روما سترتب قريبًا مؤتمرًا خاصًا بها يركز على تعزيز قدرات الجيش، وفق ما نقلت وكالة رويترز، فيما أكد وزير الخارجية الفرنسي تقديم تعهدات بقيمة ٨٠٠ مليون دولار للبنان، منها ٢٠٠ مليون دولار للجيش اللبناني؛ وذلك على هامش مؤتمر باريس[٢].

أيضًا قالت وزيرة الخارجية الألمانية أنالينا بيربوك قبيل اجتماع باريس الذي ضم نحو ٧٠ وفدًا لبحث مساعدة لبنان، إن ألمانيا قدمت ٩٦ مليون يورو إضافية من المساعدات الإنسانية والتنموية للبنان، وأضافت بيربوك: "نوضح أننا لا ننظر فقط للمعاناة في لبنان هذه الأيام، بل نتخذ إجراءات تضمن دعم الناس على الأرض، والذين يريدون في الغالب شيئًا واحدًا فقط: العيش في أمان وسلام في المستقبل، تمامًا مثل الكثير من الناس في إسرائيل". والهدف، حسب بيان مشترك بين وزارة الخارجية الألمانية ووزارة التعاون الاقتصادي والتنمية، هو الوصول إلى النازحين داخليًا وضمان الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والمؤسسي في لبنان، وحسب البيان الذي وصلت منه نسخة لـDW "خصصت وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية ٦٠ مليون يورو للبنان وسوريا، والتي أقرّتها لجنة الميزانية، كما تخصص وزارة الخارجية ٣٦ مليون يورو للمساعدات الإنسانية في لبنان وسوريا"، وأضاف البيان أن "الدعم الألماني يقدم من خلال منظمات الأمم المتحدة، وكذلك عبر المنظمات غير الحكومية مثل الصليب الأحمر الألماني (DRK)، بالإضافة إلى صندوق لبنان الإنساني (LHF) وصندوق المرأة للسلام والعمل الإنساني (WPHF) ". وتابع البيان أن "الهدف هو الوصول إلى النازحين داخليًا وتعزيز الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والمؤسسي في لبنان"[٣].

كما أعربت سفيرة المملكة المتحدة لدى الأمم المتحدة، عن قلق بلادها من التصعيد في لبنان وأكدت أنه لابد من بذل كل الجهود من أجل وقف العنف وضبط النفس ووضع خطة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، ووقف إطلاق نار في غزة أيضًا، مؤكدة أن الخيار الشجاع بالسلام وليس بالحرب، وقالت

(١) الاتحاد الأوروبي: دعوة المجلس الأوروبي إلى وقف إطلاق نار دائم في غزة غير كافية لإنهاء معاناة المدنيين، منظمة العفو الدولية، ٢٢ مارس ٢٠٢٤، https://tinyurl.com/34zxnftt

(٢) عين أوروبا على جيش لبنان.. دعم بـ٦٠ مليونًا وتدريب، العربية الاخبارية، ٢٤أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/cTkKXaER

(٣) ٩٦ مليون يورو مساعدات إضافية من ألمانيا للبنان، الخليج، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/hO2VeZqh

لن نسمح للبنان أن يتحول إلى غزة وتهجير المئات، كما دعا وزير الخارجية البريطاني ديفيد لامي أثناء زيارته للبنان إلى خفض التصعيد، والحاجة إلى حل دبلوماسي يقوم على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ١٧٠١؛ حيث جاءت زيارته في أعقاب إدانته للضربة التي وقعت في مرتفعات الجولان، والتي أودت بحياة مدنيين بشكل مأساوي وأثارت مخاوف عميقة بشأن خطر المزيد من التصعيد وزعزعة الاستقرار(١).

٢- أسباب الاهتمام الأوروبي بوقف إطلاق النار في لبنان

أ) علاقات تاريخية وثيقة بين أوروبا ولبنان

تجمع الاتحاد الأوروبي ولبنان علاقات **اقتصادية وثيقة في إطار اتفاقية الشراكة بينهما، والتي دخلت حيز التنفيذ في أبريل ٢٠٠٦**، وترتكز هذه الشراكة على القيم والمصالح المشتركة، وتتضمن حوارًا سياسيًا وأمنيًا واقتصاديًا واجتماعيًا منتظمًا، واتصالات واسعة النطاق بين الأشخاص ومساعدة تنموية وإنسانية مهمة، وتعزز الاتفاقية بين الاتحاد الأوروبي ولبنان حقوق الإنسان، والحوار السياسي، وحرية تنقل السلع، والتعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ويلتزم الاتحاد الأوروبي بدعم الديمقراطية، والحكم الرشيد، والاندماج الاجتماعي، والتعليم، والتنمية المستدامة في لبنان، إذ يدعم الاتحاد الأوروبي المجتمع المدني اللبناني كشريك فاعل في صنع القرار السياسي، وتُجري المؤسسات الأوروبية حوارًا منتظمًا مع هذه المجموعة، بهدف الوقوف على الاحتياجات الحقيقية للسكان فيما يتعلق بحقوق الإنسان، والحكم الرشيد والتنمية(٢).

ب) قوات اليونيفيل

كما أن للاتحاد الأوروبي مصلحة كبيرة في تقوية الدولة اللبنانية، وجعل لبنان أحد عناصر الاستقرار الإقليمي، ويتعاون الاتحاد الأوروبي بصورةٍ خاصة مع الأجهزة الأمنية اللبنانية، بهدف تعزيز التماسك الوطني والتأكيد على دور الدولة كجهة شرعية وحيدة مسؤولة عن توفير الأمن. ويعزز الحوار السياسي بين الاتحاد الأوروبي ولبنان التعاون بينهما، بهدف إرساء السلام والاستقرار والأمن في البلاد، **فبعد تمديد ولاية قوات "اليونيفيل"، لم يعد حضور أوروبا يقتصر على الجوانب المتعلقة بالتمويل أو التعاون فقط**، إذ إنه من خلال التواجد على الأرض، تتبنى أوروبا لأول مرة دورًا نشطًا وتتولى مسؤوليات سياسية بالغة الأهمية، ومن خلال إرسال عدة آلاف من القوات من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وألمانيا ودول أوروبية أخرى، أصبح الاتحاد الأوروبي ملزمًا بتولي دور مهم في المنطقة(٣).

ج) مخاوف الاتحاد الأوربي من موجات الهجرة لأوروبا

كان هناك تخوفًا أوروبيًا من موجات الهجرات؛ حيث مع استمرار سيناريو الحرب على لبنان، كان سيشق العديد من اللبنانيين طريقهم نحو أوروبا، مما يؤدي إلى زيادة ضغوط الهجرة على الاتحاد الأوروبي، تمامًا مثل أزمة اللاجئين في عام ٢٠١٥، لذا فقد أعلن الاتحاد الأوروبي حزمة مساعدات بقيمة مليار يورو للبنان من أجل مواجهة أزمة الهجرة ومعالجتها من جذورها، وبالفعل اعتبارًا من ٢١ أكتوبر ٢٠٢٤، فر ما يُقدر بنحو ٤٢٥ ألف شخص من لبنان، وعبروا أقرب حدود متاحة إلى سوريا، بالإضافة إلى ذلك، سعى نحو ١٦ ألفا و٧٠٠ مقيم لبناني إلى اللجوء إلى العراق(٤).

(1) Foreign Secretary calls for de-escalation on the Blue Line,U K government, 2 August 2024, available at: https://2u.pw/eAIf2uvm

(2) Recommendation on the implementation of the EU-Lebanon Action Plan, European Commission, 5 July 2006, available at: https://2u.pw/SvEsV7zj

(3) Lacroix: Resolution 1701 remains the framework, and UNIFIL stands ready to support an agreed roadmap to lasting peace, United Nations Interim Force In Lebanon, ١٤ Nov ٢٠٢٤, available at: https://2u.pw/Ynij4v27

(4)Europe is not prepared for the looming Lebanese refugee crisis, The conversation, 28 October 2024, available at: https://2u.pw/SrHTeODE

وذكرت شبكة "سي إن إن" الأمريكية إن إسرائيل تتعرض لانتقادات أوروبية ومحاولة لمنعها من مواصلة عدوانها على غزة ولبنان، وأن التحرك في هذا الاتجاه يتعزز بعد الاستهداف الإسرائيلي لقوات "اليونيفيل" التي تضم أوروبيين، كما تناول تقرير لصحيفة "فايننشال تايمز" مخاوف الاتحاد الأوروبي من حرب كبرى في لبنان، "إذ تشعر العواصم الأوروبية بالقلق بشأن عواقب صراع طويل الأمد في الشرق الأوسط يشمل لبنان"، وينبع القلق الأوروبي -وفق التقرير- في المقام الأول من موجة لجوء بسبب الحرب، وقالت الصحيفة إن "القادة الأوروبيين يضغطون على إسرائيل لتجنب استهداف المنشآت النفطية والنووية في إيران لوقف التصعيد".[١]

د) الضغط الشعبي الأوروبي الداخلي

لا يمكن تفنيد المواقف السياسية دون النظر إلى المواقف الشعبية وموجات الرأي العام، فقد واجهت أوروبا حراكًا طلابيًا وموجات انتقادات عنيفة لسياساتها المتخاذلة ضد وقف الحرب على المدنيين في فلسطين ولبنان واستمر هذا الحراك الشعبي بعد العدوان الأخير على لبنان.

فقد خرج عدد من المتظاهرين في الدول الأوروبية للتنديد بـ"جرائم إسرائيل" في قطاع غزة ولبنان والمطالبة بإنهاء الحرب، ووقف الإبادة الجماعية؛ وذلك مع استمرار تصاعد وتيرة جرائم الحرب التي يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي ضد المواطنين الفلسطينيين[٢].

على سبيل المثال لا الحصر، اشتبك عدد من المتظاهرين في إيطاليا مع الشرطة خلال مظاهرات مؤيدة لغزة في مدينة نابولي؛ حيث طالبوا بإنهاء الحرب في غزة ولبنان، وذلك بالتزامن مع اجتماع وزراء دفاع مجموعة السبع، حسبما قالت صحيفة "الجورنال" الإيطالية[٣].

أما في ألمانيا، فقد استخدمت الشرطة الألمانية، الكلاب لتفريق متظاهرين خرجوا بالعاصمة برلين للتنديد بالجرائم الإسرائيلية المستمرة في قطاع غزة، وانطلق المتظاهرون في مسيرة مرددين هتافات من قبيل "الحرية لفلسطين" و"إبادة جماعية"، واعتقلت الشرطة العديد من المتظاهرين، واستخدمت العنف ضد المحتجين.

وفي إسبانيا، تجمَّع العشرات في مدينة بالما للمطالبة بوقف إطلاق النار في غزة ولبنان، بالإضافة إلى المطالبة بوقف بيع الحكومة الأسبانية الأسلحة لإسرائيل، كما دعوا إلى السماح بدخول الإمدادات الأساسية، بما في ذلك الغذاء والوقود، إلى المناطق المستهدفة "على الفور"[٤].

٣- فرنسا والدور الفاعل لوقف الحرب

كانت الولايات المتحدة وفرنسا قد طرحتا مقترحًا لوقف إطلاق النار في لبنان في نهاية سبتمبر ٢٠٢٤، لكنه لم يُطبّق، وفي بيانٍ مشترك للدولتين ورد أن الرئيسين "عرضا تطور الوضع في أوكرانيا والشرق الأوسط، وخصوصًا الجهود المبذولة للتوصل إلى اتفاق على وقف إطلاق النار في لبنان، يتيح للسكان على جانبي الخط الأزرق (بين لبنان وإسرائيل) العودة الى منازلهم بكل أمان"، وأضاف البيان أن "الجانبين ملتزمان بالبقاء في

---

(١) التايمز: لهذا تسعى ميلوني لإخراج الأسد من عزلته، الجزيرة نت، ٢٠٢٤/١٠/١٧، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/GapPlmt3

(٢) للمزيد حول الحراك الشعبي المساند للقضية الفلسطينية انظر: آية عنان، تحولات الرأي العام العالمي الغربي تجاه القضية الفلسطينية بعد طوفان الأقصى، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٣١ ديسمبر ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/XVSY36u

- حول الحراك الطلابي انظر: آية عنان، الحراك الطلابي العالمي المساند للقضية الفلسطينية الآفاق والدلالات والنتائج، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، مايو ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/DSS9mTHZ

(٣) الآلاف يتظاهرون في إيطاليا ضد الحرب في غزة ولبنان وأوكرانيا، موقع الجزيرة، ٢٠٢٤/١٠/٢٧، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/qbWFrg4p

(٤) شرطة برلين تستخدم كلابا لتفريق مظاهرة حاشدة تدعم غزة، موقع الجزيرة، ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://tinyurl.com/s6z3buj3

تشاورٍ وثيق بشكلٍ مباشر ومن خلال فريقيهما للأمن القومي"[١].

كان للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مواقف داعمة وإصرار على وقف إطلاق النار بشكل مختلف تمامًا عن مواقفه تجاه العدوان على غزة، فيمكن القول إن ماكرون كان يقود ويدفع من أجل وقف إطلاق النارفي لبنان؛ فقد أعلن الرئيس الفرنسي أن دولته ستدعم لبنان، وقال خلال افتتاح المؤتمر الدولي سالف الذكر لدعم لبنان الذي استضافته باريس في ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤، وكان يستهدف جمع نحو ٥٠٠ مليون يورو لمساعدة النازحين بسبب النزاع، إن "فرنسا ستقدم مساعدات بقيمة ١٠٠ مليون يورو". وأضاف "يجب أن تتوقف الحرب في أسرع وقت ممكن"، موضحًا أن الهدف هو "دعم سيادة لبنان" وبالتالي "إظهار أن الأسوأ ليس حتميًا وإفساح المجال أمام اللبنانيين لاستعادة التحكم بمصيرهم"[٢].

هناك العديد من الدوافع للموقف الفرنسي الداعم للبنان، على النقيض مع المواقف الفرنسية تجاه غزة، فهناك دوافع تخص الوضع الاعتباري والتاريخي للبنان لدى فرنسا في الشرق الأوسط، والحضور الفرنسي الدائم لدى لفيف من النخبة والطبقة السياسية بلبنان، إذ تُعتبر فرنسا لاعبًا نشطًا داخل المشهد السياسي اللبناني، ولهذا الحضور؛ الذي ضمر في السنوات الأخيرة وبقي في مستوى رمزي مع مكونات بذاتها، أبعاد تاريخية وثقافية ترتبط بالحقبة الاستعمارية، بل إلى ما قبل ذلك منذ القرن التاسع عشر، زمن الحقبة العثمانية. وقد لعبت الإرساليات التعليمية والدينية والثقافية دورًا بارزًا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر[٣].

قد يكون الإصرار الفرنسي أيضًا على **التدخل وإحلال السلام في لبنان، لمواجهة النقد والمعارضة الداخلية في فرنسا**، والتي زادت حدتها ليس فقط على الصعيد الداخلي بل والأوروبي بصفةٍ عامة، مع تفاقم الأزمة الحقوقية والأخلاقية والإنسانية الناجمة عن الأزمة، مما يعني أن العدوان والحرب الجارية تنعكس بشكل مباشر على المناخ السياسي والثقافي الغربي، وقد ظهر هذا الضغط الداخلي من خلال المظاهرات الشعبية والحراك الطلابي في أوروبا لدعم فلسطين، وربما اتخذ الرئيس الفرنسي هذا الخطاب الداعم للبنان؛ لكسب الدعم في الداخل الفرنسي وامتصاص الغضب الشعبي[٤].

وكأن مشاهد القتل والخراب وحرق المدنيين أحياءً في غزة، لم تُحرك القادة الأوروبيين لوقف الحرب على القطاع!! وقد كان هذا جزء لا يتجزأ من الازدواجية القيمية الأوروبية، وهو الأمر الذي يؤكد أن التدخل الفرنسي في لبنان، ما هو إلا لحسابات المصالح الفرنسية في لبنان والمنطقة.

وعليه يمكن القول **إن محددات العلاقة الأساسية في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه لبنان، لم تتجاوز المصالح الفرنسية**، كما لم تصل فرنسا إلى مستوى الفاعل للوصول إلى اتفاق وقف إطلاق النار في لبنان، بل جاء دورها كوسيط بين أطراف الصراع، بما يعني أن خيوط اللعبة الأساسية كانت ولازالت في يد الولايات المتحدة الأمريكية، فهي التي قررت متى تبدأ ومتى تنتهي الحرب على لبنان من خلال وكيلها الصهيوني في المنطقة العربية.

ثالثًا- الموقف الشرقي (روسيا والصين) من العدوان الإسرائيلي على لبنان

١- الموقف الروسي

تنوَّعت مواقف الدعم الروسي للبنان وتفاوتت بدايةً من

(١) بايدن وماكرون يبحثان الجهود الرامية إلى وقف النار في لبنان، مونت كارلو، ٢٣ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/0kMQryhB

(٢) مؤتمر باريس ينجح في جمع أكثر من مليار دولار لمساعدة لبنان وجيشه، France24، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://tinyurl.com/5n82pvny

(٣) موقع وزارة الخارجية الفرنسية الدبلوماسية الفرنسية حول العلاقات اللبنانية الفرنسية، د.ت، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/of28RGH2

(٤) آية عنان، التحول في الرأي العام الغربي تجاه القضية الفلسطينية، مرجع سابق.

خطابات رسمية داعمة إلى التدخل الدبلوماسي وصولًا إلى الدعم العسكري؛ حيث شعرت روسيا بعد اغتيال إسرائيل للأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله في ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤، أن الأمور المتدهورة في الشرق الأوسط تكاد تتجاوزها وتفلت من يديها إلى غير رجعة، فأدانت بأشد العبارات جريمة الاغتيال ووصفتها بأنها عملية اغتيال سياسي، وحملت وزارة الخارجية الروسية إسرائيل المسؤولية الكاملة عن تصعيد الصراع في الشرق الأوسط، وقالت في بيان، "إننا نُدين بشدة جريمة قتل سياسية أخرى ترتكبها إسرائيل. وهذا العمل العنيف محفوف بعواقب وخيمة أكبر على لبنان والشرق الأوسط بأكمله"[١].

كما أشارت وزارة الخارجية الروسية، إلى أن تصرفات الجيش الإسرائيلي ستؤدي حتمًا إلى موجة جديدة من العنف، ودعت إسرائيل إلى وقف عدوانها على لبنان، وخلص البيان إلى أنه "في الوضع المتفجر الحالي، يجب على الأعضاء المسؤولين في المجتمع الدولي أن يفعلوا كل ما في وسعهم لمنع المنطقة من الانزلاق إلى مواجهة مسلحة واسعة النطاق"، ومن نيويورك قال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٤ على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، إن مقتل زعيم حزب الله اللبناني حسن نصر الله جريمة قتل سياسية. مضيفًا "إن أساليب الاغتيالات السياسية التي أصبحت ممارسة شبه روتينية، مثيرة للقلق للغاية"[٢].

كما حاولت **روسيا التدخل الدبلوماسي** لوقف العدوان على لبنان، فوفقًا لصحيفة "بديعوت أحرونوت" الإسرائيلية كانت قد أبدت روسيا استعدادها للمساعدة في تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار، ومن المفترض أن تلعب دورًا في استقرار الوضع في لبنان وسوريا، كما وردت أنباء تفيد بأن "الروس سيكون لهم وضع خاص في تنفيذ الاتفاق ومنع المزيد من التصعيد"، وذكرت "يديعوت أحرونوت" أن إسرائيل معنية بالتدخل الروسي ودفعت نحوه، على أمل أن يتم الحفاظ بهذه الطريقة على استقرار الاتفاق والقدرة على تطبيقه[٣].

وقال نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف، لوكالة نوفوستي إن **موسكو مستعدة للمساعدة في إحلال السلام بين لبنان وإسرائيل** وتعمل على هذا الأمر، بما في ذلك عبر الاتصالات الثنائية، وأضاف بوغدانوف، ردًا على سؤال عما إذا كانت هناك مقترحات بأن تصبح روسيا الاتحادية ضامنًا للاتفاق بين لبنان وإسرائيل: "فيما يتعلق بلبنان، نحن على تواصل مع الجميع، وكعضو دائم في مجلس الأمن الدولي، نعمل على إعداد القرار ١٧٠١، ونشارك بنشاطٍ في جميع المناقشات التي تجري في نيويورك، وفي أماكن أخرى، وخلال الاتصالات الثنائية. ونحن، بطبيعة الحال، على استعداد لتقديم مساهمتنا في إحلال السلام والاستقرار. وهذا يتطلب اتفاقيات مقبولة للطرفين حتى لا يتم المساس بمصالح الأطراف"[٤].

أمَّا فيما يتعلق بالدعم العسكري، ووفقًا للبيانات التي نشرتها صحيفة النهار اللبنانية نقلا عن مصادر استخباراتية، فقد نقلت روسيا طائرات بدون طيار إلى حزب الله وتقوم بتدريب مقاتليه على استخدامها، نشرت هذه البيانات أيضًا قناة كان ١١ التليفزيونية الإسرائيلية، مما أثار موجة جديدة من القلق الإسرائيلي بشأن توسيع المساعدات الروسية في منطقة الشرق الأوسط، في الوقت نفسه، أفادت مصادر أن روسيا تتفاوض مع المتمردين الحوثيين في اليمن بشأن نقل صواريخ مضادة للسفن، في حين لم يدل الجانب الروسي بتعليقات رسمية حول هذا الأمر[٥].

---

(١)سعيد طانيوس، خفايا الموقف الروسي من الحرب في الشرق الأوسط، independent Arabia، ٣ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://tinyurl.com/nhkcjjyb

(٢) المرجع السابق.

(٣) الإعلام العبري يتحدث عن بنود اتفاق لإنهاء الحرب مع لبنان و"دور روسي مهم"، موقع روسيا اليوم، ٢٩ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://tinyurl.com/42khvjzz

(٤) روسيا تعرب عن استعدادها للمساعدة في إحلال السلام بين لبنان وإسرائيل، موقع روسيا اليوم،٣١ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://tinyurl.com/n6y8zew3

(٥) نقلت روسيا طائرات مسيرة إلى حزب الله وتتفاوض مع الحوثيين بشأن إمدادات الصواريخ، Avia.pro، ١٠ أكتوبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/r9DDrpD1

وعلى الرغم من تلك المواقف الروسية الداعمة، إلا أن هذه المحاولات لوقف العدوان سواء على لبنان أو غزة لم ترتق للمستوى المطلوب؛ فقد اعتمد الموقف الروسي في القضية الفلسطينية على الاحتكام للقوانين الدولية والعمل على وحدة الصف الفلسطيني، كما أن موقف روسيا واضح من لبنان ودعت إسرائيل لسحب قواتها من لبنان، وهددت بأن هذا سيؤدي إلى مزيدٍ من الصراعات في المنطقة، إلا أن موسكو لم تبذل جهدًا كافيًا لإحلال السلام في الشرق الأوسط، الأمر الذي يمكن تبريره بأن الحروب المتفجرة في المنطقة العربية تجذب انتباه الغرب بعيدًا عن أوكرانيا، مما سمح للقوات الروسية بتحقيق تقدمًا على خطوط المواجهة مع أوكرانيا في الأشهر الأخيرة.

وهو على النقيض من موقفها الداعم المباشر من الأحداث في سوريا؛ حيث لم تمر ساعات قليلة على اجتياح المعارضة السورية لمدينة حلب في ١ ديسمبر ٢٠٢٤، حتى أقالت روسيا المسؤول عن قواتها في سوريا الجنرال سيرغي كيسيل، وعيّنت ألكسندر تشايكو، الذي يوصف في روسيا بقائد معركة "تحرير حلب" عام ٢٠١٧، خلفًا له في مؤشر على فشل كيسيل بمواجهة تقدم المعارضة، وإعطاء الجنرال الجديد فرصة إعادة "ضبط الأوضاع"، بموازاة ذلك، أكد ديمتري بيسكوف السكرتير الصحفي للرئيس الروسي، أن "روسيا تواصل دعم الرئيس السوري بشار الأسد، وتعمل حاليًا على تشكيل موقف بخصوص الحاجة إلى اتخاذ تدابير لتحقيق الاستقرار في الأوضاع في سوريا"[١].

٢- الموقف الصيني

قبل اندلاع الحرب الإسرائيلية على لبنان عام ٢٠٠٦ عملت الصين على إدخال لبنان ضمن إطار "الدبلوماسية الناعمة" حيث تحاول بكين فرض نفوذها في بلدٍ لم يكن تاريخيًّا ضمن الاهتمامات الصينية، عزز ذلك الترويج من قبل "حزب الله اللبناني" بأن الصين "قاب قوسين أو أدنى" من إنقاذ لبنان من أزمته الاقتصادية والسياسية، وبأن استثماراتها قد "أُنجزت واكتملت"، ما يعني قرب الاستغناء عن حزمة الإنقاذ التي يقدمها صندوق النقد الدولي، وبرغم أن بكين احتفظت خلال الحرب اللبنانية الإسرائيلية ٢٠٠٦ بموقفها تجاه النزاعات الإقليمية الداعي إلى تسوية سلمية للصراع من قبل الأطراف المعنية، فإن اسمها أُقحم بهذه الحرب في قضية تدمير سفينة إسرائيلية من نوع "ساعر" بصاروخ مضاد للسفن، هذا فضلا عن "مبادرة الحزام والطريق" عام ٢٠١٧، فقد حدثت طفرة إيجابية في تلك العلاقات لتميل كفة الميزان التجاري اللبناني لصالح الصين، وهي التي اعتيد أن تميل لصالح الغرب، وكانت القفزة الأكبر للتعاون التجاري بين البلدين عام ٢٠١٩، حين أنشأ المركز الصيني لتنمية التجارة الدولية (CCPIT) مكتب تمثيل له في لبنان من أجل زيادة العلاقات التجارية والاستثمارية بين البلدين، وكذلك توفر الصين العديد من الامتيازات الثقافية كجزء من "القوة الناعمة"[٢].

وفي ظل التصعيد المفاجئ للصراع اللبناني الإسرائيلي ٢٠٢٤، **تباينت الإدانة الصينية للعدوان من خطابات رسمية وصولًا إلى الدعم العسكري من خلال قوات اليونيفيل**، فقد نفّذت قوات السلام الصينية في لبنان، مهمات حفظ السلام، وتتألف قوة حفظ السلام الصينية من مجموعات هندسية متعددة الأغراض ومجموعات هندسية للبناء ومجموعات طبية.

الأمر نفسه حدث فيما يتعلق بالعدوان على فلسطين، فمنذ اندلاع الحرب الإسرائيلية على غزة عقب عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، **حرصت الحكومة الصينية على التعبير عن موقفها الداعم للفلسطينيين، وضرورة وقف إطلاق النار، ووضع حد للنزاع في المنطقة**. كما أكّدت بكين

(١) خبراء روس موسكو تتجه لمعركة "كسر عظم" مع المعارضة السورية، موقع الجزيرة نت، ٢ ديسمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://tinyurl.com/4pp3fcu6

(٢) مرفت عوف، الصين في لبنان.. هل يمتلك "شي جين بينغ" حلا لبيروت؟، موقع الجزيرة نت، ٩ سبتمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://tinyurl.com/yp35ss6n

مرارًا على حق فلسطين في الحصول على عضوية كاملة داخل الأمم المتحدة، وإيمانها بحل الدولتين كسبيل لتسوية الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، وكثّفت الصين جهودها الدبلوماسية سعيًا لوقف إطلاق النار، ووضع حل للأزمة الإنسانية المتفاقمة، حيث استخدمت الصين خطابًا دبلوماسيًا صارمًا ضد الجرائم الإسرائيلية في غزة، كما أدانت الموقف الأمريكي، وخصوصًا العقبات التي خلقتها الولايات المتحدة بالتصويت ضد مجموعة من قرارات وقف إطلاق النار في مجلس الأمن. إضافة إلى ذلك، دعمت الصين قرارات محكمة العدل الدولية المختلفة لإدانة إسرائيل، مؤكدةً في المحافل الدولية المختلفة على حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولة مستقلة والحصول على عضوية كاملة في الأمم المتحدة، فضلًا عن إنهاء الظلم التاريخي الذي تعرض له الشعب الفلسطيني[١].

في هذا السياق، شكل الصراع في غزة فرصةً للصين في تعزيز سمعتها الدولية كقوة تسعى لإحلال السلام في الشرق الأوسط، في مقابل تدهور سمعة الولايات المتحدة دوليًا خصوصًا في الشرق الأوسط نتيجة لموقفها الداعم لإسرائيل وتعنتها في تمرير قرارات وقف إطلاق النار في مجلس الأمن، علاوة على ذلك تمكنت الصين من الجمع بين فتح وحماس على طاولة التفاوض في بكين في دورتين للحوار الوطني خلال شهري أبريل ويونيو ٢٠٢٤، في خطوة تعكس الرغبة الصينية في التفاعل مع القضية الفلسطينية بشكلٍ إيجابي. في الدورة الأولى في شهر أبريل، اتفق كل من فتح وحماس على ثمان نقاط أساسية لتكون محورًا للتفاوض وتوقيع اتفاق لإنهاء الانقسام وتعزيز الوحدة الوطنية بين الفصائل الفلسطينية في الدورة الثانية من المحادثات. وفي الدورة الثانية في يوليو، اجتمع ١٤ فصيلًا فلسطينيًا من بينهم حماس وفتح وصدر "إعلان بكين لإنهاء الانقسام وتعزيز الوحدة الوطنية" متضمنًا نقاط للعمل المشترك[٢].

خلاصة القول، إنه بالرغم من المواقف التي أبدتها الصين وروسيا لوضع حل للأزمة الإنسانية المتفاقمة في غزة ولبنان سواء من خلال سلوكهما التصويتي في مجلس الأمن، والتنديد بإسرائيل والموقف الأمريكي، أو حتى محاولة الجمع بين الفصائل الفلسطينية في بكين، إلا أن الواقع لا يعكس أي تحولًا في سياسة روسيا والصين الخارجية في الشرق الأوسط. فقد استمر الموقف الشرقي ضمن الإطار التقليدي الذي صار عليه، مقتصرًا على الجهود الدبلوماسية دون تحقيق أية نتائج حقيقية على أرض الواقع فيما يخص حل الصراعات.

خاتمة:

الدرس المستفاد الأول والأخير والدائم، يتمثل في **أن ديمقراطية الغرب وفهمه لحقوق الإنسان لا يعملان إلا لصالحه**، فلم تتحرك القيم الأوروبية والإنسانية لإجبار الكيان الصهيوني على وقف الحرب والإبادة الجماعية في فلسطين، ولكنها انطلقت لدعم وقف إطلاق النار في لبنان بخطة زمنية أمريكية الصنع، **فالولايات المتحدة الأمريكية هي الآمر الناهي**، وقد تبين هذا من التأرجح في مواقفها تجاه الحرب على لبنان لتحقيق أهدافها في المنطقة، والتي يأتي على رأسها القضاء على حزب الله، باعتباره أحد أذرع إيران في المنطقة، فتبين أن **الفاعل الدولي الفعلي سواء في لبنان أو فلسطين، هو الولايات المتحدة الأمريكية، و إقليميًا هما إسرائيل و إيران.**

وبالنسبة لأوروبا، فإن الاتحاد الأوروبي يمكن وصفه بـ(الدافع) وليس بـ(الفاعل المؤثر)، فقد تحركت أوروبا في الدفع لوقف الحرب في لبنان من منطلقات مخاوف الهجرة إليها وامتصاص الغضب الشعبي الداخلي.

الأمر نفسه بالنسبة إلى **فرنسا على وجه الخصوص؛ حيث ما كانت إلا مجرد (وسيط دافع) وليست (فاعلا)** في الوصول لوقف إطلاق النار، وبشكل يمكن القول معه إن تصريحات

(١) ريهام عماد، الموقف الصيني من الحرب على غزة: رؤية تحليلية، مركز ترو للدراسات،٢٢ نوفمبر ٢٠٢٤، متاح عبر الرابط التالي: https://2u.pw/owBz8v2K

(٢) المرجع السابق.

الرئيس الفرنسي وما حدث من تحركات ليست تعبيرًا عن تغير في موقف فرنسا، وإنما للإبقاء على حضورها في لبنان، وامتصاص الغضب الشعبي الداخلي، مما يبقي على الدول الأوروبية في وضعية التابع والدور الثانوي غير المؤثر، وفي مقدمتها فرنسا.

وكما فشلت الدول الأوروبية وظهرت أزمات القيم والحضارة والانسانية والشعارات الوهمية التي طالما نادت بها واتخذت منها ذريعة للتدخل في سياسات العديد من الدول في المنطقة العربية، **فشلت أيضًا الدول العربية منذ اليوم الأول لحرب السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ على فلسطين بشكلٍ فج**، هذا فضلا عن خيبات أمل على جانب الشعوب العربية مكممة الأفواه، فقد تهاوت كل مظاهر الدعم والإسناد العربي والإسلامي، جاءت الحرب الصهيونية على لبنان لتكمل سلسلة الخذلان العربي في إطارٍ من الصمت التام، فعندما اندلعت الحرب في لبنان، واجهت الدول العربية أزمة أخرى في مواقفها الهزيلة الممتدة منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، فلم تعترض حكوماتها على الدرس العسكري الذي قدمته إسرائيل لحزب الله وإيران ولا على قتل المدنيين ومشاهد الدمار التي أصابت الأراضي العربية.

أما فيما **يتعلق بالموقف الشرقي (روسيا والصين)، فيبدو أن التدخل الحذر للدولتين جاء في إطار عدم المساس بمصالحهما داخل المنطقة من خلال هدفين رئيسيين: اكتساب النفوذ الدولي، ومواجهة القوة الأمريكية والغربية**، ولكن الصين وروسيا لديهما أساليب مختلفة للغاية، وأول هذه الاختلافات أن روسيا متورطة عسكريًا في المنطقة من خلال التدخل في سوريا، وهو الأمر الذي لا تنوي الصين القيام به، فما زالت الصين حريصة على عدم اتخاذ أي خطوات سياسية أو عسكرية قد تؤثر على مصالحها الاستراتيجية في المنطقة.

وعليه، **ومما سبق، يتبين أن كل الصراعات الحالية في المنطقة العربية مترابطة، وأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو في قلب الأزمات كافة**، وكما قال المستشار طارق البشري إن فلسطين هي "الأمان في العمق"؛ حيث حدّد أثر فلسطين على الدول المتاخمة لها؛ واصفًا إياه بكونه "أثرًا حاكمًا لمصائر الدول": "لقد تقوض نظام اجتماعي سياسي كامل في مصر بعد هزيمة ١٩٤٨، وانتهى حكم أسرة مالِكة بقيت في الحكم مائة وخمسين سنة، وكذلك تقوَّض النظام السياسي السوري وانتقلت سوريا من شأنٍ إلى شأن، وفي هزيمة ١٩٦٧ تقوض نظام سياسي اجتماعي كامل تغير هيكليًا وجذريًا وآل من شأنٍ إلى شأن. وهذا درس تاريخي من دروس علم السياسة؛ لأن الوظيفة الأساسية للدولة هي أن تحمي هذه الجماعة وتصون أمنها؛ مما نعبر عن بمصطلح "كفالة الأمن القومي"، ومن ثم فإن الحل الوحيد الممكن هو الحل الشامل وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين"[١].

(١) انظر: طارق البشري، العرب في مواجهة العدوان، (القاهرة: دار الشروق،٢٠٠٢)، ص ص ١٠٤-١٠٦.